وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم : العلوم الإنسانية

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

الجوسسة خلال الفترة الاميرية

1832-1883م

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبين

شبشوب مداح

لقروم صدام حسين

إشراف الاستاذ

مداح عبد القادر

الأستاذ: حرشوش كريمة..... رئيسا
الأستاذ : مداح عبد القادر..... مشرفا
الأستاذ: زاهي محمد.....مناقشا

السنة الجامعية :1436-1437هـ/ 2015-2016م

كلمة شكر

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

نفتتح هذه المذكرة باسم الله العلي القدير الذي هدانا بنوره وأعاننا بفضله على إتمامها وجعل العسير من هذا العمل يسيرا ونصلي ونسلم على المصطفى البشير النذير عليه أفضل الصلاة والسلام وأزكى التسليم مصداقا لقوله تعالى: "لئن شكرتم لأزيدنكم"

إذ كان على المرئ إن يذكر لذي فضل فضله فإننا نتوجه بالشكر والعرفان والتقدير والإمتنان إلى كل أساتذتنا الأجلاء الذين علمونا الحرف والكلمة والجملة والنص، راجين من المولى سبحانه وتعالى أن يجعل ما غنمناه منهم صدقة جارية تضاف إلى صحائف حسناتهم

ونخص بالشكر الأستاذ مداح عبدالقادر الذي لم يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته طيلة مدة إنجاز هذا العمل.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى اللجنة التي قبلت مناقشة المذكرة وضحوا من ثمين

وقتهم لقراءة صفحاتها وتقييمها بميزان العارفين القادرين راجين أن ينال هذا الجهد

تقديرهم

إهداء

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا

أهدي عملي المتواضع إلى رمز وجودي في الحياة وإلى من يرافقني دعائها دوما ويزيدني

رضاها نجاحا، إلى الشمعة التي تنير طريقي وتمضي زهاء عمرها وتحف طموحي بعبير الأمل

وتسقيه من ندى حبها

إلى أمي ثم أمي ثم أمي– كصار أمينة –

ومن تعب وكافح وجعلني أرى أن الحياة عمل وكفاح، وأن نتائجها فرح ونجاح إلى من غرس

في نفسي روح المثابرة وإلى سندي في هذه الحياة .... إلى من حلم بهذا اليوم وكان له

ذلك...إلى من أفتخر به أبي العزيز– عبد القادر –

و إلى نور عيني وسر سعادتي لحسن، والحاج، محمد، زهرة، زينب، خالدية.

وإلى زميلي ورفيق درب دراستي المداح، وإلى سعداني، وبن صابر، حسين عقاب ، بوزايدة ،

طيب ونور الدين ، جلال .

وإلى من ساعدني كثيرا في عملي هذا أخي العزيز عبد الله وإلى أخي خالد.

وإلى عائلتي كبيرهم وصغيرهم. وإلى كل منهم في قلبي ولم يذكرهم قلمي .

وإلى كل من رافقتني أيامهم وحتما ستجمعني بهم الذكريات "سلمى"، إليهم أهدي ثمرة هذا

الجهد المتواضع.

صلام حسين

الحمد لله الذي لا يحمد على النعمة سواه، الحمد لله الذي مهد لنا طريق النجاح.

أهدي عملي هذا إلى حبيبي قلبي جدي وجدتي بارك الله في عمرهما وإلى من قال الله في حقهما "...فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا"

إلى رمز وجودي في الحياة وإلى من يرافقني دعائها دوما ويزيدني رضاها نجاحا، إلى الشمعة التي تنير طريقي وتمضي زهاء عمرها وتحف طموحي بعبير الأمل وتسقيه من ندى حبها

إلى أمي ثم أمي ثم أمي –عرقوب "د"–

ومن تعب وكافح وجعلني أرى أن الحياة عمل وكفاح، وأن نتائجها فرح ونجاح إلى من غرس في نفسي روح المثابرة وإلى سندي في هذه الحياة .... إلى من حلم بهذا اليوم وكان له ذلك...إلى من أفتخر به أبي العزيز– بوخاتم–

إلى من نشأت معهم وترعرت إخوتي وأخواتي: فتحي، الزبير، "ش"

وإلى كل العائلة كبيرهم وصغيرهم وإلى زميلي شاهينو الذي شاركني في هذا العمل متمنيا له كل النجاح والتوفيق في حياته وإلى كل الأحباب والأصدقاء الذين قاسمتهم شطرا من حياة

وإلى كل من مد يد العون ولو بكلمة طيبة عبد الكريم "عبد الله" و "خالد"، سعداني، مبر[illegible] الطيب، ، كمال، رابح،جلال ،عبد الحق ، روكي، عبد الرزاق، محمد ، عبد القادر

وإلى كل من هم في قلبي ولم يذكرهم قلمي .

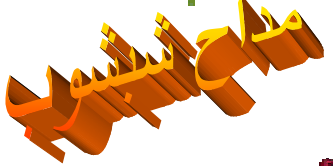

قائمة المختصرات المستعملة

الاختصار	و ما يوافقه
دب	دون بلد
ص:	الصفحة
ج:	الجزء
ط:	الطبعة
مج:	مجلد
ط خ:	طبعة خاصة
تح:	تحقيق
تص:	تصدير
تق:	تقديم
تر:	ترجمة
تع:	تعريب
د م ج:	ديوان المطبوعات الجامعية
ب ت:	بدون تاريخ
ش و ن ت:	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
ش.تع:	شرح وتعليق
كلم:	كيلومتر
Ibid: ibidem	الصفحة
Op.cit: overage précédemment cite	المرجع السابق
:p: page	الصفحة

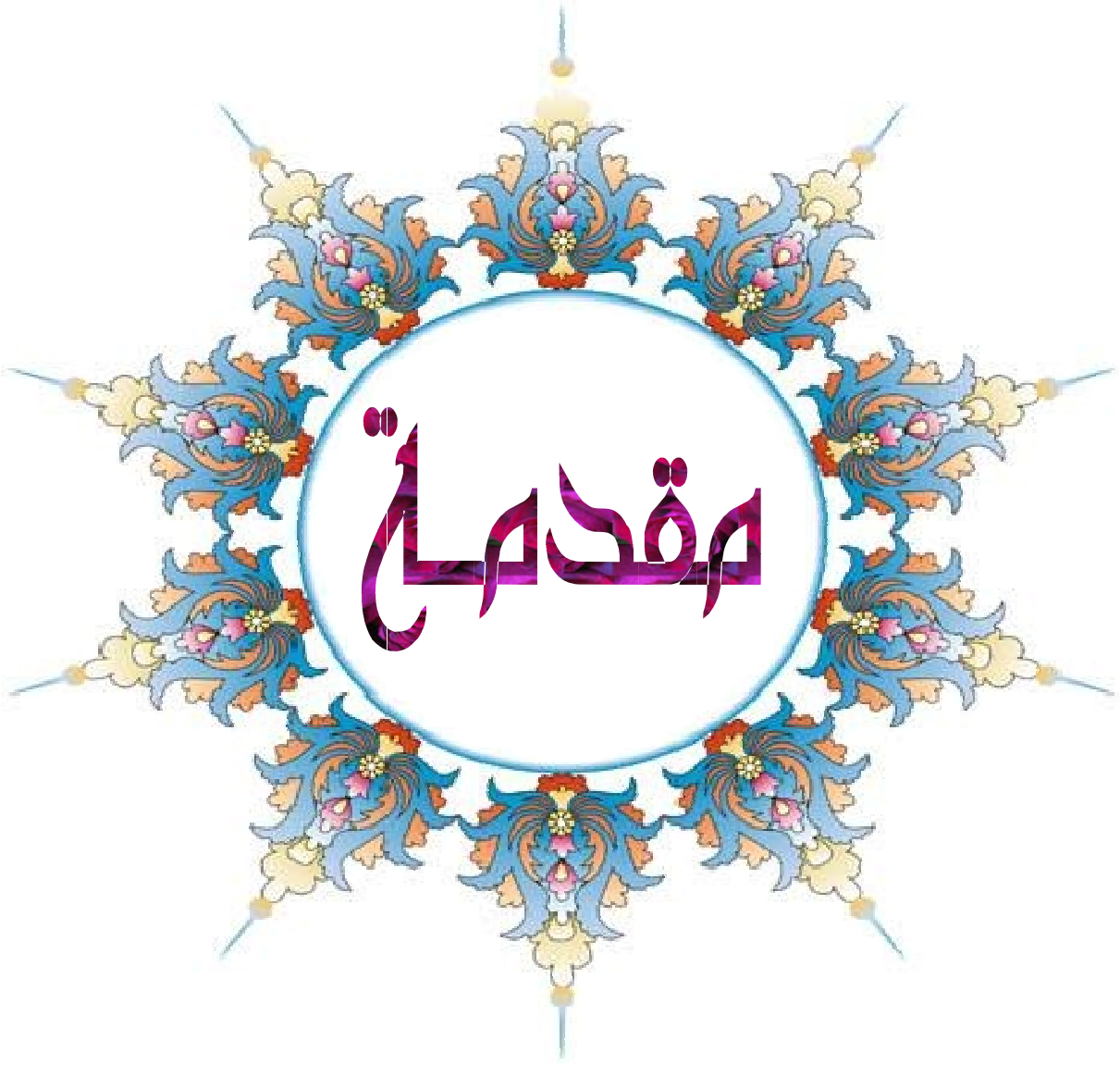
مقدمة

مقدمة:

تتناول هذه الدراسة موضوعا من بين أهم المواضيع و أبرزهم في تاريخ الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر، فهي تتحدث عن " الجوسسة خلال الفترة الأميرية " ، و تبدأ هذه فترة من بداية مقاومة الأمير ضد الاستعمار(1832م – 1847م) إلى غاية وفاته سنة 1883م. وهي فترة مهمة من تاريخ الجزائر ، عرفت فيها البلاد مقاومة شديدة ضد الاستعمار الفرنسي، خاصة بقيادة الأمير عبد القادر التي كانت في الغرب .

من المعروف أنّ الحملات الاستعمارية الكبرى اتجاه العالم الإسلامي كانت تسبقها حملات مركزة للجوسسة للتعرف على الأرضية التي سيتم استعمارها ، وكان عادةً ما يقوم بهذه المهمة مجند عسكري لديه الخبرة الواسعة بالأرضية التي سيتم استعمارها ، و أكبر مثال على ذالك الجاسوس "بوتان" (bottin)الذي أرسله نابليون بونابرت ، و الذي قام بدوره بتقديم دراسة دقيقة جدا عن الجزائر والتي على إثرها تم احتلال الجزائر ، لكن بعد الغزو العسكري سرعان ما اكتشف المستعمرون أن هناك مساحات كبيرة لم يتمكنوا غزوها و اكتشافها . فاحتلال الشعوب يقتضي التعرف بدقة على جغرافية نفوسهم و خريطة عقولهم . وهكذا بدأت المرحلة الثانية من حركة الجوسسة الاستعمارية في الجزائر وذلك بإرسال رجال و نساء إلى الشعوب حتى يتغلغلوا و ينفذوا إلى أعماق النسيج الاجتماعي و يقدموا التقارير الدقيقة و الوافية عن تجربتهم في الداخل . وستضل الأسماء مثل ليون روش و جاسوس غارسان ، لويس أليكس ، أورلي بيكارد ، إيزابيل إيبهارد بارزة في مسيرة الحافلة لهؤلاء الذين اخترقنا و تغلغلوا إلى أعماق المجتمع ، فلم تكن التقارير العسكرية والأمنية كافية للسيطرة على هذه المجتمعات بل كان من الواجب النفاذ بعمق في ألياف الحياة الاجتماعية و الدينية و التجول في دروبها والدخول إلى عمق أعماقها. فليون روش على سبيل المثال ندبته الحكومة الفرنسية في بداية غزوها للجزائر ليكون جاسوسا على الأمير عبد القادر حامل لواء المقاومة والجهاد ضدها ،و كل من الجواسيس الذين ذكروا سلفا من الرجال و النساء عايشوا الفترة الأميرية .

– أهمية اختيار الموضوع:

وتستمد هذه الدراسة أهميتها كون الأمير عبد القادر استطاع تأسيس دولة في فترة كانت الجزائر من مخلفات الدولة العثمانية و تمر بأصعب الظروف السياسية، الاقتصادية، و الاجتماعية. ومن هنا تكمن أهميته و ميزته من تسليط الضوء على نشوء هذه الدولة الجديدة و التحديات التي وجهتها، وتبرز أهمية الموضوع أيضا كونه دراسة محورية حول ،

– أسباب اختيار الموضوع :

من دوافع اختيار هذا الموضوع رغبتنا الشخصية الملحة في دراسة تاريخ الجزائر هذا التاريخ المميز والطويل و المليء بالانجازات البطولية والمقاومة والتحدي .

– رغبتنا في الاطلاع عن طريق هذه الدراسة على شخصية كبيرة كان لها التأثير الكبير على الجزائر بصفة خاصة والعالم بصفة عامة والمتمثلة في شخص الأمير عبد القادر .

– قد ينظر البعض إلى هذا الموضوع على أنّه نال قسطا من الدراسة والأبحاث بالنظر إلى حجم المطبوعات التي تناولت تاريخ الجزائر عموما، و دولة الأمير عبد القادر خصوصا، لكن في نظر الباحث تبقى الحاجة الكبيرة في تدعيم هذه الدراسات السابقة بدراسة متخصصة باعتبارها من المحاولات الأولى التي تتناول جانب الجوسسة داخل دولة الأمير(الفترة الأميرية) على مستوى القسم بجامعة "عبد الرحمان بن خلدون" بتيارت وبالتالي المساهمة في إثراء رصيد المكتبة .

– إبراز شخصية الأمير ومدى نجاحه في التصدي للجوسسة التي اخترقت دولته .

– التعرف على مختلف أشكال و ألوان الجوسسة التي شاهدتها فترة الأميرية ، و أبرز الجواسيس الذين نشطوا وشكلوا خطرا على دولة الأمير.

– التعرف على أساليب الأمير عبد القادر المضادة للجوسسة الفرنسية.

– أهداف اختيار الموضوع:

– التعرف على البيئة التي ولد فيها الأمير عبد القادر وترعرع فيها و الظروف التي ساهمت في بناء شخصيته القوية من حيث الأخلاق، العلم، ...الخ

– الكشف و الوقوف على حقيقة موضوعية، والمتمثلة في الواقع الذي باتت تعشه الجزائر بصفة عامة والغرب الجزائري بصفة خاصة أثناء الاستعمار الفرنسي. و التعرف على الظروف التي أدت إلى اختيار الأمير عبد القادر زعيما للدولة و قائدا للمقاومة.

– إبراز تشكيلة دولة الأمير عبد القادر من حيث التنظيم الإداري والاقتصادي دون أن نهمل في ذلك الجوانب العسكرية باعتبار أن دولة الأمير عبد القادر عسكرية أكثر منها مدنية.

– رغبة الباحث في الكشف عن بعض الجواسيس الذين امتهنوا الجوسسة منذ أن وطأت أقدام المستعمر الفرنسي في جزائر بصفة عامة، ودولة الأمير بصفة خاصة .

– إبراز تلك الأعمال الاستعمارية الهدامة والتخريبية في الجزائر و التي ارتبطت بجواسيس استغلوا الإسلام ليخترقوا به نفوس وعقليات المجتمع الجزائري.

– محاولة الباحث التعرف على عبقرية الأمير عبد القادر في محاولته التصدي للاستعمار من خلال خوض معارك ضده، وإبرام معاهدات سلام معه.

– محاولة إبراز وما مدى الدور الذي لعبته الجوسسة بالإطاحة بدولة الأمير عبد القادر.

– الإشكالية المطروحة:

تعتبر الجوسسة من الأعمال التي أعتمدها المستعمر الفرنسي في الجزائر عموما، ودخل دولة الأمير عبد القادر خصوصا ما هي تجلياتها و أشكالها و ما مدى انتشارها و اختراقها لدولة الأمير عبد القادر ؟ وتندرج تحت الإشكال الرئيسي عدة تساؤلات فرعية وهي:

1– كيف استطاع الأمير عبد القادر تكوين دولة حديثة في ضل الاحتلال الفرنسي ؟

2– هل استطاع الأمير عبد القادر تكوين دولة بما يحمله هذا المصطلح من معنى ؟

3– ما هو الهدف الجواسيس من تقرب من دولة الأمير عبد القادر ؟وكيف استطاعوا التغلغل في مجتمع الجزائري؟ وفيما تتمثل الأدوار الخطيرة التي مثلتها الجوسسة إثر اختراقها لدولة الأمير عبد القادر ؟ وهل لتلك الأدوار تداعيات على جيش الأمير عبد القادر ؟

4- ما سر المهمة التي أدها الجواسيس لصالح الاحتلال الفرنسي في الجزائر خلال فترة الأمير عبد القادر؟

- حدود الدراسة:

فيما يخص الإطار الزماني و المكاني لهذه الدراسة ، فإن الإطار المكاني يتمثل في الجزائر، أما الإطار التاريخي يمتد منذ بيعة الأمير عبد القادر وتأسيس الدولة عام 1832م إلى غاية وفاة الأمير عبد القادر سنة 1883م، و تعد هذه الفترة مرحلة حافلة بالأحداث و التطورات و العلاقات ، و ما زادا في قمة ذالك المعاهدات والمعارك جرت بين الأمير عبد القادر و الاحتلال الفرنسي والتي أعطت مهلة و حافزا للأمير في تنظيم كيانه السياسي، إلا أن التركيز سيكون بالدرجة الأولى على الجوسسة التي اخترقت دولة الأمير خلال هذه الفترة.

- خطة الموضوع:

ولانجاز هذه الدراسة ارتأينا أن يكون تقسمها لخمسة عناصر وهذا حسب ما تقتضيه خطوات البحث العلمي انطلاقا مقدمة إلى فصلين ناهيك عن المدخل لنختم هذه الدراسة بخاتمة تضمنت أبرز النتائج العامة المتحصل عليها، فجاء تفصيل هذا التقسيم على النحو التالي:

أ- المقدمة:

ما تناولناه هو التعريف بالموضوع و أهميته و كذلك الأسباب التي دفعتنا إلى اختياره و الهدف منه إلى طرح الإشكالية العامة مع الإشارة إلى أهم المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها إضافة إلى منهج البحث و الصعوبات التي وجهتنا في الموضوع المدروس.

ب- المدخل:

حاولنا في هذا العنصر أن نعطي صورة عامة عن العلاقات الثنائية بين الجزائر و فرنسا ، و التحدث عن الأسباب الحقيقية للاحتلال ، السياسية والعسكرية والاقتصادية والدنية والظروف الدولية المواتية ، وأهداف فرنسا الأساسية والحقيقية في المنطقة ، وتحدثنا كذلك عن السياسة التي

انتهجتها فرنسا للاحتلال الجزائر، وعن سقوط مدينة الجزائر واستسلام داي حسين، وعن الأخطاء التي وقع فيها حاكم الجزائر.

ج- الفصل الأول:

حاولنا في هذا الفصل أن نعطي فكرة عن الأمير عبد القادر وبناء دولته الحديثة،فقسمنا هذا الفصل إلى أربعة عناصر تناولنا في العنصر الأول حياة الأمير عبد القادر من نسب و مولد ثم أهم مراحل نشأته مرورا بتلقيه أول العلوم على يد أبيه الشريف محي الدين الذي كان له الفضل الكبير في تكوين شخصيته القوية ، لنتقل إلى العنصر الثاني خصصنها لتحديد مفهوم البيعة لغة و اصطلاحا ليليه البيعة الأولى و البيعة الثانية، لنتعرف في العنصر الثالث لأهم المعارك التي خضها الأمير ضدا الاحتلال و المعاهدات التي أبرمها معه، لنشرح في آخر عنصر الترتيب الإداري لهذا التنظيم وما يحمله هذا الجانب من مقاطعات الإدارية وكذالك مجلس الشورى، ويله الجهاز الوزاري وتنظيم الاقتصادي و القضائي، لنختم هذا العنصر بالتنظيم العسكري للدولة بما فيه من تجهيز القوة العسكرية وشروط الانضمام إلى الجيش وأقسام ورتب ومرتبات الخاصة بالجنود ومصالح الجنود.

د- الفصل الثاني:

تطرقنا في هذا الفصل إلى الجوسسة داخل دولة الأمير عبد القادر وما تحمله من أثر وانعكاسات على المقاومة الشعبية، وخصصنا لهذا الفصل أربعة عناصر إذ تناولنا في العنصر الأول كل ما يتعلق بمصطلح وماهية الجوسسة من تعريفات وأقسام وأنواع الجواسيس وأهم وأبرز صفات جواسيس وأعمالهم ، لننتقل إلى العنصر الثاني والذي تضمن أبرز الجواسيس الفرنسيين ومخابرات الأمير عبد القادر ، أما العنصر الثالث جاء مكمل للجوسسة ألا و هو دور المرأة الأوروبية في الجوسسة في الجزائر، الذي أبرزنا فيه العمل الذي قامت بيه لصالح محتل الفرنسي، لتتعرف على عادت المجتمع الجزائري وتأثيرا سلبا على بعض الطرق الصوفية، أما آخر عنصر فتمثل في دور الخونة في سقوط الزمالة، أبرزنا فيه العوامل التي ساهمت من قريب أو من بعيد في سقوط زمالة الأمير عبد القادر .

هـ- الخاتمة:

ولقد جاءت مشتملة حسب ما يقتضيه الدور الوظيفي للخاتمة إذ تضمنت أهم النتائج المتحصل عليها من دراسة هذا الموضوع، وكانت إجابة على التساؤلات الفرعية المطروحة، ولمزيد من الإثراء فقد أرفقنا الدراسة بملحق خاص بصور والمخططات وخرائط.

- المناهج المتبعة:

و لدراسة الموضوع دراسة علمية تتماشى و طبيعته يقتضي بنا توظيف عدة مناهج لمعالجة كل الجوانب المتعلقة به فتم توظيف:

* **المنهج التاريخي الوصفي:** كأصل عام في سياق وعرض بعض الواقع التاريخية و أحدثها وترتيبها ترتيبا كرونولوجيا كتطور الذي شاهدته دولة الأمير عبد القادر حسب فترات زمنية معتبرة، ووصف بعض المناطق و راية دولة الأمير عبد القادر.

* **المنهج التحليلي:** وذلك من خلال دراسة المادة العلمية وتحليل بعض الوقائع في البحث إلى تحليل نمط دولة الأمير عبد القادر التي أسسها كمثل الإقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم انطلاقا من بيعته إلى مجلس الشورى.

- أهم المصادر والمراجع:

وقد اعتمدنا في هذا الدراسة على مجموعة من المصادر و المراجع والمقالات كانت سندا لنا طوال رحلة هذه الدراسة و التي اهتمت بالموضوع، من حيث دراسته وتحليليه من جميع النواحي والاتجاهات، ومن بين هذه المراجع نذكر منها: باللغة العربية كتاب تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، الذي أفادنا في سرد بعض الوقائع والأحداث التي ميزت تلك الفترة لمحمد ابن عبد القادر، وكتاب حياة الأمير عبد القادر لهنري تشرشل في معرفة بعض خبايا مقابلاته وأحاديثه مع الأمير إضافة إلى مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري الذي يعتبر مخطوطا له قيمة خاصة كتبه في السجن 1849م، يتناول السيرة والشخصية للأمير، ووجدنا صعوبة في قراءة الكثير من فصول هذا الكتاب لاستعماله العبارات الشعبية الدارجة والمصطلحات العامية. وكذلك مذكرات الكولونيل

اسكوت وعبد القادر بوطالب(الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية) وكتاب التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر لأديب حرب الذين أفادونا في التعرف على أبرز المحطات من البيعة والمعارك والمعاهدات وكيفية بناء الدولة الحديثة إضافة إلى النظام الذي تأسس عليه جيش الأمير ونظرا لكثرة وتعدد الكتابات حول الأمير عبد القادر فقط غطت جميع الأصعدة والميادين في الصغيرة والكبيرة منها. وكتاب يوسف مناصرية "مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847م" تعرض هذا الأخير لحياة روش وأبرز عمليات جوسسته في جيش الأمير عبد القادر والجيش الفرنسي.

وقد اعتمدنا على المراجع باللغة الفرنسية لـ:

Léon roches : trente ans a travers l'islame

Y.ver. g. abdelkader et le Maroc 1838.

ومن بين المجلات: مجلة سيرتا (يوسف مناصرية)

أفادونا في معرفة مهمة ليون روش التجسسية في الجزائر والمغرب، 1832-1847م.

- صعوبات الدراسة:

لقد وجهتنا في دراستنا هذه عدة عراقيل منها كثرة المادة العلمية التي بين أيدينا والتي جاءت متشابه من حيث اللفظ و المضمون بحيث لم نقف حسب اجتهادنا على جديد فيها يسمح بترجيح وتمحيص رأي عن آخر، إضافة على نقص الأقلام التاريخية المتكلمة عن الجوسسة في الجزائر خلال القرن 19م وخاصة التي تتعلق بدولة الأمير عبد القادر باستثناء بعض الكتابات الأجنبية والتي قد تؤثر على دقة موضوعية مضمون المذكرة . كما كان ليضق الوقت دور في الحيلولة دون التعمق أكثر في دراسة هذا الموضوع.

شبشوب مداح

لقروم صدام حسين

.2016/05/25

مدخل

يتفق جل المؤرخين على أن اهتمام فرنسا بالجزائر وسعيها لاحتلالها يعود إلى القرون الوسطى أي منذ " **لويس التاسع** " نظرا لما تتمتع به الجزائر من موقع استراتيجي هام وكانت دوافع فرنسا كثيرة ومتعددة، بعضها سياسية ، والاخرى اقتصادية ، ودينية ، مرتبطة ومتداخلة ومتكاملة مع بعضها البعض.[1]

ولأن الجزائر كانت تشكل قوة في البحر الابيض المتوسط خلال القرنين **السادس عشر والسابع عشر ميلادي** بحيث فرضت على الدول المارة بالبحر المتوسط، دفع إتاوة مقابل حماية سفنها من الاعتداء وبذلك ربطت علاقات جديدة مع دول أوروبا[2] .

فقد كان القرن 18 م تمهيدا لبروز مشروع بوتان 1808م حيث ارسلته السلطات الفرنسية للتجسس ومعرفة نقطة ضعف الإيالة العثمانية، في حين لعب هذا الاخير دورا كبيرا في الإحاطة وتسريب كل المعلومات ، حيث كان الهدف من هذا المشروع هو معرفة نقطة ضعف السواحل الجزائرية وتمثلت هذه النقطة في ساحل سيدي فرج ، وكانت هذه الفكرة فكرة بوتان حيث أمر بالدخول من سيدي فرج.

وعلى سبيل المثال معاهدة 1561م مع **هنري الرابع** التي تدعمت أكثر خلال قيام الثورة الفرنسية سنة 1789م صاحبة مبادئ المساواة وحقوق الإنسان وفي الوقت الذي حاصرت فيه الدول الأوروبية هذه الأفكار واعتبرتها معادية لها، كانت الجزائر تقدم لها مساعدات على شكل قروض وحبوب وكان اليهوديان **بكر وبوشناق**[3] اللذين قدما من إيطاليا إلى الجزائر 1870م قد حصلا على

[1] – مبارك الميلي بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص 277.

[2] – جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 317.

[3] – ميشيل كوهين بكري باسم المستعرب ابن الزهود، كان صاحب تجارة في أوروبا ، فتح مركز للتجارة في الجزائر 1770 اما بوشناق فهو صهر بكري نفتالي المعروف باسمه المستعرب بوجناح كابل ابن زهود من أسرة لها تجارة في الجزائر. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1982، ص 14.

موافقة الداي باحتكار تجارة الحبوب ودفع علاوات للدولة لاسيما الدور الكبير في التمهيد لاحتلال الجزائر.[1]

أقامت فرنسا مع الجزائر منذ زمن بعيد علاقات تجارية على نطاق واسع لاسيما في القرن 18م في ظل السلم المئوي[2] فكانت بينهما مبادلات في السلع والبضائع على مختلف أنواعها خصوصا المنتوجات الزراعية كالقمح والحنطة.[3]

جاءت سنة 1827م لتعلن نهاية ما عرف في تاريخ العلاقات الجزائرية الفرنسية بقضية الديون بعد تماطل فرنسا في دفع ما عليها من ديون ، وهو ما أدى إلى وقوع حادثة المروحة التي اتخذتها فرنسا ذريعة لاحتلال الجزائر، ويرجع سبب الحادثة إلى تفاقم الديون التي كانت في ذمة فرنسا لصالح الحكومة الجزائرية، والتي قدرت بأكثر من **ثلاثة عشر مليون فرنك فرنسي** ، وتقلصت بعد مداولات اللجنة[4] التي تشكلت لدراسة قضية الديون إلى سبعة ملايين فرنك ، حيث كانا اليهوديان **بوشناق وبوخريص** يقومان بالوساطة بين البلدين[5]، ولما كانا مدينين للحكومة الجزائرية بعد شراء الصوف منها، فقد قاما بالضغط على القنصل الفرنسي **بيار دوفال**[6] لإعطائه نصيبا من الديون الفرنسية لتسديدها إلى الحكومة الفرنسية، غير أن **بوخريص** الذي غير اسمه إلى بكري وتجنس بالجنسية

---

[1] – عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 87.

[2] – السلم المئوي: هي معاهدة تقضي بالسلم ما بين فرنسا والجزائر من 1690-1790 وتم إبرامها 1689، ينظر: جمال قنان ، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، المرجع نفسه، ص 307.

[3] – محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر، ج1، تح محمد حقي، ج1، دار الايقظة العربية، للتأليف والترجمة والنشر، ط2، 1964، ص 923.

[4] – يحي بوعزيز، أوضاع الجزائر في عهد الداي حسين آخر دايات الجزائر 1818-1930ن أوراق عن التاريخ، جريدة الحوار، 1994/10/22.

[5] – حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تر: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1972، ص 48.

[6] – دوفال: هو قنصل فرنسا في الجزائر وهو بير دوفال 28 أوت 1815، كان أبا لمترجم فرنسي كان يعمل في السفارة الفرنسية في اسطنبول وكان يتكلم العربية والتركية ولكن ليس بطريقة جيدة، اتباع سياسة التعفن الاجتماعي واحتف الوعود، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 22.

الفرنسية، لم يمنح الخزينة فرنكا واحدا وهنا أدرك الداي حسين المؤامرة التي أحيكت ضد الجزائر،[1] فقام الداي حسين بإرسال ثلاث رسائل إلى الحكومة الفرنسية بشأن قضية الديون الفرنسية (لتسديدها إلى الحكومة)، فيرى أنه لم يتوصل إلى أي جواب.[2]

وفي عيد الفطر شوال 1243هـ الموافق لـ 27 أفريل 1827م، حضر القنصل الفرنسي بيار دوفال لتهنئة الداي كما جرت العادة، وهنا سأله الداي حسين عن سبب عدم رد الحكومة الفرنسية على رسائله، وبدل ان يقوم بتهدئة الجو قام القنصل الفرنسي بالرد على الداي: "ليس من العادة أن يخاطب الملك من هو أدنى من دونه وساطه"[3] وهذا ما جعل الداي حسين يفقد صبره، ولوح أما القنصل الفرنسي بالمروحة[4] كانت بيده، فأمره بمغادرة المكان، فاعتبرت فرنسا هذا العمل إهانة لشرفها، وطالبت بالاعتذار، فأرسلت الضابط كولي "collet" الذي وصل إلى الجزائر على رأس عشرة مراكب يوم 11 جوان 1827 ورفع مجموعة من المطالب لم يقبلها الداي وهو ما ادى الى حصار مدينة الجزائر والذي استمر ثلاث سنوات[5].

فإذا بدأنا الحديث عن فرنسا فقد كان لوضعها الداخلي دوره في إعداد الحماية ، و ذلك أن ملك فرنسا **شارل العاشر**[6] (charle x) رأى نحو الأفكار الجمهورية في أواسط المجتمع قبل الانتخابات وهو مؤشر لإمكانية قيام ثورة تطيح بالنظام الملكي فألغى الصحافة وجرد الطبقة الوسطى

---

[1] – مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، المرجع السابق، ص 277.

[2] – أرجمند كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827-1847، تر: عبد الجليل التميمي، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس، ط2، 1979، ص 21.

[3] – بسام العسلي، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي 1830-1838، دار النفائس، بيروت، ط2، 1983، ص ص 181-182.

[4] – المروحة: مصنوعة من سعف النخيل. ينظر: حمدان خوجة، المصدر نفسه، ص 180.

[5] – يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول مماليك أوروبا 1500-1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص 130.

[6] – في 1757- 1836 ملك فرنسا من 1824-1830 من آل البورجون ، ابن لويس الخامس عشر وأخ لويس السادس عشر عاد إلى فرنسا 1824 بعد أن أقام في إنجلترا طوال فترة حكم نابليون بونابرت، انتهى حكمه بعد الأيام الثورية 27-28-29 /1830/07، ينظر: miroso rt , emcarta,2006n 1993, 2005,mico pontion.

من حق الانتخاب بل و ذهب إلى أكثر من ذلك إلى التفكير في إعداد حملة عسكرية ضد الجزائر والتي من شأنها صرف الأنظار عن الوضع السياسي الداخلي وإسكات المعارضة[1] .

وقد جاءت الحملة الفرنسية امتدادًا للجانب الديني للحروب الصليبية حيث كان الفرنسيون يصدقون في تنصير شمال إفريقيا بعد طرد المسلمين من الأندلس، بل وبرروا عملهم بإعادة المسيحية إلى إفريقيا و يدّعون أنها كانت الدين السائد هنا سابقا[2] .

وتظهر النية المبيتة لضرب الإسلام في التقرير الذي رفعه وزير الحربية "كليرمون" إلى مجلس الوزراء في 14 أكتوبر 1827م "إنه لمن الممكن أن يكون لنا الشرف في أن نمدكم ونجعلكم مسيحيين"[3] كما صرح الجنرال "ديبرمون"[4].

لعب الجانب الاقتصادي دورا مهما في إقدام "شارل العاشر" على إعداد حملة ضد الجزائر ولعل الدوافع الاقتصادية والمالية هي التي حركت الأسطول الفرنسي ، وفي هذا الصدد صرح "ديبرمون": "أن الفوائد المادية التي تعود على فرنسا من غزو الجزائر، بغض النظر عن ملايين الفرنكات الذهبية التي تزخر بها الخزانة الجزائرية أسمى وأنفع من كل عمليات الغزو التي قامت بها حتى الآن، فهناك سهول خصيبة ومناجم غنية"[5].

ومن هنا يتبين لنا أن قائد الحملة الكونت ديبرمون يرمي إلى استغلال المؤهلات الاقتصادية من قمح ومنتجات زراعية ومناجم غنية ، من شأنها تحريك المصانع الفرنسية التي تحتاج إلى مواد أولية علاوة عن تعويض خسائر الحملة من الأموال والكنوز الموجودة في الخزانة الجزائرية.

---

[1] – أبو قاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشرطة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981، ص 257.

[2] – مجاهد مسعود، تاريخ الجزائر، ديوان التوزيع، ج1، دط، دت، ص 109.

[3] – عمار بوحوش ، المرجع السابق ، ص 83.

[4] – لويس ديبرمون 1773-1846 عين من طرف نابليون بونابرت، ثم ارتقى إلى وزير الحربية الفرنسي 1829 قاد الحملة الفرنسية على الجزائر 1830 ثم ارتقى إلى ماريشال 1830 كذلك وعام 1839

[5] – حلمي محروس اسماعيل، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الاولى، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1997، ص 221.

وما زاد الامور تعقيدا هو تدمير الأسطول البحري في معركة نافارين 1827م[1] إضافة إلى ارتفاع ديون فرنسا بسبب الأزمة الاقتصادية إلى 22 مليون فرنك قديم ورغبت بتعويض ذلك باحتلال الجزائر لتجعلها موطنا لفائض سكانها ومورد لليد العاملة الرخيصة وسوقا لمنتجاتها الصناعية وكانت من أهدافها السياسية للاحتلال:

كسب الرأي الفرنسي وأصوات المعارضة في البرلمان الفرنسي، كما كانت ترغب في هذا المشروع الاحتلالي معارضة الإسلام ونشر المسيحية وتنصير الشعب الجزائري[2].

إضافة إلى الموقع الاستراتيجي للجزائر الهام من تضاريس ومناخ و التي تمنح للإنسان ظروفًا مناسبة للعيش فهي قلب المغرب العربي وامتداد حضاري بمشتركات وخصائص من العالم الإسلامي وهي كذلك بوابة إفريقيا، جنوب الصحراء والنافذة الكبيرة على المتوسط، لها أراضي عالية ممتدة من البحر المتوسط والصحراء، ولها شريط ساحلي يميد من الحدود المغربية إلى الحدود التونسية[3].

في إطار استعدادات داي الجزائر "حسين باشا" لمواجهة القوات الفرنسية وجب علينا استحداث في كيفية التحضير لهذه الحملة من طرف الداي وأتباعه.

ففي البداية كان حسين باشا غير قلق بشأن تدخل فرنسا في الجزائر عسكريا معتمدا في ذلك على الاخبار التي كانت تأتيه حول انقسام الداخل الفرنسي ومعارضة الإنجليز لأي تحرك فرنسي ضد الجزائر ولكن فيما بعد تلقى حسين باشا معلومات مبعوثيه في باريس وإيطاليا ومرسيليا ، وتفيد بأن هناك حملة تحضر لبعثتها إلى الجزائر.[4]

---

[1] – جلال يحي، التاريخ الاوروبي الحديث والمعاصر، ج4، سيطرة اوروبا على العالم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، دط، دت، ص 465.

[2] – يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 518.

[3] – برينيان أندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: رابح اسطنبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 13-14.

[4] -luis mouille seaux, mistoue de la laogeue, inprimrie ob ertthur, paris, 1962, p 299.

وبالفعل فلقد جعل إبراهيم أغا قائد قوات الداي على مخطط الفرنسيين واخبر بالمكان الذي كانوا ينون النزول فيه كما أحيط علما بالعدد الصحيح فيما يخص مكونات الجيش الفرنسي إلا أنه لم يتخذ أي تدبيرات لصد القوات الفرنسية في بداية الأمر،[1] ثم أمر الباشا بتدعيم الحصون بالعساكر إلا أن حالة العساكر كانت سيئة **فأحمد الشريف الزهار** نقيب أشراف الجزائر يقول في مذكراته أن الجنود المكلفين بالمدفعية وصل بهم سوء احوالهم إلى الدعوة بالنصر للعدو فظهر لهم أنه إذا أخذ البلدة فإنهم يستريحون[2] .

أما باي قسنطينة فيقول في مذكراته أنه حين قدم إلى الجزائر لم يكن مستعدا أي استعداد لمحاربة الفرنسيين وجاء معه حوالي 400 فارس فقط[3] .

يقول أحمد باي: "وبعد انتصار الفرنسيين على مقاومتنا، فقررنا التراجع، وانتظارهم في سهل سطاولي حيث بنينا حصونا بسرعة وزودناها ببعض المدافع وكان الباشا قد وزع عددا منها كذلك على جميع الاعيان الذين كانوا يقودون في معركة سطاولي التي ربحها الفرنسيون"[4] ولم يجد الجيش الغازي مقاومة منظمة.

في البداية كان الداي غريبا مهتما بسلامته وسلامة الإنكشارية معه ومن ثم فقد رضي بأول اتفاق يضمن له الرحيل مع جنوده في سلام[5] فلولا ان كانت دفاعات الداي ممركزة جيدا لأنزلت هزيمة شنعاء بالجيش الفرنسي[6] .

---

[1] – حمدان بن عثمان خوجة، المرجع السابق، ص 189.

[2] – احمد الحاج الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، تح: أحمد توفيق المدني، د ن، دط، 1980، ص 164.

[3] – محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي محمدان خوجة وبوضربة، منشورات السهل، وزارة الثقافة، 2009، ص11.

[4] – المرجع نفسه، ص 16.

[5] – محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، مكتبة دار الشرق، بيروت، ص 207.

[6] – عمراوي أحميدة، جيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر، مجلة سيرتا، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد 12، 1899، ص 05.

اما المعركة فقد وقعت في سهل سطاولي الذي يبعد مسافة سير ساعة على سيدي فرج[1] ، وفي حدود الساعة الثالثة والنصف صباحا من يوم 19 جوان 1830 تقدمت قوات الآغا إبراهيم نحو المراكز الأمامية للقوات الفرنسية[2] ، وقد بدأت المعركة بتراشق قنابل المدافع بين الطرفين، حدثت خلالها بعض الفوضى في الصفوف الفرنسية حيث يذكر "بارتيزان" أن قنابل مدفعية التي أجبرت الجيش الفرنسي على التراجع، إلا أن هذه الفوضى في صفوف الفرنسيين سرعان ما انتهت[3]، أعاد "كلوي" القائم تنظيم صفوف فرقته[4] ، حيث ترتب على معركة سطاولي نتائج منها:

تشتيت قوات الداي وسيطرة القوات الفرنسية على خيمة كان من أهمها خيمة (الاغا إبراهيم) فوجدا في هذا المخيم غنائم كثيرة من بينها 60 جملا بالإضافة إلى المدافع والمؤن الغذائية أما عن الخسائر فإن الجانب الفرنسي كلفته المعركة حوالي 57 قتيلا و 473 جريح، اما ما فقده الداي حسب الفرنسيين فإنه كان عشرة أضعاف ما فقده الفرنسيون[5] .

كما ادى هذا الانتصار بالنسبة للفرنسيين إلى الرفع من معنوياتهم وأصبح سقوط مدينة الجزائر بأيديهم مسألة وقت فقط ، أما من جانب الداي فإن هذه المعركة لها انعكاسات وخيمة فروج الهزيمة بدأت تدب في أواصل الجهاز الإداري والاجتماعي حيث أصبح جيشه بدون فائدة بعد مرور الفرنسيين بمنطقة "سيدي خلف" حيث اختفى الأغا إبراهيم مرة أخرى[6] .

---

[1] – هانديش فون مالتسان، 03 سنوات في شمال غربي إفريقيا، الجزائر، ص 123.

[2] – المرجع نفسه، ص 311.

[3] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص 31.

[4] - julien charles andré histoire de algerie conttemporanis, paris, 1964.

[5] - camille rousset, la conquéte d'alger, imprimeurs ecliteurs, eplon et ce paris, 1929, p 140.

[6] - ibid, p 141.

وبذلك كانت معركة سطاوالي بالنسبة للفرنسيين فرصة إثبات وجودهم في الجزائر[1]، إلا أنهم سوف يتفاجؤون برد الفعل داخل الجزائر، بظهور المقاومة الشعبية في الوسط الجزائري.

وهكذا انتصرت القوات الفرنسية وفرضت على الداي التوقيع على معاهدة الاستسلام يوم 05 جويلية 1830 والتي تضمنت مجموعة من الشروط أهمها:

1-أن يسلم الداي للقوات الفرنسية قلعة القصبة والميناء وحصون المدينة صباح يوم 05 جويلية1830.

2- يتعهد القائد العام بحفظ حياة الداي وحيازته جميع ممتلكاته الشخصية وللداي ان يختار البقاء في أسرته في حماية القائد العام أو يرحل إلى المكان الذي يراه مناسبا.

3- يقر القائد العام بشرفه أن يحفظ حرية الديانة الإسلامية وأملاك الاهالي.

4- يقر القائد العام لجميع الجنود الاتراك نفس الحماية من دون تعرضهم لأي أذى.

ومن خلال "سار عسكر"[2] الذي وجهه قائد الاحتلال لسكان الجزائر يتضح لنا اعتمادهم لسياسة المخادعة حيث تضمن البيان طمأنة الجزائريين من خلال الحفاظ على ممتلكاتهم واحترام مقدساتهم، ولكن سرعان ما تحولت الحملة العسكرية التأديبية إلى احتلال دائم ليتحول تأديب الداي إلى تأديب الشعب والأرض ، وتحول من الانتقام من الاتراك المستبدين إلى انتقام من صاحب الدار نفسه لأنه عربي مسلم ولأنه رفع سلاح المقاومة في وجه الاحتلال[3].

---

[1] – جاء في تقرير 22 جوان و 05 جويلية الرسمية خسائر معركة سطاولي بحوالي 57 قتيلا و 473 جريحا بمعدل 20 رجلا يوميا، تقرير الجنرال ديبرمون "romment" يوم 01 سبتمبر و 22 حوان و 05 جويلية 1830 . ينظر: أندري برتيان وآخرون ، المرجع السابق، ص ص 230-231.

[2] – بيان سار عسكر: هو نداء وجهه القائد الفرنسي ديبرمون إلى سكان الجزائر عشية الاحتفال قام بإعداده كليمرمون تونير عضو القيادة العامة للجيش الفرنسي والمشرق دي ساسي الذي تولى صياغته باللسان الدارج قبل طبعه ويعتبر هذا النوع من وسائل الإعلام المستعملة من طرف الفرنسيين والممهدة لعملية الغزو والمقصود بـ سار عسكر: هو قائد العسكر وقائد الجيش. ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج3، 1988، ص 275.

[3] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، دار االغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، 1992، ص 16.

الفصل الأول

نبذة عن حياة الأمير عبد القادر

01-حياة الأمير.

02- البيعة.

03- أهم معارك ومعاهدات الأمير.

04- بناء الدولة الجزائرية الحديثة.

1- حياة الأمير:

أ- أصل الأمير وأسرته:

ينحدر الأمير عبد القادر من أصول الأدارسة الذين يعتبرون من ملوك المغرب والأندلس، ويعتبر السيد عبد القوي أول أجداد الأمير الذين نزحوا عن المغرب الأقصى واستقر بقلعة بني حامد قرب سطيف وذلك بعد أن اشتدت الفتن والاضطرابات التي شهدتها مراكش[1]، في عهد محمد بن مصطفى بن المختار الجد الأكبر لعبد القادر نصبت الأسرة أعلامها في وهران وبسطت نفوذها على القبائل النازلة بتلك النواحي، ولاسيما في عهد محي الدين والد الأمير عبد القادر من حماة الشريعة ومن كبار أوليائها المختارين وكان يلقب بالشريف لانتسابه إلى سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو شيخ الطريقة القادرية في الجزائر والفقيه والمرابط الذي كانت قبيلته قبيلة بني هشام، تنظر إليه نظرتها ولي من أولياء الله واتخذ محي الدين الزاوية لطلب العلم والقرآن إذ كان كأسلافه من العلماء الذين يرجع إليهم في مشكلات الأحكام مما جعل له مكانة سامية لعلمه، وصلاحه وكرمه وشرف نسبه وحسبه[2].

وقد تزوج محي الدين والد الأمير من أربع نسوة رزق منهم بستة (06) أولاد وكان الأمير ثانيهما من زوجته الثالثة السيدة زهراء ابنة السيد محمد ابن دوحة الحسنية والتي توفيت عن عمر يناهز ثمانيين (80) سنة[3]، مما سبق يتبين لنا أن الأمير قد حاز كل أسباب الشرف والعزة فنسبه الحسيني ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأجداده العلماء الأفاضل بلغوا أسمى مراتب المجد والعزة بين اهلهم في أوطانهم، وبه اكتملت حلقات العقد وباسمه اشتهرت أسرته ولا تزال.[4]

---

[1]- عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وآدابه، دط، تصدير عبد العزيز سعود البابطين، منشورات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، باتنة، الجزائر، 2000، ص 11.

[2]- فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، صدر عن دار الثقافة، دط، الجزائر، 2007، ص ص 27-29.

[3]- المرجع السابق، عبد الرزاق ابن السبع، ص11.

[4]- المرجع نفسه، ص 12.

ب: نبذة حول نسبه:

كان الأمير سليلا حقيقيا للرسول صلى الله عليه وسلم[1]، فهو الأمير عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن المختار بن عبد القادر[2] ، المعروف بخدة بن أحمد القديم، بن محمد، بن قوي، بن عبد الرزاق، بن غوث الرباني، بن صالح، بن موسى الجوني، الإمام عبد الله المحض، بن الحسن المثني، بن الإمام الحسن السبط، بن الإمام علي ابن أبي طالب[3] وزوجته فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم[4]، هذه الحقيقة يشك فيها الكتاب الغربيون الذين لا يصفون الأمير بأكثر من صفة (المرابط)، ومع ذلك إن نسبته الشريفة لا تدع مجالا للشك ، أولا لأنه لم ينفك يوما عن إثباتها وذلك بتوقيع رسائله باسم القادر بن محي الدين الحسيني، ولأنه يعلن ذلك علانية في أحد أشعاره حيث يفخر بأصوله التي كان جديرا بها، ومن المؤكد توجد نقاط غامضة يرجع غموضها نظرا إلى طول الزمن نظرا لأنه هناك على الأقل 35 جيلا يفصلون الأمير عن الرسول صلى الله عليه وسلم غير أن الأمر نفسه موجود كذلك بالنسبة لكل ذوي الأصل الشريف، وبالأخص أولئك الذين يحفظ لهم المؤرخون أصالة نسبهم مثل السلاطين العلويين في المغرب الأقصى، كذلك فإن ثبوت رجوع قبيلة الحشم التي ينتمي إليها الأمير إلى أصل بربري زناتي(الصنهاجي) جعل الشك يحوم حول الأصل الشريف له. ويذكر أن الجد الأول للأمير قد أتى من الحاج ناصر في جبل العلان بالريف المغربي والجد الذي يتحدث عنه كاتب هذه الرسالة هو سدي عبد القوي وهو جد الأمير، و يفصل هذا الأخير 12 جد عن إدريس الأول مؤسس فاس وأربعة آخرين للوصول إلى الحسن ابن فاطمة ابنة النبي صلى

[1]- عبد القادر أبو طالب، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية، تر: آجيرون، منشورات دحلب، الرغاية، الجزائر، دط، 2009، ص 47.

[2]- محمد مراد بركات، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، دار النشر الإلكتروني، جامعة عين الشمس، باتنة الجزائر، دط، 1999، ص 08.

[3]- الأمير عبد القادر، مذكرة الأمير عبد القادر (سيرته الذاتية كتبها في السجن سنة 1849)تح: محمد الصغير البناني، محفوظ السماتي محمد صالح الجون، دار النشر شركة الأمة الجزائر، ط7، 2010، ص 46.

[4]- عائشة بن ساعد، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، ، 2003-2004، ص 18.

الله عليه وسلم[1]، و رغم أن نسب الأمير نسب شريف إلى أنه كان يرفض رفضا قاطعا استغلال نسبه وأصله لاكتساب الإحتراف والتقديس ، كان يقول: "لا تسألوا أبدا ما هو أصل الإنسان وفصله، بل اسألوا عن حياته وأعماله ومزاياه وعندئذ تدركون ما يكون" وكان يستحي ذلك من روح الإسلام[2].

ج: مولده ونشأته:

ولد عبد القادر بن محي الدين[3] بن مصطفى[4]بن السيدة الزهراء (يوم الجمعة 23 رجب1222هـ المواقف ل26 سبتمبر 1807م ، وتوفي مساء الجمعة 19 رجب 1300هـ الموافق لـ 24 ماي 1883م[5])، في القيطنة الواقعة بقرب الينابيع الضفة اليسرى لوادي الحمام، غربي مدينة معسكر من مقاطعة وهران.

عاش طفولته الأولى وسط عالم من العمل المضني والشجاعة الفائقة، فكان موضع انتباه والده وذلك لأنه كان يشعر بأن حياة ابنه محددة ومحفوفة بالمشقات[6]، وفي الرابعة من عمره أي سنة 1812م إلتحق عبد القادر بمدرسة والده في القيطنة، حيث تعلم مبادئ الكتابة والقراءة، وعندما بلغ سن العاشرة أي سنة1817م، تمكن من القرآن والحديث وأصول الشريعة على يد أحمد بن الطاهر

---

[1]- عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص ص 47-48.

[2]- آسيا تميم، شخصيات جزائرية، دار المسك للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2008، ص 15.

[3]- محي الدين: ولد بوادي الحمام 1776-1777، درس على يد أبيه وورث عنه مشيخة الزاوية واشتهر بسداد الرأي قوام الظلم في عهد الباي حسين بن موسى وتوفي في 1833، ينظر: المرجع السابق، عائشة بن ساعد، ص 19

[4]- مصطفى ابن المختار غريسي: هو جد الأمير أخذ القادرية على عبد القادر المشرفي حين زار بغداد في طريق الحج تبرع بالمال لضريح عبد القادر الجيلاني توفي، 1798، ينظر: يحي بو عزيز أعلام الفكر والثقافة، الجزائر المحروسة، ج2، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995،ص ص 244-245.

[5]- السيد محمد علي الوزير ، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في آدابه، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 15.

[6]- أديب حرب، التاريخ العسكري والإدراي للأمير عبد القادر الجزائري، 1808-1847، ج1، ط3، دار الرائد للكتاب الجزائر، 2007، ص 70.

قاضي آرزيو، الذي علمه أيضا الرياضيات والجغرافيا والتاريخ[1]، عندما بلغ الـ14 سنة أرسله والده إلى وهران لإستكمال تعليمه مكث فيها سنتين لتعلم العلوم العربية والدينية واطلع أثناء ذلك على كتب الفلاسفة والمفكرين القدماء والمحدثين، وبعد عودته إلى بلدته القيطنة تزوج ابنة عمه وفقا للشريعة الإسلامية، حيث كان يصبو إلى أن يصبح مرابطا مثل والده ولم يكتف أثناء ذلك عن التحصيل والتثقيف الذاتي المستمر، فضلا عن اكتسابه براعة نادرة في فنون الفروسية والقتال وركوب الخيل في سنة الـ17 من عمره ، اشتهر بالشدة و البأس وقوة البدن وقد مارس الصيد والقنص في الغابات[2] فصاحب أباه في رحلته إلى الديار الحجازية لتأدية فريضة الحج فسار عن طريق تونس فطرابلس فالإسكندرية فالقاهرة ثم إلى مكة المكرمة، فالتقيا بالكثير من العلماء والأعيان وتعرفا على أحوال المسلمين في تلك البلاد[3] ، وبعد فراغهما من مناسك الحج اتجها إلى دمشق ومنها إلى بغداد بحيث أتيحت له أيضا معرفة النظام الحديث في أرض الرافدين و أخذ الأمير في أثناء إقامته بدمشق الطريقة النقشبندية عن العارف بالله الشيخ خالد النقشبندي السمرودي ، وكان يكثر التردد إليه ، وأخذ أيضا إجازة بالطريقة القادرية من محمود القادري الكيلاني نقيب الأشراف وخليفة عبد القادر الجيلاني[4] ثم عاد إلى الجزائر.

د: كنيته وألقابه:

أما كنيته فهي أبو محمد[5] ويسمى أيضا الحاج وهو اسم يطلقه على أنفسهم أولئك المسلمين الذين يحجون إلى مكة المكرمة، أما ألقابه متعددة وقد أطلقت عليه في مناسبات شتى ، بعضها لازمه طيلة حياته، وبعضها الآخر انتهى بانتهاء الفترة التي يرمز إليها هذا اللقب أو ذاك.

---

[1]- أديب حرب ، المرجع السابق ، ص ص 70-71.

[2]- محمد مراد بركات، المرجع السابق، ص 10.

[3]- napoléon III abdelkader, charle mange et wikind etude histoir et politique par lecteur Engaine decivry 5, paris, 1853, P42.

[4]- مذكرات الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 112.

[5]- محمد بركات، المرجع السابق ، ص 08.

فمن ألقابه: "أمير المؤمنين ناصر الدين[1]،و الأمير[2]، الجزائري[3]،وابن اراشدي وابن خلاد".

2- البيعة:

أ- مفهوم البيعة

لغة: هي صفقة على إيجاب البيع على المبايعة والطاعة، والبيعة: المبايعة الطاعة وقد تبايعوا على الأمر كقولك أصفقوا عليه فبايعوه عليه[4].

اصطلاحا: مبايعة عاهده فبايعته من البيع والبيعة جميعا، والتبايع مثله في الحديث أنه قال: ألا تبايعوني على الإسلام؟ هو عبارة عن معاقدة ومعاهدة كأن كل واحد منهم باع ما عنده لصاحبه فأعطاه خالصة نفسه، وطاعته ودخيلة أمره، وقد تكرر ذكرها والبيعة بكسر كنسية النصارى وقيل كنيسة اليهود وجمع وبيع[5] وهو قوله تعالى: " **وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ**"[6].

تعريف ابن خلدون:"أن البيعة هي عهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على انه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمر المسلمين له لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من أمر على منشط ومكروه "[7].

وكانوا بايعوا الامير وعقدوا عهده ، جعلوا أيديهم في يده تأكيدا للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري، فسمي بيعة، مصدر باع، وصارت البيعة مصافحة بالأيدي. هذا مدلولها في عرق اللغة ومعهود الشرع، وهو المراد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وعند

---

[1]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثرالأمير عبد القادر وأخبارالجزائر، ج1، المطبعة التجارية عزوزي وجاوش، الإسكندرية، 1903، ص97.

[2]- وهو لقب أكثر شهرة عرف به وبقي يلازمه طيلة حياته.

[3]- نسبه إلى وطنه الجزائر وكان الأمير يحب هذ اللقب خصوصا بعد نفيه عن بلاده.

[4]- ابن المنظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج:2، ط1، دار الصادر بيروت، لبنان، 200، ص 195.

[5]- المرجع نفسه ، ص ن .

[6]- سورة الحج، الآية 40.

[7]- عبد الرحمان بن خلدون ،كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاشرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج:1، ج1، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنانن 2006، ص 220.

الشجرة، وحيثما ورد هذا اللفظ، ومنه بيعة الخلفاء، ومنه أيمان البيعة،كان الخلفاء يستحلفون على العهد ويستوعبون الأيمان كلها لذلك فسمي هذا الإستيعاب أيمان البيعة، وكان الإكراه فيها أكثر وأغلب، ولهذا لما أفتى مالك رضي الله عنه بسقوط يمين الاكراه أنكرها الولاة عليه ورأوها قادحة في أيمان البيعة، ووقع ما وقع في محنة الإمام رضي الله عنه[1].

ب: مبايعة الأمير:

نتيجة للفراغ السياسي الذي نجم عن زوال الحكم العثماني في مدينة الجزائر، بعد احتلالها في 5 جويلية 1830، الأمر الذي جعل البلاد في حالة مضطربة والشعب الجزائري كله في إرهاق وضغط محدقًا بالمخاطر في جميع الجهات، يتخبط في المشاكل، وتفترسه قوات الاحتلال لا حامي له[2]، حتى من طرف الدول الإسلامية المجاورة، بغض النظر عن الدولة العثمانية التي كان لها حق الإشراف السياسي على هذه البلاد[3] ، ولم تتمكن من صد الهجومات المباغتة عليه، ويضاف إلى ذلك الصراع الذي احتدم بين ممثل السلطة العثمانية ببايلك الغرب، الباي حسن وبعض الطرق الصوفية كالتيجانية عشية الإحتلال[4] ، وهو ما مهد إلى رفض سكان المنطقة مساندة هذا الباي الذي الذي استسلم للفرنسيين وفق شروط سهلت عملية احتلال وهران دون مفاوضة، بل حرص على أخذ أكبر قدر ممكن من الأموال التي كانت بخزائن وهران، وباستلام معظم ممثلي السلطة العثمانية للجيش الفرنسي فتح الباب أمام قوات الاحتلال للإغارة على بعض المناطق خاصة الساحلية منها. وقد صاحب ذلك الكثير من التقتيل والسلب لأملاك الشعب المستضعف، كما انتشرت حالات الخوف والرعب في الأوساط الجزائرية لانعدام الأمن، وهنا تراود لدى السكان إحساس بضرورة إيجاد

---

[1]- عبد الرحمان بن خلدون ،المرجع السابق، ص ص 220-221

[2]- كريمة حرشوش، الجرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم 1832-1847 (نماذج)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الحضارة الإسلامية والعلوم الإنسانية قسم التاريخ، جامعة وهران2009،-2010، ص 34.

[3]- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العامن دار الثقافة، ج4، ط4، بيروت، 1980، ص 59.

[4]- دردار فتحي، الأمير عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية 1832-1848، دب، ط1، 2001، ص 32.

سلطة عازمة تضع حد لحالة الفوضى المنتشرة في المنطقة، وتنظيم جيش يتصدى لقوات العدو[1]، فوقع الاختيار على (الشيخ محي الدين) كي يقودهم للدفاع المشترك كما ذكرنا، لكبر سنه كان يعتذر لهم في كل مرة، لكنه قبل فكرة الجهاد كسبيل لتحرير البلاد، وردع تقدمات العدو[2]، غير أن أعيان البلاد طال عليهم أمد الحرب والنكد فاجتمعوا وألزموه أن يقبل بيعتهم على إمارته نفسه[3]، وتحت ضغط المجتمعين بقبول الإمارة، قال محي الدين لهم: "إن الحكم يقتضي استعمال القوة بغلظة وسفك الدماء، ولكن مادمتم تصرون أن أكون سلطانكم فإني أقبل، ولكني أتنازل عن ذلك لصالح إبني عبد القادر"، فقبلوا إمارته مسرورين[4].

البيعة الأولى: (الخاصة 1832م)، البيعة الثانية (العامة 1833م) للأمير عبد القادر:

كان محي الدين مقتنعا بكفاءة ابنه، وهذا ما يؤكده (صاحب التحفة) حيث يقول: "رأى أن ولده المنوه به قد بلغ أشده فترشح للإمارة وتأهل لها، واستكملت فيه شروطها من الهدى وعلو الهمة، وقوة الحواس وكمال الخلق وجمال الصورة وشرف النسب، وعزة القوم والقوة والعلم والحكمة والحماسة والسماحة والعزم والحزم والتحفظ والإتقاء وارتفاع مكارم الأخلاق ومحاسنها"[5]، وكان لهذه بالميزات و الخصائص التي اجتمعت في عبد القادر من فضائل ومحاسن، أوجدت الرغبة الملحة في نفوس الشعب الجزائري لتقديم البيعة إليه[6] ، بعد أن اجتمع الأشراف والعلماء والأعيان، وتداعى صغيرهم وكبيرهم، وخيموا بوادي فروجة من غريس عند شجرة الدردارة، وهي شجرة عظيمة كانوا يجتمعون إليها للشورى بينهم فبايعه يوم ذاك والده، ودعا له وعمه (أبو طالب) وإخوته وجميع الأسرة على السمع والطاعة ثم

[1]- كريمة حرشوش، المرجع السابق، ص 34.

[2]- المرجع نفسه ص ن. ينظر أيضا :فتحي دردار ،المرجع السابق، ، ص 32.

[3]- محمد ابن عبد القادر الجزائري، تحفة الجزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية عزيزي وجويش، الإسكندرية، 1903، ص 96.

[4]- تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، تر و تق: سعد الله أبو القاسم، الدار التونسية للنشر، شارع الحرية، تونس، 1971، ص 56.

[5]- محمد ابن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق،ص 96.

[6]- يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983، ص 46.

لقب بناصر الدين ، ثم الأشراف والعلماء والأعيان والرؤساء على حسب مراتبهم وطبقاتهم، فبايعوه على ما بايعة عليه والده، ولا يخفى ما في الواقع هذه البيعة تحت الشجرة من الاتفاق الغريب وما فيه من إشارة إلى متابعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والإقتداء بأثره في بيعة الرضوان[1] التي نوه الله بذكرها وعظم قدرها في القرآن لقوله: " **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**"[2]، وهكذا جرت البيعة الخاصة يوم 13 رجب 1248هـ الموافق لـ27 نوفمبر1832[3]، بعد انتهاء كل المراسم اتجه الأمير ومن معه إلى مدينة معسكر ودخل المسجد الجامع، فقام في الناس خطيبا يحثهم على الطاعة والاستعداد للجهاد والسير على مقتضى الشريعة الإسلامية اقتداء بالخلفاء الراشدين[4]، وبعد أن صلّ الظهر بتلك الجموع انصرف أفاضل العلماء لتحرير وثيقة البيعة التي كتبها العالم الجليل السيد (محمد ابن عبد القادر)، وجاء في هذا الوثيقة ذكر أسماء من حضروا ليحرر في آخر الوثيقة تاريخ تحريرها، وهو 03 رجب 1248هـ المواقف لـ 27 نوفمبر 1832م. وبعدما تمت البيعة الخاصة بادر الأمير إلى مكاتبة القبائل المتواجدة في مختلف أنحاء البلاد، بأمر البيعة وما وقع عليه الإتفاق ويدعوهم إلى الحضور لأداء بيعتهم كما أداها غيرهم[5] وفي 13 رمضان 1248هـ الموافق الموافق لـ04 فيفري 1833 حصلت البيعة الثانية للأمير في ساحة مسجد معسكر، وهي تدعو الجميع للتأييد التام والطاعة المطلقة، لتأمين العدالة واستتباب الأمن ومقاومة الإحتلال على أرض الجزائر[6]، وبعد هذه البيعة الشاملة الصادرة عن الشعب وتأييد القبائل له، بدأ الأمير في تشكيل نواة

[1]- محمد ابن عبد القادر الجزائري،المرجع السابق، ص 97.

[2]- سورة الفتح، الآية 18.

[3]- عبد القادر ابن السبع، المرجع السابق، ص 23. ينظر أيضا : كريمة حرشوش، المرجع السابق،ص35.

[4]- يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ،المرجع السابق، ص 47.

[5]- محمد ابن عبد القادر الجزائري ، المرجع السابق، ص ص 100-101.

[6]- أديب حرب، المرجع السابق، ج1، ص 88.

الدولة الجزائرية الحديثة[1]، وبذلك انطلق نحو بناء المؤسسات الجهادية سياسيا وحربيا، واجتماعيا واقتصاديا لمواجهة التحديات الكبيرة التي كانت امامه.

استهل الأمير نشاطه بتشكيل حكومة جزائرية باسم الجزائر، وبادر بإنشاء مجلس الشورى يتكون من 11 عضوا، واختار مدينة معسكر عاصمة للدولة الجزائرية الحديثة التي كانت بصدد إقامتها[2].

3- أهم معارك ومعاهدات الأمير:

أهم المعارك:

بعدما تمت البيعة و إلتفت القبائل تحت لواء الأمير، صار الناس يشتاقون إلى تلك الساعة التي يدق فيها نذير الجهاد، لكن الأمير فضّل في بداية تمهيد البلاد، وتفقد من تخلفوا عن البيعة وأثناء جولته التفقدية، قام الأمير بأعمال جليلة وخطيرة في آن واحد، فأصلح بين الكثير من القبائل والجماعات، كما أدب القبائل التي رفضت الامتثال لأوامره، أو أعلنت ردتها بعد البيعة وإظهار الطاعة[3]، ثم واجه الفرنسيين في عدة مواقع وانتصر عليهم، خصوصا في مدينتي وهران ومستغانم حيث أبلى فيهما البلاء الحسن.

وفي واقعة مستغانم رغم أنها كانت مزدوة بمدافع وبقوة نارية شديدة، إلا أن هذا لم يثن من عزيمة الأمير، فحاول إقتحام أسوارها تحت وابل القنابل والرصاص، لكن هذه الوسيلة لم تنجح. وهنا تجلت عبقرية الأمير الحربية، ومع ان العملية لم تسفر عن نتيجة كبيرة إلا أنها دلت على خبرته[4].

[1]- أديب حرب، المرجع السابق، ج1، ص 88.

[2]- محمد ابن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 101.

[3]- يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، المرجع السابق ص 51.

[4]- المرجع نفسه، ص52.

معركة المقطع (26 جوان 1835):

وقعت المعركة على ضفاف وادي المقطع، وهو جزء من نهر الهبرة في مضيق صعب المسلك وهذه الأرض عبارة عن المستنقعات التي تتغذى بسفوح الجبال المطلة على المنطقة، ومنها جبال حميان التي تحدها من الناحية الجنوبية، أما من الناحية الشمالية فتحدها منطقة خالية وصولا إلى آرزيو، هذه العوامل وأخرى جعلت المنطقة صعبة المسلك[1] .

وفي يوم 16 جوان 1835 إلى مسرغين على بعد ميل ونصف جنوب وهران ليتمكن من حماية كل المنطقة التي نزلت بها قبيلة الدوائر والزمالة اللتان أعلنتا ولائهما ومعارضتهما للأمير[2]، ولم يلبث حاكم وهران تريزيل أن أرسل قوة من الفرسان للإغارة على مزارع بني هاشم الطرابة للحصول على ما تحتاجه القوات الفرنسية من المؤونة وما إن وصل الخبر إلى الأمير حتى أرسل قوة قدرت بحوالي 2200 فارس على نهر سيق وقرر تريزيل مهاجمة هذه القوة قبل أن يتم تدعيمها بقوات اكبر لذلك انطلق يوم 26 جوان 1835 على رأس قوة قدرت بحوالي 5000 من المشاة، وفرقتين من قناصي إفريقيا وأربع قطع مدفعية ومستشفى ميدان، ووصلت هذه القوة إلى غابة مولاي اسماعيل وأخذت تقتحمها[3]، وسرعان ما التقى الجيشان حيث بدأ فرسان الأمير بهجوم مباغت، وما زاد من تأثير أن المفاجأة الفرنسيين كثافة الغابة، وهذا ما أدى إلى تمزيق التنظيم القتالي للقوات الفرنسية، وبعد مدة بدأت حدة الهجوم من طرف المسلمين تتباطأ فواصل الجيش الفرنسي نحو الأمام[4].

وفي صباح يوم 28 جوان قرر تريزيل الإنسحاب والعودة إلى قاعدة ارزيو، فقواته لم تعد قادرة على مواصلة القتال، كما أن عدد الجرحى كان كبيرا[5]، لكن قواة الأمير كانت تسير بسرعة أكبر فقد

---

[1]- آ ف دي نيران، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية في الجزائر، تر: أبو العيد دودو، دار الهومة، الجزائر، دط، 2003، ص 72.

[2]- المرجع نفسه، ص 71.

[3]- أديب حرب، المرجع السابق، ص 83.

[4]- المرجع نفسه، ص 84.

[5]- فتحي دردار، المرجع السابق، ص 19.

عمل خلال الليل على قيادة بعض قواته ووضعها على محاور الاتصال مع وهران، ومن هنا قرر تريزيل أن يتحول إلى جبال حميان بأن يسلك سهل ارزيو، عن طريق نهر المقطع الذي كان يسمى نهر الهبرة.

فلما رأى الأمير حركة العدو فهم مقصودها فسبقهم على المضيق وسيطر عليه، ولما وصلت القوات الفرنسية إلى هذا المكان وجدته محاصرا وهنا اندلعت معركة طاحنة وتلقت قوات تريزيل على إثرها هزيمة شنعاء في العتاد والأرواح.

اهتزت فرنسا كلها عندما وصلتها أخبار معركة المقطع وارتفعت صيحات التحقيق، وتخوفت الطبقة العسكرية في أن تغير الحكومة الفرنسية موقفها في الجزائر، فضغطوا عليها حتى تبقى قواتها العسكرية هناك، كما عملت الحكومة الفرنسية على تخفيف الصدمة وتهدئة الرأي العام الفرنسي وطمأنته على أن الوضع في الجزائر ليس بالسيئ[1]، كما نتج عن هذه الهزيمة خلع الكونت دي ديرلون واستبداله بالمارشال كلوزيل، كما حل الجنرال دارلانج محل تريزيل وفتحت أبواب الحرب من جديد[2].

معركة موزاية (12 جوان 1840):

لم تكن معركة غابة كرازة العفرون إلا بداية المجابهة بين الأمير وفالي أثناء تقدم الفرنسيين نحو المدية، حيث كان الأمير في هذه الفترة على مرتفعات مضيق موزاية يتهيأ لوقف الزحف الفرنسي، فمنذ 06 أشهر وبصورة خاصة خلال فترة الـ17 يوما من 25 ماي إلى 12 أي بداية معركة العفرون مباشرة وحتى بدأ معركة موزاية، ولم يترك الأمير فرصة إلا واستغلها فحفر مجموعة من الخنادق على المرتفعات الجنوبية والشمالية، وسارع إلى توزيع المهام إلى جيشه لتنفيذها[3]، أما الجنرال فالي قسم قواته إلى ثلاث كتائب، الأولى تحت قيادة دورفيف والثانية تولاها لامورسيل والثالثة أوكلت إلى ودوتبول[4]، بدأت المعركة في 12 جوان في الصباح الباكر بتقدم فرقة الدوق لادوليان نحو المرتفعات، كما قامت

[1]- شارل هنري تشرشل، المرجع السابق، ص 136.

[2]- المرجع نفسه، ص ن .

[3]- أديب حرب، المرجع السابق، ج2، ص 285.

[4]- شارل هنري تشرشل، المرجع السابق، ص 242.

طرق الجنرال دورفيف بالتوجه نحو مضيق موزاية وفي الوقت نفسه تمركزت فرقة على مرتفعات الغذاء، أما الأمير كان يراقب الوضع وتحركات فرنسا وأصدر الاوامر لقواته بعدم إطلاق النار حتى تصبح القوات الفرنسية في مرماهم[1]، كانت خسائر القوات الفرنسية في هذه المعركة اكثر بكثير من خسائر قوات المقاومة حين أدت إلى مقتل 84 جندي وضباط وجرحى لم يقل عن 150 من بينهم الجنرال شوام والجنرال رومبي ومساعده ماريو[2]، أما الخسائر الجزائرية أقل بكثير من الخسائر الفرنسية، لاشك أن الأمير كان بارعا في خططه القتالية في منطقة موزايا، متأكدا من نجاحه وإحرازه انتصارا على قوة فالي، فلهذا أسرع إلى المكان وركز عناصره في جميع زواياه قبل أن تطل مقدمة الوحدات الفرنسية على مشارفه[3].

أما معاهداته:

أ- معاهدة دي ميشيل (26 فيفري 1834م):

بتوالي انتصارات الأمير وجيشه الفتي اضطر دي ميشيل الفرنسي حاكم وهران أن يعقد معه هدنة في 17 شوال 1249هـ- 26 فيفري 1834م، اعترف فيها بإمارته على كامل البلاد مقابل إقراره لفرنسا السلطة على مدن: الجزائر ومستغانم ووهران وارزيو[4]، واستفاد الأمير من المعاهدة التي وقعها مع القائد العام للقوات الفرنسية في مدينة وهران، والتي شكلت اعترافا صريحا لدولته واعتراف السلطان المغربي عبد الرحمان ابن هشام به كقائد بدولة مؤكدا على ذلك.

تنص المعاهدة:"إن الجنرال دي ميشيل قائد إقليم وهران وأمير المؤمنين سيدي الحاج عبد القادر ابن محي الدين قرر العمل بالشروط التالية":

---

[1]- أديب حرب، المرجع السابق، ج2، ص ص 292-300.

[2]- المرجع نفسه، ص 302.

[3]- نفسه ، ص 303.

[4]- يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري،المرجع السابق، ص 52.

المادةالأولى: إن الحرب بين الفرنسيين والعرب ستتوقف منذ اليوم، وإن القائد العام والأمير عبد القادر سيبذلان جهدهما من اجل إحلال السلم والتآخي والإحترام بين الشعبين أن يعيشا تحت نفس السلطة، ولهذا سيرسل الأمير ممثلين عنه إلى وهران ومستغانم وارزيو، ويرسل الجنرال من جهة ممثلين إلى معسكر لمنع النزاع بين الفرنسيين والعرب.

المادة الثانية: أن الدين وعادات العرب ستكون محل احترام.

المادة الثالثة: كل الأسرى سيطلق سراحهم حالا من الجانبين.

المادة الرابعة: حرية التجارة ستكون كاملة وشاملة.

المادة الخامسة: إن العسكريين الفارين سيعيدهم العرب، ونفس الموقف سيؤخذ إزاء كل العرب المجرمين، فهؤلاء سيقضى عليه في الحال ويسلمون إلى ممثلي الأمير في المدن الثلاث المحتلة.

المادة السادسة: كل أوروبي يريد التنقل داخل البلاد سيحمل معه جواز سفر، موقع عليه من ممثلي الأمير ومصادق عليه من القائد العام حتى يجد المساعدة و الحماية في كامل الإقليم[1].

إن هذه الشروط، التي كتبت بأعمدة متزاوية بالعربية والفرنسية، قد وقعها وختمها الطرفان، نلاحظ أن شيئا لم يذكر في هذه المعاهدة عن احتكار التجارة، غير انها عبد القادر كانت له وثيقة وكان راضيا، أما دي ميشيل الذين كان فخورا بما اعتبره انتصارا دبلوماسيا، فأسرع بإرسال بشائر السلام المباركة إلى الحكومة الفرنسية.[2]

نقض الهدنة: ولو أتيحت للأمير فسحة من الوقت ما أصبحت دولته من الدول الكبرى، لها مكانتها في العالم، لكن الفرنسيين قوم غدارون لا يعطون العهود قيمة، ولا يقدرون المواقف الإنسانية حقها، فكانوا كما قال الأمير (شكيب أرسلان): "كانت معاهدات الدول الاستعمارية مع الأهالي الأقطار التي تضع نصب أعينها الاستيلاء عليها هي في الغالب محاط الحرب لا غير، حيث لا تعدم

[1]- شارل هنري تشرشل، المرجع السابق، ص 112.

[2]- المرجع نفسه، ص 113.

عذرا لدى توفر القوة في نقض المعاهدات التي لم تبرمها منذ البداية إلا في نية النقض"[1]، فعمدوا إلى نقض الهدنة بجملة من الإلتواءات، وعديد من التفسيرات العقيمة للفظة "هارب" التي يريدون أن يحملوها غير معناها المراد والمقصود في نص المعاهدة، وذلك من اجل فرض السيطرة الفرنسية على قبائل الدوائر والزمالة اللاتي أعلنت موالاة حاكم وهران تريزيل. ورضوا بحكمه عليهم وطلبوا منه مساعدتهم على الانتقال إلى أسوار مدينة وهران حيث يشملهم حكمه. نقض تريزيل الهدنة ولم يمض عليها أكثر من عام واحد، وكان جواب الأمير على هذا بالمناداة على قومه بالجهاد العام وبهذا أدرك الفرنسيون أنهم لا قبل لهم بهذا الأمير وقوته رغم ما حاولوه من بث التفرقة، وزرع روح التخاذل بينهم[2].

ب– معاهدة تافنة (30 ماي 1837م):

حيث وقعت معركة واد تافنة تقابلت قواة الامير مع الجنرال بيجو وقواته، وانهزم فيها وفقد من رجاله 3500 جندي، وخرج عنه ما يقارب 500 جندي بسقوط فكرة الإحتلال الكامل التي يدعوا ويتعصب إليها، حدث هذا في نفس الوقت الذي هزمت فيه قوات الفرنسيين بقيادة كلوزي لاما حامية قسنطينة وانكسرت وتحملت ويل الهزائم الشنيعة الشهيرة على أحمد باي زعيم بايلك الشرق ورائد المقاومة به.[3] وكان هدف الفرنسيين من سلم الأمير من أجل القضاء على مقاومة أحمد باي الذي قاوم الإستعمار من جهة الشرق إلى حين من الزمن، إزاء هذا التقدم العظيم الذي حصل عليه الأمير في الميدان العسكري، اضطر بيجو إلى عقد صلح آخر معه: معاهدة تافنة[4] في يوم 30 ماي

[1]– يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، المرجع السابق،ص 54.

[2]– المرجع نفسه، ص 55.

[3]– نفسه، ص 58.

[4]– تافنة اسم لنهر بإقليم وهران يصدر من جبال بني سنوس ويصب في البحر الأبيض المتوسط على بعد حوالي 50كلم، اطلق اسمه على معاهدة تافنة التي جرت بين الأمير وبيجو ودمت سنتينن 1837–1839م، فقد نصها العربي وترجمها الفرنسيون واعتبروه هو النص العربي الأصلي، يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832م–1847م) المرجع السابق، ص 72.

1837م وكانت هذه المعاهدة اعترافا صريحا من حكومة فرنسا لإمارة الأمير التي أصبحت تشكل ثلاث أرباع منطقة الجزائر زيادة على مدينة وهران كلها[1]، وقد نصت هذه المعاهدة على:

المادة الأولى: أن يعترف الأمير بسيادة فرنسا.

المادة الثانية: تحتفظ فرنسا لنفسها في إقليم وهران ومستغانم ومزغران ونواحيها.

المادة الثالثة: على دولة فرنسا أن تعترف بإمارة الأمير في إقليم وهران والتيطري ، والقسم الذي لم يدخل في حكم فرنسا من إقليم مدينة الجزائر لجهة الشرق بحسب التحديد المعين في الشطر الثاني.

المادة الرابعة: ليس للأمير حكم ولا سلطة على المسلمين من أهل البلاد المملوكة لفرنسا، ويسمح للفرنسيين أن يقيموا في مملكة الأمير كما أنه يسمح لهم أن يستوطنوا في المنطقة التابعة لفرنسا[2].

المادة الخامسة: يتمتع العرب المقيمون في المنطقة الفرنسية بحرية تامة، ويمكنهم بناء مساجد وممارسة شعائرهم تحت رئاسة علمائهم.

المادة السادسة: على الأمير أن يدفع للقوات الفرنسية ثلاث آلاف مكيال من القمح وثلاثون ألف مكيال من الشعير و خمسة آلاف رأس بقر ويقع تسلم هذه المواد في وهران على ثلاث دفعات.

المادة السابعة: بإمكان الأمير أن يشتري من فرنسا البارود والكبريت والأسلحة التي يحتاجها[3].

المادة الثامنة: إن الكراغلة[4]الذين رغبون في البقاء في تلمسان أو في غيرها لهم الحرية المطلقة بالتمتع بأملاكهم ويعاملون معاملة الحضري.

---

[1]- يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري،المرجع السابق، ص 58.

[2]- المرجع نفسه، ص 59.

[3]- شارل هنري تشرشل، المرجع السابق، ص 60.

[4]- الكراغلة هم الحزب الثاني المنشق عن طاعة الأمير بمدينة تلمسان ويرأس هذه الفئة المازري وقد مالوا إلى الفرنسيين ضد الأمير ينظر: يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، المرجع السابق ص 60.

المادة التاسعة: يجب على فرنسا أن تتخلى على منطقة الرشقون ومدينة تلمسان وقلعة المشور مع المدافع القديمة التي كانت فيها قديما، ويتعهد الأمير بنقل الدخائر الحربية والأمتعة العسكرية الفرنسية من تلمسان إلى وهران[1].

المادة العاشرة: التجارة بين العرب والفرنسيين تكون حرة ويمكن لكل طرف أن يقيم المبادلة في منطقة أخرى.

المادة الحادية عشر: يكرم ويحترم الفرنسيين عند العرب، كما يكرم ويحترم العرب عند الفرنسيين.

المادة الثانية عشر:يعاد المجرمون في كلا المنطقتين بالتبادل.

المادة الثالثة عشر: يتعهد الأمير بتسليم أي جزء من الساحل إلى دولة أجنبية مهما كانت دون إذن فرنسا.

المادة الرابعة عشر: لا تجوز المعاملات التجارية للولاية إلا في الموانئ الفرنسية.

المادة الخامسة عشر: تبقي فرنسا على ممثلين لها لدى الأمير، وفي المدن سلطته لكي يعملوا الوسطاء لصالح الرعايا الفرنسيين، في كل الخصومات التجارية التي تنجم بينهم وبين العرب، ويتمتع الأمير بنفس الإمتيازات في الموانئ الفرنسية والمدن[2]

فكانت هذه المعاهدة اعترافا صريحا في حكومة فرنسا بإمارة الأمير التي أصبحت تشمل ثلاثة أرباع مقاطعة الجزائر زيادة عن ولاية وهران كلها، باستثناء ما ذكر.

كما كانت هذه المعاهدة أيضا فرصة أخرى للأمير اشتغل فيها بأحوال الرعية فأدب الخونة الإنتهازيين وألّف وجمع القلوب بين القبائل والقرى في مختلف الجهات[3].

[1]- يحي بوعزيز ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، المرجع السابق، ص 60.

[2]- شارل هنري تشرشل، المرجع السابق ،ص ص 160-161.

[3]- يحي بوعزيز ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، المرجع السابق، ص 61.

نقض المعاهدة: بينما كان الأمير يجد في عمل البناء والتشييد، وإذا بالفرنسيين يعمدون مرة أخرى المعاهدة، بما لديهم من الأباطيل وطرق المغالطات اللفظية والتأويلات السفسطائية[1].

ولكن الأمير الذي لم تنطلي عليه هذه الترهات والمراوغات الفرنسية المكشوفة، قطع هذا النقاش البيزنطي، وأعلم الفرنسيون في 27 رجب 1255هـ، 16 أكتوبر 1839، بانتهاء معاهدة الصلح، والرجوع إلى حالة الحرب الأولى، دفاعا عن الوطن و حفظا على كرامة الشعب وصونا لحقوقه وشرفه، فتهول الموقف جدا لأن الفرنسيين يعد جدالا طويلا مناقشات حادة في المجلس الوطني، فقرروا مواصلة الحرب واكتساح البلاد طولا وعرضا[2] واستعد الأمير من جهته للأمر، فجهز الجيوش ورتب الكتائب ونظم الخطط واستلزم كل ما يلزم ثم هاجم العدو بشدة وعنف، وأخذت المعارك بين الأمير والجيش الفرنسي و تكبد المحتلون خسائر لا تقدر في الأرواح والعتاد، فاستنجدوا بفرنسا التي أمدتهم بـ 50 ألف من الجنود مع ما يلزمه من عدة وذخيرة قادهم بيجو عن طريق البحر صوب الجزائر[3].

ج- مواقف المتبادلة بين الأمير عبد القادر و الحاج أحمد باي:

تكمن العلاقة بين الأمير والحاج أحمد باي في كونها تشكل الحلقة المفقودة في الأحداث التي تميزت بها السنوات الاولى للإحتلال الفرنسي، وتمثل نقطة الضعف في المقاومة الجزائرية[4] حيث تحكمت فيها عوامل نفسية، واعتبارات اجتماعية وظروف سياسية أدت إلى توتر في العلاقات استحال معه تبادل المساعدة والعون بين هذين الزعيمين.

العامل السيكولوجي (النفسي): فالعامل النفسي الذي باعد بينهما يعود إلى مكونات الشخصية لكل منهما، فالأمير كان لا يميل إلى العنصر التركي، ولا يطمئن إلى جماعة الكراغلة ولا يثق بموظفي

---

[1]- السفسطائية : مدرسة فلسفية يونانية نشأت في القرن 6 و بداية القرن 5 ق م ، كانت دروسها تشرح طريقة اقتناص الفرصة و الوصول الى السلطة ، أو تمارين لايجاد فنون المناظرة و الإقناع .

[2]- ، يحي بوعزيز ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ، المرجع االسابق، ص 62.

[3]- نفسه، ص ص 62-63.

[4]- سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وآفاق،(مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 98.

البايلك ولا يتعاون مع فرسان المخزن، وذلك بسبب انتمائه إلى الطريقة القادرية التي ورثها عن والده، وانتسابه لقبيلة بني هاشم العربية الأصل، وكل ذلك مكنه من الإلمام بالثقافة العربية والمقومات الدينية الإسلامية. ومن ثم اعتبر الأمير فشل الداي في التصدي لاحتلال الجزائر بمثابة نكسة، وهي بداية نهاية ارتباط الجزائر بالباب العالي[1]. أما الحاج أحمد باي فقد كان يرى بضرورة الحفاظ على بايلك الشرق والحرص على ربط الجزائر دوما بالدولة العثمانية، بسبب كونه كرغوليا وتوليه منصب باي قسنطينة منذ 1826م، وطموحه الدائم لنيل لقب الباشا جعله يتمسك بكل ذلك حتى بعد هزيمته امام فرنسا 1837م بعدما فك الحصار على قسنطينة، وسقوط أسوارها. كما كانت خطة احمد باي واضحة في تعامله مع جماعة الحضر وبعض من اعيان قسنطينة، وكان صراحة احمد باي قد كسبت له الكثير من الأعداء أكثر ما كسبت له من أصدقاء، فقد عبر في الكثير من المرات عن رفضه لزعيم الأمير[2].

العامل الإجتماعي: لا يمكن إهمال الجانب الإجتماعي من الدراسات التاريخية والذي يعد من العوامل الفاعلة والمتحكمة في الحدث، وهذا ما يظهر جليا في طبيعة الإختلاف الذي ميز حركة المقاومة التي خاضها كل من الأمير وأحمد باي، لإختلافهما الإجتماعي، أي يعود في أساسه إلى واقع العلاقة بين الريف والمدينة، فالمدن الجزائرية حيث تتمركز الأقلية التركية وتتواجد عناصر الكرغلية التي تعيش جماعة الحضر وطوائف اليهود في قيمة اقتصادية وأحيانا في مكانة الثقافة إلا أن هذا النشاط اقتصر على المدينة أكثر من انتشاره في الريف الذي كان يشغل قرابة 95% من مجموع سكان الجزائر[3] ومن ثم كانت مقاومة أحمد باي قد تركزت في المدينة مثل قسنطينة وعنابة عكس مقاومة الأمير عبد القادر التي ربطت بين الريف والمدينة واتصفت بطابع الشعبي والتعبئة الواسعة، وهناك

[1]- ينظر: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830-1962، أحمد مريوش، المدرسة العليا للأساتذة في الأداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة 2006-2007، ص 07.

[2]- سعيدوني ناصر الدين ، الجزائر منطلقات وآفاق...،المرجع السابق، ص 100-101.

[3]- المرجع نفسه ، ص ص 101-102.

خاصية أخرى ميزتها مقاومة الأمير وهي الدفاع عن الأرض والملكية وهما عنصران أساسيان في ديمومة المقاومة وهذه الصفة ضعيفة جدا في المدينة ونجد هذه الخاصية في المراحل الأولى للمقاومة لذلك رغم احتلال القائد الفرنسي كلوزيل لمنطقة معكسر في ديسمبر 1835، وتلمسان 1836، فإن مقاومة الأمير ظلت متواجدت لإرتباطها بعامل الريف والقرى المجاورة وهذا ما ميزته أيضا مقاومة احمد باي في إقليم الزيبان بعد سقوط مدينة قسنطينة 1837، باعتبار أن الكثير من القبائل احتضنت مقاومة الجنوب كما أن أحمد باي لم يولي منهجه الإستراتيجي العسكري بالبعد الديني وتعزيز العلاقات الدينية والروحية مع شيوخ طرق الصوفية، وهذا عكس الأمير الذي أسس مقاومته على البعد الروحي الجهادي[1].

العامل السياسي: هو الأخر الذي تحكم في علاقة الأمير مع أحمد باي ودفع كل منهما إلى معادات الأخر والتخوف منه، فهي ترجع في مجملها إلى تجاهل الأمير لأحمد وعدم تفهم هذا الأخير بخطورة الوضع الفترة التي تلت احتلال الجزائر العاصمة مباشرة.

فأحمد باي كان في اعتقاده أنّ بإمكانه إنقاذ الإقليم الشرقي من الجزائر وحصر الخطر الفرنسي عن السواحل،في حين ظلت المناورة الفرنسية البسيكولوجية سارية على أنّ فرنسا جاءت لتأديب الداي حسين على فعلته مع دوفال[2]، كما أن أحمد باي لم يمركز جهوده مع بقايا الكراغلة والأتراك وحتى المعجبين به في باقي البيالك الأخرى وخصوصا في بايلك التيطري الذي كان يحيوي عدد من الكراغلة، كما كانت علاقته ضعيفة إلى حد ما مع طرابلس وحتى تونس القريبة منه جغرافيا اعتمد على الجهود في المقاومة، والتي لم تكن كافية، مع العلم أن بايات تونس تحالفوا في العديد من المرات مع فرنسا ضد المقاومات الشعبية الجزائرية، اما الأمير فقد كانت مساعيه أكثر دبلوماسية فقد حاول ربط علاقاته مع تونس وأرسل لها هدايا عن طريق ممثليه للحد من توسع فرنسا في الإقليم[3].

---

[1]- سعيدوني ناصر الدين ، الجزائر منطلقات وآفاق...،المرجع السابق، ص ص 102-103.

[2]- المرجع نفسه ، ص ص 104-105.

[3]- نفسه، ص 105-106-107.

موقف أحمد باي من الأمير إثر إبرام معاهدتي دي ميشيل والتافنة: مما لا شك فيه أن الأمير كان يهدف من إبرام هذه المعاهدتي : دي ميشيل في 26 فيفري 1834 والتافنة في 30 ماي 1837، مع إدارة فرنسا لكسب رهان الوقت، وبرط العلاقات الخارجية وبالتالي تحديث الجيش وبناء أسس الدولة الجزائرية الحديثة ويعد ذلك اعترافا رسميا للأمير للسيادة الجزائرية.[1]

– لكن قراءة أحمد باي للظروف عكس رؤية الأمير عبد القادر اعتبرها عملا عدائيا ضده، ورأى فيهما خطة تستهدف القضاء على حكمه بالبيلك الشرق، وهذا مادفعه إلى التشهير بهذا بالتواطؤ واتهام الأمير عبد القادر بأنه يتعامل مع العدو الفرنسي لإحاق الهزيمة به، ففي رسالة وجهها إلى كمال باي، أحد اعيان الدولة العثمانية في شهر جوان 1837 أبدى أحمد رأيه في هذه المعاهدة بقوله: " إن العدو أبرم السلام مع الأمير عبد القادر... وأحد شروط هذا السلام أن الأمير متفق تماما مع العدو على القضاء على كل أثر لسلطتي البايلك"، وكان الباي دائما يسوء الظن في الامير ويتصوره بالمتحالف معه فرنسا ضده، نلمس ذلك من خلال مراسلة هذا الاخير للباب العالي 1838 وهو في إقليم الاوراس، ومما تضمنته رسالته بقوله: "عبد القادر انظم للفرنسيين قائلا لهم إذا مانحتموني قسنطينة ومقاطعتها فإنني آتي لكم بالحاج أحمد باي حيا، وقد أجابه الفرنسيون عندما تسلم لنا الحاج أحمد باي فسوف نعطي لك قسنطينة ومقاطعتها"[2].

– موقف الأمير عبد القادر من سقوط مدينة قسنطينة: كانت نظرة الأمير عبد القادر حسب دراسة هنري تشرشل أنّ حصار و سقوط مدينة قسنطينة كان لصالحه، وأنّ إنهزام الباي وسع أفاق الأمير اتجاه الشرق[3]. أما موقف الأمير تجلى في موقفه المحايد من سقوط مدينة قسنطينة وبروز فرنسا كقوة جديدة وتراجع الأمير إلى الأراضي المغربية[4].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية، ج2،المرجع السابق، ص 181.

[2]– سعيدوني ناصر الدين ، الجزائر منطلقات وآفاق...، المرجع السابق ، ص 108-109.

[3] - المرجع نفسه، ص 109.

[4] - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 12.

4- بناء الدولة الجزائرية الحديثة:

أدرك الأمير للوهلة الأولى أن النظام والاستقرار هي الدعائم الأولى لبناء صرح الدولة الفتية ولمواصلة الجهاد، ولن يتحقق له ذلك إلا بإنشاء كيان قوي عصري، يجمع فلول هذه الجماهير، ويوحد تلك القبائل المتفرقة ففي وحدتها قوة الإمارة ومناعتها لتتمكن من مقارعة فرنسا الغازية ومواجهتها الند للند، ولتكسب مقاومته صفة الشرعية و تجلب إليها الدعم والتأييد.

فكان أول ما سعى إليه الأمير في بناء دولته، أنه تجنب أخطاء الحكم التركي الذي جعل ممثليه في الجزائر عرضة للخطر، فعمد إلى بناء إمارة أساسها إخلاص الحكم وثقة المحكومين ، لأن الأمير يدرك أن بقاء الدولة والحكم لن يأتي بحال ومن الأحوال إلا إذا كانت الثقة متبادلة بين الحاكم والرعية[1]، فاختار لها التنظيمات التالية:

أ- التنظيم الإداري:

1- راية الإمارة: كانت راية إمارة عبد القادر من الكتان الحريري أعلاها وأسفلها خضروان، أما اللون في القسم الأوسط فأبيض، ورسمت فيه يد مبسوطة وكتب حولها بشكل دائري عبارة: "نصر الله وفتح قريب، ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين"، والرسم والكتابة كلاهما مطرز باللون الذهبي، وقد عين الامير عبد الله بن يوسف لحملها[2].

2- توزيع السلطات:

أ- السلطة التنفيذية: تعتبر السلطة التنفيذية أهم السلطات في دولة الأمير، فقد رأسها بعد انتخبته سنة 1832 سلطانه، وأصبح منذ ذلك الحين المرجع والحكم للبث بالأمور التي تهدد مجتمعه، وحرص رغم تمتعه بسلطة مطلقة الاستثنائية، على أبعاد الطابع الفردي لسلطته وأشرك ممثلين من العلماء وشيوخ القبائل في حكومته من معسكر، اختار الأمير أعضاء حكومته من الأشخاص والعناصر التي تتمتع بالشخصية القوية والسمعة الطيبة، بحيث اقتدوا بالأمير وساروا على خطاه، وقد تقبلوا

[1]- عبد الرزاق بن السبع ، المرجع السابق ، ص 247.

[2]- أديب حرب، ج2، المرجع السابق، ص 40.

الصعوبات والمشقات من غير تردد[1]، وفيما يتعلق بتشكيل مناصب الوزارات: ويعبر عنها بالنظرات وهي:

- الوزارة الداخلية: أسندها إلى السيد محمد بن العربي.
- الوزارة الخاريجية: أسندها إلى السيد أبي محمد الحاج المولود بن عراش
- الوزارة المالية: أبي عبد الله الحاج الجيلالي بن فريحة.
- وزارة الأوقاف: أسندها إلى أبي عبد الرحمان الحاج الطاهر أبو زيد.
- وزارة الأعشار والزكاة: أسندها إلى السيد أبي محمد الجيلالي ابن هادية، وكان الجبات يخرجون مرتين في السنة مرة في الربيع لجباية الزكاة، مرة في الصيف لجباية الأعشار.
- وزارة الحربية: محمد بن الجيلاني، ومهمتها ضرب السكة ووضع الأسلحة والذخيرة.
- وزارة الخزينة الخاصة: وتولاها أبو سعيد محمد ابن فاخة.[2]

وهناك مراكز إدارية مهمة، أوضيفت إلى النظارات وأنشأت لتسيير الأمور الخاصة أهمها:

- كتابة الديوان الأميري: تداول عليها كل من ابن عمه الأمير وأحمد بن علي ابن أبي طالب والسيد مصطفى بن أحمد التهامي ثم خلفهما محمد بن الخروبي وأخيرا مصطفى بن العوني.
- الملبوس الأميري: الحاج البخاري الرحاوي.
- الفراشة: عبد القادر ابن أبي معزة.
- السقاية: البدارلي بن شافعية.
- حمل الشمسية: عبد الله بن أبي يوسف.
- رئاسة الموسيقى: أبو مدين بن أبي داغسن.
- رئاسة الإسطبل: محي الدين بن عبد الله.[3]

---

[1]- أديب حرب، ج2، المرجع السابق، ص 40.

[2]- يحي بوعزيز ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، المرجع السابق، ص ص 83-84.

[3]- أديب حرب ، ج2، المرجع السابق، ص ص 43-44.

ب– السلطة التشريعية: إن السلطة التشريعية كان مقرها معسكر، اتخذت القرآن الكريم والسنة النبوية وكتب المذهب المالكي دستورا لها، وقد عهدت إلى مجلس تشريعي واحد دراسة قضايا الدولة الاساسية، بينما وزعت الثانوية على عدة مجالس فرعية :

– **مجلس الشورى الرئيسي والأعلى:** اتخذ الأمير في كل مقاطعة دار للشورى، لبحث الأمور الهامة في الدولة وجعل إنتخاب أعضاء هذه المجالس من قبل النواب الذين كانوا يدعون بالخلفاء، وربطها بالمجلس الأعلى للبلاد، المؤلف من 11 عالما وبمجالس الإستئناف، وأما العلماء فهم: أحمد المحفوظي، أحمد الطاهر بن الشيخ المشرفي، محمد المختار الورغي، ومختار بن مكي الحاج، عبد القادر بن روكس، إبراهيم بن القاضي، أحمد بن الهاشمي، أما نفقات هذه المدارس فكانت تصرف في بيت المال كباقي كوادر الدولة، وأما أصحاب الوظائف الدينية وما يتعلق بها فكانت رواتبهم تصرف من خزينة وزارة الأوقاف[1].

– مجالس الشورى الفرعية: تعددت هذه المجالس وتوزعت في كافة الإمارة وقد ارتبطت بأعضائها الذين كانوا يعينون بأوامر من خلفاء الأمير في المقاطعات لمعالجة الأمور البسيطة فيها لحلها وتدوينها في سجل خاص. وتتمتع هذه الأخيرة في النظر في القضايا التشريعية الدقيقة الخارجة عن صلاحياتها، وتعدت حدود مقاطعتها، في هذه الحالة تعرض على مجلس الشورى في معسكر الذي يلتئم برئاسة الأمير لإصدار القرارات المناسبة بشأنها[2].

ج– السلطة القضائية: امتاز النظام القضائي في عهد الأمير بتنفيذ القاضي تماما، مثل الأمير بالأحكام الدينية من خلال تطبيق الشريعة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنّة، وما في الأمير إلا مراقبتها والحرص على تطبيقها تطبيقا صحيحا، كما كانت هذه السلطة منفصلة عن التنفيذية بقدر ما كان يمارسها تنفيذا للقانون وليس ممثلا للأمير مع أن هذا الأخير كان هو الذي يعينه، وقد كانت صلاحياتها واسعة: نظام الأحوال الشخصية والورايث والشؤون العقارية، وكان أيضا يصادق على

[1]– أديب حرب ، ج2، المرجع السابق، ص 45.

[2]– المرجع نفسه ، ص ن.

العقود المحررة من طرف الكاتب الشرعي، فالمرجعية الدستورية العليا هي القرآن الكريم والسنة والإسترشاد باجتهاد العلماء والفقهاء المجتهدين والمذهب المالكي[1].

المقاطعات الإدارية: كان حكم الأمير في مبادئه محصورا في عمالة وهران فقط، ثم بفضل مجهوداته الحربية التي بذلها، ونفوذه السياسي والاجتماعي واستطاع أن يكتسح معظم بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) واضطر إلى تقسيمها إلى 8 مقاطعات وهي[2]:

- مقاطعة تلمسان: عاصمتها تلمسان ومرأفها رشقون، وولي عليها محمد البوحميدي الولهاصي .
- مقاطعة معسكر: ولي عليها ابن فريحة المهاجي ثم مصطفى ابن أحمد التهامي[3].
- مقاطعة مليانة: عاصمتها مليانة، ولي عليها السيد محي الدين بن علال القليعي، ثم السيد محمد بن علال أحد أقاربه[4].
- مقاطعة التيطري: مصطفى بن محي الدين ثم محمد البركاني.
- مقاطعة مجانة: محمد بن عبد السلام المقراني ثم محمد الخروبي[5].
- مقاطعة الزيبان والصحراء الشرقية: عاصمتها بسكرة ولي عليها فرحات بن سعيد ثم الحسن بن عزوز ثم محمد الصغير بن عبد الرحمان بن أحمد بن الحاج[6].
- المقاطعة جبال القبائل الكبرى أو برج حمزة، عاصمتها برج حمزة (البويرة) ولي عليها أحمد بن سالم الدليسي[7].

---

[1]- عائشة بن ساعد ، المرجع السابق، ص 38.

[2]- يحي بوعزيز ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، المرجع السابق، ص 85.

[3]- عمار بوحوش، المرجع السابق ، ص 109.

[4]- يحي بوعزيز ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، المرجع السابق، ص 85.

[5]- صلابي علي محمد، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي ، دط، دار المعرفة، بيروت، 1983،ص 129.

[6]- أديب حرب ، المرجع السابق ، ص 52.

[7]- يحي بوعزيز ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ،المرجع السابق، ص 86.

– مقاطعة المنطقة الغربية من الصحراء: ولي عليها قدور بن عبد الباقي[1].

تميزت دولة الأمير عبد القادر بحسن التنظيم، إذ كانت كل منطقة تنقسم إلى داوئر وكل دائرة منها يرأسها (آغا) الذي كان يعين كل سنتين قابلة للتجديد، وكانت تقسم إلى وحدات إدارية يحكمها القائد يعين لمدة سنة قابلة للتجديد، ويساعد هذا القائد الشيوخ في كطل قبيلة أو قرية يعين لمدة غير محدودة[2].

ومن مظاهر عبقرية الأمير أقصى جميع العمال الذين كانوا في عهد الدولة الجزائرية التركية[3]، وكان تعيين الخليفة يقرر داخل الديوان الأميري، وعند تكليفيه بمهامه يسلم وخاتما نقش عليه اسمه ولقبه ويعطى برنس الجوخ حسب رتبته، وبعد ذلك يحلف على صحيح البخاري بيمين الطاعة والعمل بإخلاص والتضحية في سبيل إمارة وشعبها[4].

التنظيم الإقتصادي: لقد أنشأ الأمير نظاما اقتصاديا تشرف عليه الدولة الهدف منه جعل اقتصاد البلاد في خدمة غايات القتالية بصورة ومصلحة للفقراء والشعب بصفة عامة[5].

أ– الزراعة: أدرك الأمير عبد القادر الأمن الغذائي لدولته وباشر بالعنصر الأساسي هو الزراعة وألغى عن الفلاح ضريبة الخراج، شجعه على العمل والاعتناء بممتلكاته ليتمكن من إدراج قسطا من محاصيله في مخازن الدولة لينفق عند الضرورة[6] وفي سنة 1837م فاق المردود الزراعي كافة المحاصيل، وسنة 1839م كان إحتياط الحبوب في مخازن المقاطعات يكفي جيش الإمارة لسنتين، ذلك بالرغم من تدني تقنيات الإنتاج إلا أن خصوبة الأراضي كانت ذات مردودية عالية بما أن الحبوب كان المادة

[1]– عمار بوحوش ، المرجع السابق ، ص 109.

[2]– المرجع نفسه، ص 110.

[3]– يحي بوعزيز ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، المرجع السابق، ص 87.

[4]– أديب حرب، المرجع السابق ص 52.

[5]– محمد علي الصلابي ، المرجع السابق، ص 135.

[6]– محمد بن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق ص 314.

الأساسية للاستهلاك المحلي وأحيانا للمقايضة أو التصدير وكانت تزرع بكثرة في مساحات مخصصة في المناطق من البلاد، كسهل غريس وقلعة بني راشد ومستغانم وتلمسان[1]

ب- الصناعة: لم يكن بحث الأمير وتخزينه للمعادن الخالصة ضرورية فقط لصنع عملته، بل كذلك من أجل تكوين صناعة قادرة على جعله مستقلا عن الخارج، وقد استطاع في سنة 1839 أن يجمع بين 2000 قنطار من الحديد و 200 من النحاس وقد تمخضت أبحاثه عن اكتشاف منجم للكبريت قام مباشرة باستغلاله، ومنجم آخر للرصاص[2]، وإنشاء مصانع لتحويلها من مادة خام إلى أداة حربية، ولقد تعددت تلك المصانع وكانت تتمركز في مناطق مختلفة أهمها مصهرة الحديد ومطحنة لإنتاج البارود بتلمسان[3]، وبمليانة أسس ورشة لصنع البنادق وأخرى لإنتاج البارود[4] ومصنعا للأسلحة للأسلحة في معسكر كانت تجهز فيه الخراطيش، وبتاقدمت أقام الأمير ورشة للبنادق[5].

ج- التجارة: كانت التجارة مزدهرة بفضل الأمن الذي كان منتشرا تماما في كل الأقاليم الواقعة تحت سلطة الأمير وكان الأمير صارما فيما يخص قضية الأمن والطرق والأسواق وكانت العقوبات قاسية بالنسبة لما كانوا يتعرضون القوافل المحملة بالبضائع[6]، وأوري الأمير العناية التامة بالأسواق حيث ضبط ضبط رسوم الأسواق وحقوق الجمارك وذلك حتى يحول دون تسلم البضائع إلى المراكز الفرنسية

---

[1]- أندري بيرنار، أندري نوشي، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: الإسطنبولي رابح، ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 187.

[2]- محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 140.

[3]- زاير عبد القادر، مذكرة تخرج بعنوان دور الخلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية (1832-1847)، إشراف محمد الطيبي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2009ن 2010، ص 21.

[4]- المرجع السابق، هنري شارل تشرشل، ص 139.

[5]- اسكوت الكولونيل، مذكرة الكولونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر، 1841، دار النشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص 88-89.

[6]- ، محمد علي الصلابي ، المرجع السابق ،ص 136

بالسواحل، فمنع تصدير أي بضاعة أو أي إنتاج دون رخصة من ممثل الدولة وأوقع العقاب للمهربين المعترضين سبيل القوافل المتنقلة بين الأقاليم أو المتوجه إلى الأسواق الداخلية[1].

إن طبيعية ونوعية الزراعة الريفية وخصائصها قد حددت وضعية الأرض بموجب قوانين الإمارة الداخلية التي انعكست وكانت ذات فائدة على الخزينة أما الصناعة فكانت مورودا ضئيلا لحكومة الأمير أم النشاط التجاري فكان له الدور الأكبر في إمداد خزينة الدولة بالأموال اللازمة لتأسيس دولته وبناء جيشه[2]

د: النظام الجبائي: إن المهام العسكرية والمشاريع الصناعية والتسيير الإداري تطلبت موارد مالية كبيرة لمواصلة المقاومة الوطنية وتكملة مشروع بناء الدولة الجزائرية الحديثة، وبذلك يعد النظام الجبائي من أبرز أوجه الحضارة الأصلية التي أشنأها الأمير والتي تزامنت إجراءاتها مع ظروف صعبة ومعقدة[3].

عمل الأمير على الأخذ بكل الاحتياطات اللازمة للحصول على الدعم المادي لمواجهة الاحتلال الفرنسي، بحيث استعمل المرونة والحزم في آن واحد، ومن أهم الإسهامات المالية التي كانت تزود خزينة الدولة هي العشور والزكاة والضريبة المعونة والخطية والغرامة على الجنح والمخالفات، فهذه المصادر المختلفة وفرت للخزينة الجزائرية موارد مالية ساعدت في الإنفاق ورعاية أجهزة الدولة الناشئة.

كانت هذه المداخل تنفق معظمها لسد حاجيات قوات المقاومة الوطنية من أغذية وألبسة والعتاد الحربي وفق ظروف حربية متطلبة للدفاع عن البلاد، أما الجانب الآخر من وجه الإنفاق فهو بناء الحصون ومصانع الأسلحة ومعامل الألبسة والجلود وإنشاء دار صك النقود[4].

إن الأنظمة التي جسدها الأمير في إدراج المال في الخزينة العامة وما يتصل بها من أوجه الإنفاق والدخل تبين مدى الجهد الذي بذله الأمير في بحث الدولة الجزائرية الحديثة كما تبين عبقرية وكفاءته

---

[1]- سعيدوني ناصر الدين ، النظام الضريبي لدولة الأمير عبد القادر، مجلة الثقافة، العدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر ، 1983، ص 123.

[2]- أديب حرب ، المرجع السابق، ج2، ص 69.

[3]- سعيدوني ناصر الدين ،مجلة الثقافة العدد 75المرجع السابق، ، ص 123.

[4]- المرجع نفسه ، ص ص 129-130.

في مجال التنظيم والتسيير وفي نفس الوقت توضح تجاوب الشعب مع مشروع الدولة التي كان يسعى الأمير عبد القادر في تأسيسها.

ج–التنظيم العسكري لبناء الدولة الحديثة.

بداية ظهور الجيش الجزائري تحت إمرة الأمير عبد القادر "1832-1847م"

أ–الظروف التي صاحبت نشأة الجيش.

ب– نشأة جيش الامير.

ج–الأسلحة: "مصادر الاسلحة، مراكز الصناعة"

د– تنظيم الجيش: "شروط الانضمام إلى الجيش، اصناف الجيش"

هـ–قانون القضاء العسكري: "الأجهزة الإدارية للقضاء العسكري، العقوبات والجرائم العسكرية وخصوصياتها لدى الامير"

إن تكوين وتنظيم الجيش هي المهمة الاساسية التي عكف عليها الامير عبد القادر، خاصة بعد إقامته في بلاط محمد علي ومصر، وإعجابه بجيش الخديوي وبتنظيمات جيشه فعمل جاهدا على إنشاء جيش منظم، ومجهز بكل الوسائل التي تجعله على أن يكون في مصاف الجيوش القوية متحديا في بداية الأمر كل ما يعيقه خاصة مع انهيار السلطة التركية، ودخول البلاد مرحلة صعبة لوجود الاستعمار الفرنسي ومواجهتهما له، والتي كانت تحتاج إلى قائد ينظم ويقود هذه الحروب الشريسة ضد العدو الغاشم القوي[1] .

1–الظروف التي صاحبت نشأة الجيش:

لاشك أن دخول الجزائر تحت حكم الأتراك، كانت بمثابة إنقاذ لهذه البلاد من الاحتلال الإسباني، وفد تمتعت البلاد في ظل هذا الحكم ولفترة طويلة بمكانة مرموقة وهيبة دولية، إذ توطدت

[1] – دواودي عبد القادر وخيثر مراد، الجيش الجزائري تحت إمرة الأمير عبد القادر 1832-1847، مذكرة شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة ابن خلدون، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم تاريخ، ص 22.

ركائز الحكم وانتشر الأمن بربوع الإيالة،[1] ولكن مع نهاية القرن 16م بدأت البلاد تأخذ منعرجا خطيرا، حيث تفاقمت الاضطرابات والصراع على الحكم وكثرة الاغتيالات والمؤمرات إلى غاية النصف الثاني من القرن 18.

إن الصراع على الحكم والتنافس اللاشريف من اجل كسب الاموال والثروات بشتى الطرق، هو الذي طغى في الغالب على السياسة التي كان يسلكها بعض الحكام الأتراك بالإيالة، ولعل ما يفسر ذلك هو أن السياسة التركية قد اتسمت بالعزلة وحالت دون إمكانية اندماج الأتراك بالأوساط المحلية،[2] بالرغم من وجود تقارب بين الطائفة التركية الحاكمة وأوساط الاهالي منذ مطلع القرن 19م.[3]

فأثاروا بذلك سخط السكان بعدما حال دون إمكانية تحقيق إندماج الاتراك بالمحليين، قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[4] وعرّضوا سلطانهم للزوال خاصة مع فترة حكم الدايات.

وهذا ما انعكس سلبا على مختلف جوانب الجزائر، فقد كان الكراغلة وقبائل المخزن هي المسيطر خاصة في المناطق: "تلمسان، معسكر، مازونة، مستغانم"[5]

كما أن مجال الصناعة لم يكن متطورا بالمفهوم الحالي، فقد كان مرتكزا على مهنة صباغة الجلود كانت جل نشاطات الجزائريين، فكانت المبادلات التجارية محصورة بين سكان الارياف والمدن.[1]

---

[1] – صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850م، د م ج، الجزائر، 2007، د ط، ص 13-14.

[2] – المرجع نفسه ، ص 15.

[3] – سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830م، الجزائر،ط1، 1979، ص ص 42-44.

[4] – سورة الأنفال، الآية: 53.

[5] – إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، د م ج، الجزائر،دط، 2007، ص 15.

ومع دخول البلاد مرحلة الفوضى والاضطراب وغياب الامن، وزرع الخوف والرعب في قلوب الجزائريين خاصة مع دخول الفرنسيين لأرض الوطن من اجل السيطرة عليهم واضطهادهم واغتصاب اراضيهم وممتلكاتهم بالقوة.[2]

كل هذه الظروف وأخرى جعلت مهام الامير تقتصر في بداية الامر على إزالة العلاقات القديمة القائمة على استغلال الفلاحين وفرض الطاعة على تلك القبائل التي بدأت منذ البداية ولائها له هذا من جهة، ومن جهة أخرى مواجهة العدو الأكبر وهو فرنسا.[3] ومع احتلال كل الساحل من وهران إلى عنابة ورفض القبائل المخزنية الاستجابة لطلب النداء الذي وجهه لهم الأمير، الذي لم يكن ينتمي غلى طبقتهم الاجتماعية وكذا محاولة هاته القبائل التقرب من المحتل الجديد ليحافظوا على امتيازاتهم،[4] هذا ما جعل الأمير يحبذ طريقة الترغيب دون اللجوء إلى القوة فدعا القبائل الخارجة عن طاعته أن يتقيدوا بالقانون وأن يطيعوه وأن يعتبروا بقبائل الغرب في الجهاد لمحاربة الاحتلال، إلا أن زعما ء القبائل لم يدركوا مدى سعي الامير عبد القادر لإنشاء دولة قوية ذات أجهزة إدارية محكمة وتقسيم المقاطعات إداريا، ورغم كل هذا فإن هذا الأخير لم يبق متفرجا على هذه الظروف ، انطلق في بناء دولته انطلاقا من منطقته معتمدا على الجانب الزراعي لتوفير بعض المداخيل عن طريق إنتاج العديد من المزروعات وصرف مداخيلها لشراء الأسلحة، كما سعى إلى إقامة عدة صناعات محلية وكذا تنمية الروابط التجارية مع الجار المغرب، وتوحيد الصفوف في إطار المبادئ الإسلامية.[5] وفي

---

[1] – بوعلام بسايح ، من لويس فيليب إلى نابليون الثالث "الامير عبد القادر، مغلوبا لكن مظفرا، أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم 1830-1954"، تع: خليل احمد خليل، المؤسسة الوطنية، الجزائر،دط، 2010، ص 219.

[2] – صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، المرجع السابق، ص 92.

[3] – شارل روبير أجيرون: الامير عبد القادر وبناء الامة الجزائرية "من الامير عبد القادر إلى حرب التحرير"، تق: عبد القادر بوطالب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، دط، 2009، ص 85.

[4] – المرجع نفسه، ص 62.

[5] – إبراهيم المياسي ، لمحات من جهاد الشعب الجزائري، د م ج، الجزائر، ط1، 2007، ص 38-39.

مقابل ذلك كان يحسب حساب قلة الجند الذين أبدوا له عدائهم،[1] فعمل الأمير إلى الإقناع والإسناد إلى فكرة الدين أو بالاحرى على فكرة الجهاد باعتبارها الرابط الأساسي بين السكان وطبعا هذا إلى جانب التنديد بالاحتلال والدعوة إلى ضرورة مقاومته.[2]

كما كان عليه أن يتحكم في اندفاع مناصريه، لذلك رفع الأمير من الضريبة المفروضة على القبائل.[3]

فكان الهدف الرئيسي من كل هذا خلق أمة جزائرية رغم الظروف الداخلية والخارجية الصعبة التي كانت تمر بها البلاد،[4]ويقول محمد بن عبد القادر الجزائري مؤلف "تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر" أنه بنا إمارته على قوتين: "قوة الرغبة وقوة الرهبة، إلا أن القوة الاولى كانت هي المعول عليها ولذا كان الاكثر من سكان البلاد يطيعونه بخلوص وداد..."[5]

وقد جند الامير في بداية تشكيله لجيشه لمساعدته في إعادة الخضوع لبعض القبائل بعض الفلاحين الذي لم تكن لهم دراية بحمل السلاح،[6]وكذلك بعض المقاتلين من قبائل المخزن المنظمة وكذلك قبيلته قبيلته نفسها "الحشم" وقبيلة بني عامر التي كان الأتراك عادة ما يجندون منها المقاتلين الذين كان لهم دراية بحمل السلاح.[7] وبذلك انطلق الامير في محاربة الخارجين عن طاعته خاصة القبائل الموالية لفرنسا كقبيلتي "الدوائر والزمالة" فأخضعهما، فقد كان الامير يؤمن إيمانا عميقا بضرورة الاتحاد المطلق

[1] – شارل روبير أجرون ، المرجع السابق، ص 62.

[2] – حوار حول الثورة، عبد القادر نور، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ص 161.

[3] – شارل روبير أجرون ، ا المرجع السابق، ص 62.

[4] – عمار عمورة وآخرون، الجزائر بوابة التاريخ "عامة ما قبل التاريخ إلى 1962"، ج1، دار المعرفة، الجزائر، ط1، دت، ص 267.

[5] – محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص220.

[6] – شارل روبير أجيرون، المرجع السابق، ص 85.

[7] –المرجع نفسه، ص 86.

بين مواطنيه، لكي يحقق لهم استقلالهم المشترك. لقد قرر أن يقارع بسيفه الذين يشكون أو يحاولون أن يقاوموا سلطته.[1]

هي إذن كلها ظروف صعبة بالنسبة للأمير وأعوانه، فيمكن القول أن السبب الرئيسي في حالة الفوضى والمشاكل التي وصل إليها سكان الجزائر هي سياسة السلطة التركية، التي لم يكن همها سوى جمع الثروة واكتناز الاموال، وجعل جل أعمالها مقتصرة على الجهاد البحري ونسيت وتناست أنها في الجزائر لحماية سكانها من التدخلات والتحرشات الاجنبية واستسلام الداي وإمضائه لوثيقة الاستسلام دون مقاومة لخير دليل.

2-نشأة جيش الأمير:

منذ لحظة مبايعة الامير بالإمارة بذل مجهودات كبيرة لتنظيم الجيش والنهوض به،[2]فقد كشفت أولى الاحتكاكات له مع العدو بالحاجة إلى ضرورة تكوين جيش وطني شعبي نظامي يتحلى بالانضباط لخوض الكفاح المسلح، فإنشاء الجيش من قبل الامير يعتبر من بين الاستراتيجيات لمواجهة القوات الفرنسية،[3] وهذا لمنعه من التوغل انطلاقا من المدن التي يحتلونها على الشاطئ إلى الداخل في المرحلة الاولى، ثم طردهم في المرحلة الثانية،[4] فبعد أن استمرت العمليات الجهادية الاولى تتم على نحو نحو تطوعي، حتمت الظروف اللاحقة على الأمير -الذي كان يحرص على تحقيق النجاعة- أن ينتقل الى مرحلة تنظيمية أرقى، وهذا ما حدا به الى أن ينشئ الجيش النظامي تفاديا لكثير مما كان يسبب الوضع اللانظامي و الخطط الارتجالية للمقاتلين من ارتباك ومحدودية في النتائج. بل لقد لاحظ الأمير نفسه أن تلك الحال القتالية غير نظامية كانت تسيء ليس فقط للجهاد ولكنها كانت تهدد

[1] - صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1925ن مديرية النشر ، جامعة قالمة، الجزائر، 2010، ص 24.

[2] - أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري 1808-1847م، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ج2، ط3، 2007، ص 44.

[3] - عبد القادر دحدوح ، المرجع السابق، ص 23-24.

[4] - اسماعيل العربي ، المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر، ش و ت ن ، الجزائر، ط2، ص 223.

بإبطال تطلعاته بإقامة جيش وطني شعبي،[1] وبعد تأديبه للقبائل الخارجة عن سيطرته أصدر الامير إعلانا جاء فيه : "ليبلغ الشاهد الغائب أنه أصدر مولانا ناصر الدين بتجنيد الاجناد وتنظيم العساكر من كافة البلاد فمن اراد الدخول تحت اللواء المحمدي ويشمله عن النظام فليسارع إلى دار الإمارة معسكر ليتفقد اسمه في الدفاتر الاميرية"[2]

فكان بذلك بداية ظهور جيش قوي ومنظم نظرا لتأثر الأمير بالترتيبات والقوانين الاجنبية، وكا تأثره وإعجابه الكبير بجيش الخديوي فحرص كل الحرص على حشد طاقته البشرية والمادية والمعنوية، لتقويته فقد أكسبت المعارك التي خاضها مع القوات الفرنسية خبرة وتجربة كان لها مفعولها الكبير مع مرور الوقت فكحل الترتيبات والتنظيمات الخاصة بجيش الامير كان الغرض منها إقامة الدولة الجزائرية الموحدة في إطار جيش وطني مستقل. ويرى رابح لونيسي في كتابه "تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989م" أن الامير عبد القادر هو أول من كون جيشا وطنيا منظما وموحدا، فقد رغب في قتال عدوه دون المواجهة المباشرة حفاظا على قوته وأسلحته وذخيرته الغير معوضة بسهولة وحفاظا على وحدة وتعاون القبائل تحت قيادته ورعايته، وبذلك ربح المزيد من الوقت لتنظيم دولته وعصرنتها،[3] خاصة وأن إمارة الامير كانت تملي عليه أن يكون رجل دولة المسؤول عن تطوير المجتمع والنظام والاقتصاد.[4] وبعد كل هذا مهد لاختيار الرجال من ذوي الشأن حسب عبارة أشاعها قادة الجزائر المستقلة الرجل المناسب في المكان المناسب[5].

أما فيما يخص الأسلحة فالأمير لم يسمح لقواته بشراء الاسلحة والذخيرة في بداية الامر، وإنما حصر هذا العمل تحت إمرته وبمن يندد به، وإذ لم تف البنادق التي كانت تنتجها مصانعه،

---

[1] – عشراتي سليمان ، الامير عبد القادر السياسي "قراءة في فوادة الرمز والريادة"، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2009، ص 176.

[2] – محمد بن عبد القادر الجزائري ، المرجع السابق، ص 54.

[3] – رابح لونيسي ، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1847، ج1، دار المعرفة، الجزائر، ص 130.

[4] – أديب حرب ، ج2، المرجع السابق، ص 73

[5] – شارل روبير أجيرون ، المرجع السابق، ص 85.

زودهم ببنادق أغلبيتها فرنسية حصل عليها من الجزائر، تونس، مراكش[1]. واهتم كثيرا بالبنادق نظرا لكونها سلاح العصر ولأنها أشد فتكا من الاسلحة الأخرى[2]. كما تحصل من قبل الحاكم الإسباني على عدة قناطير من ورق الخرطوش[3] ،كما اقام ورشات بتاقدمت، معسكر، تازة، مليانة، بوغار...الخ، لصنع الاسلحة والذخائر فكانت الأسلحة تشتمل على المدفع والهاون والبندقية "المكحلة" والسيف[4]، وكانت القذائف تصنع في تلمسان والمكلف بها الإسباني دو خوسي الذي كان يصنعها من النحاس[5]، وللبندقية الخاصة بالجنود حربة في الرأس رفضها الجنود في البداية لاإلا انهم أعادوا النظر باستعمالها وتقبلوها في تمارينهم وحروبهم، كما خص الامير لفرسانه بالسيوف المراكشية في حين رفض استعمال السيوف الإسبانية كما صمم شراء كمية من المسدسات،[6] كل هذا لم يكن ليحدث إلا بفضل مخططات الأمير التي سهر على تنفيذ مهامها بهمة لا تعرف الكلل أو الملل نحو الهدف الأسمى – الجهاد في سبيل الله ضد الغزاة- أعداء الدين والوطن.[7] حتى أنه لم يكن يختار رجاله على حسب إخلاصهم لنفسه بل حسب تفانيهم في العمل وقد تجلى في اختيارهم مبدأ الأمانة الضروري لكل موظفي الدولة.[8]

3-الأسلحة:

أ-مصادر الأسلحة:

[1] – أديب حرب، المرجع السابق، ج2، ص 74.

[2] – شارل هنري تشرشل، حياة الامير عبد القادر، المرجع السابق، ص 141.

[3] – بوعزيز يحي، مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية، د م ج، الجزائر، ط1، 1986، ص 9.

[4] – بوعزيز يحي ، مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية،المرجع السابق، ص 04.

[5] – الكولونيل إيسكوت ، مذكرات الكولونيل إيسكوت عن إقامته في زمالة الأمير 1841، تر وتق: اسماعيل العربي، ش و ن ت، الجزائر، 1981، ص 56.

[6] – أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير، ج2، المرجع السابق، ص 74.

[7] – العسلي بسام ، الأمير عبد القادر الجزائري، دار النفائس، بيروت، ط خ، 1986، ص 57.

[8] – شارل روبير اجيرون ، المرجع السابق، ص 84.

كان الامير يدرك أن تكوين جيش وضمان ألبسته ومؤونته ومرتباته غير كافي لمجابهة العدو، بل لابد من تزويده بأسلحة يدافع بها على أرضه ومقدساته. لكن تسليح جيش كامل، ليس بالأمر السهل وإنما يتطلب مجهودات كبيرة لتوفير الأسلحة، ولقد اعتمد في سبيل ذلك على عدة طرق أهمها: **الشراء والتهريب ، والغنائم والهدايا ، والمساعدات والصناعة**[1].

الشراء والتهريب:

نصت معاهدة دي ميشال 1834م في أحد بنودها بأنه يسمح للأمير بشراء الأسلحة من فرنسا، وهو ما قام به فعلا حيث اشترى حوالي 400 بندقية حربية[2]. وفي نفس السنة استلم ألف ومائة وعشرة بندقية من أصل ألف ومائتي بندقية، كان قد أوصى بها، كما تسلم كمية كبيرة من الذخيرة[3] ، وكما نصت عليه المعاهدة السابقة الذكر، فإن معاهدة تافنة 1837م تضمنت هي الأخرى في أحد بنودها على أنه بإمكان الامير أن يشتري السلاح من فرنسا والبارود والكبريت[4]. ولقد ذكر الأمير بنفسه بأن الكبريت كان يأتيه من فرنسا، وأنه أثناء وقت السلم الذي أعقب معاهدتي دي ميشال وتافنة كانت المدن الفرنسية الساحلية تمده بالرصاص[5]،إضافة إلى أنّ الأمير كان كان يشتري أسلحته من المغرب الأقصى والإنجليز والأسواق المحلية، ومن قبائل الصحراء المتنقلة التي تأتي إلى التل وتغرق الاسواق بالأسلحة المصنوعة بتونس وأولاد سيد الشيخ[6]، وتوقرت وميزاب وفرض

[1] – شعباني بدر الدين، أسلحة الامير عبد القادر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2001، ص 63.

[2] – محمد العربي الزبيري ، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، ش م ن ت، الجزائر، 1982، ص 53

[3] – محفوظ قداش ، المرجع السابق، ص 52.

[4] – الكولونيل إيسكوت ، مذكرات الكولونيل إيسكوت، المرجع السابق، ص 203.

[5] – شارل هنري تشرشل ، المرجع السابق، ص 141.

[6] – أولاد سيد الشيخ: مجموعة من القبائل في الجنوب الغربي من الجزائر وجزء من الجنوب الشرقي للمغرب، كانت لها إسهامات كبيرة في مقاومة بقيادة الشيخ بوعمامة 1864-1881.

وفرض على من وجد عندهم من الجزائريين بندقية فرنسا ان يبيعها للدولة بمبلغ يقدر بحوالي جنيهين إنجليزيين[1] .

اما في **التهريب** : فقد استعمل الامير مجموعة من التجار المغاربة كالحاج الطالب بن جلول الذي قال عنه دوماس (domass)[2] بأنه هو الشخصية التي كانت تزود الامير بالأسلحة من المغرب، كما أقام الأمير علاقات مع الإنجليز بواسطة السينيور مانوتشي ، ولقد كانت الاسلحة المهربة تصل عبر جبل طارق، ثم الموانئ المغربية ثم إلى مدينة فاس[3]،ومنها إلى تلمسان فمعسكر وتاقدمت، وكان المهربون يستعملون مجموعة من الحيل حتى لا ينكشف أمرهم، حيث يذكر دوماس بأن قوافل الأسلحة كانت توضع في سلال مغطاة بالسميد حتى تفلت من الرقابة[4]، كما يشهد إيميريت بأن السيوف والخناجر وأخشاب البنداق كانت تأتي بها القوافل التجارية من فاس وتصنعها في مستودعات تلمسان، وفي رسالة لدوماس المؤرخة بتاريخ 11 نوفمبر 1838 يذكر فيها بأن السلطان مولاي عبد الرحمن أرسل إلى الأمير أربعة مدافع، وتم شراء 1500 و 2000 بندقية وكمية كبيرة من المسدسات، وبعض القطع من المدافع[5].

الغنائم:

خاض الامير عبد القادر مع فرنسا عدة معارك انتصر في بعضها وانهزم في البعض الآخر، وكان إذا انتصر يحصل على الغنائم التي عادة ما تكون عبارة عن أسلحة، ففي المعركة الشهيرة (المقطع) سنة 1835م غنم الأمير ما لا يقل على أربعة مدافع و20 عربة لنقل المؤونة والزاد[6]. وفي معركة سيدي إبراهيم[7] وغيرها من المعارك التي انتصر فيها كان يعود منها محمل بالغنائم و المؤنة.

---

[1] – شارل هنري تشرشل، المرجع السابق ، ص 141.

[2] – دوماس: domass قنصل فرنسا بمعسكر ما بين 1837–1839، مولده 1803 وفاته 1871 .

[3] -yver.g.abdelkader et le moroc en 1838,in revue africian ,N60,1919,p103

[4] – yver,g,op, cit , p 150.

[5] -ibid , p373.

[6] – يحي بوعزيز ، بطل الكفاح الامير عبد القادر الجزائري ، المكتبة الشرقية للنشر والتوزيع، تونس، 1957، ص 55.

[7] – العربي اسماعيل ، المرجع السابق، ص 165.

الهدايا والمساعدات:

تعتبر من بين المصادر التي اعتمد عليها الأمير في الحصول على الأسلحة ، حيث تأتيه من القبائل التي دخلت في طاعته ومن المغرب والإنجليز وفرنسا. وتذكر المصادر بأنه لما تمت المبايعة جاءت القبائل محملة بهدايا من عتاق الخيل والسروج والأسلحة الفاخرة[1]. كما تذكر المصادر بأن السلطان مولاي عبد الرحمن أهدى الأمير في سنة 1248هـ/1833م بمناسبة البيعة مائة بندقية ومثلها سيوف وكميات معتبرة من الذخيرة[2]، ولقد ربط الأمير علاقات طيبة مع الإنجليز وحدث أن قدمت له في 1263هـ/1847م مساعدات من شحنات المدافع والبنادق والبطاريات وبعض قطع المدافع ميدان[3].كما قامت كذلك فرنسا بعد عقد معاهدة الصلح سنة 1249هـ/1834م أهدى ديميشال للأمير مائة بندقية وألف رطل من البارود[4] وبعد عقد معاهدة تافنة أيضا بعثت فرنسا للأمير أسلحة مجوهرة وأقمشة وبرية مطرزة بالذهب كهدية[5].

ب– الصناعة:

لقد أدرك الامير أن الغنائم ، و المساعدات ، و الشراء المؤنة ،و الأسلحة ،و اللباس ، غير كافي لسد حاجياته اليومية ، ولذلك جلب خبراء وأجانب من جنسيات مختلفة وكلفهم باكتشاف المعادن والمناجم وإنشاء المصانع.

استغل الامير المعادن والمناجم وجلب الخبراء لاستخراجها من عدة أماكن، حيث يذكر إيسكوت بأن هاربا فرنسيا يعمل مع دي كاس كان يحمل رسالة تفيد بأن هناك كميات كبيرة من

[1] – محمد بن عبد القادر الجزائري ، المرجع السابق، ص 165.

[2] – العربي اسماعيل ، المرجع السابق، ص 34.

[3] – يحي بوعزيز ، مراسلات الامير مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية، المرجع السابق، ص 24.

[4] – اسماعيل العربي ، المرجع السابق، ص 55.

[5] – محمد بن عبد القادر الجزائري ، المرجع نفسه، ص 182.

معدن الرصاص موجود في الجبال التي تمتد جنوب شرق تازة، كما يوجد الكبريت وملح البارود بكثرة ، وفي الرسالة نفسها معلومات تدل على أن معدن النحاس يوجد في مكان يقع على طريق مليانة[1] .

مراكز الصناعة: لما اكتشف الامير المعادن والمناجم رأى أنه من الأولى إنشاء مصانع تعمل على تحويلها من مادتها الخام إلى اداة حربية، ولقد تعددت تلك المصانع وكانت تتمركز في المناطق التالية:

تلمسان:

أنشأ الأمير مصهرة للحديد ومصنعا للبارود، ويذكر دوماس في العديد من رسائله بأنّ صهر الحديد وصناعة المدافع والبارود كانت تتم في تلمسان،[2]ويضيف أيضا انه شاهد الأفران والمصاهر ومنافح والقوالب والدواليب[3]، وكانت الأشغال الخاصة بهذه الأعمال تسير بشكل سريع ومقبول، وكان يقوم بهذه الاشغال مجموعة من الاجانب من بينهم حميدوا و اسمه الحقيقي (جيستير نجير الميونيخي) ، ومصطفى بروسي ويدعى (أوسلن) ، وعبد الله الألماني الجنسية ويسمى (شوفال) وغيرهم.[4]

مليانة:

لقد أسس ديكاس مصنعا للبنادق وآخر لإنتاج البارود بمليانة[5]، وقد حاول أن يصنع صواريخ صواريخ لكنه لم يوفق في معادلاته الرياضية[6]، ويذكر دوماس في رسالة بعثها إلى غيهنيك بتاريخ 08 جانفي 1839م "بأن الناس يؤكدون أن في مليانة حاليا عشرة عمال فرنسيين جاؤوا من مدينة الجزائر ويوجد من بينهم من يصنع الأسلحة ويصهر الحديد"[7]

---

[1] – الكولونيل إيسكوت ، المرجع السابق، ص 129.

[2]– yver.g.abdelkader et le moroc en 1838.in revue africian .N60.1919.p220.

[3]– IbID,P110. –

[4] – يوهان كارل بيرنارت ، الامير عبد القادر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997، ص 164.

[5] – شارل هنري تشرشل ، المرجع السابق، ص 139.

[6] – الكولونيل إيسكوت ، المرجع السابق، ص 90.

[7]– yver.g.op cit.p399.

معسكر:

يذكر دوماس بأن الأمير أنشأ مصنعا في معسكر كان يجهز فيه الخراطيش وتصنع فيه أيضا البنادق والبارود ، وكان العمال الذين يقومون بهذه الصناعة يتمتعون بمهارات عالية في إنشائهم لهاته الاسلحة، فلم تكن أعمالهم مقتصرة على عمل واحد، بل على عدة أعمال كثيرة[1] ، كما احتوت معسكر كغيرها من المدن على عمال من جنسيات مختلفة كانوا يتمتعون بخبرة في هذا المجال[2] وشيء مميز في الأمير حسن معاملته للاوروبيين[3].

تاقدمت:

أقام الامير في تاقدمت مصنعا للبنادق فجلب له خبيرا فرنسيا على أساس عقد يقضي بأن يقوم الخبير بتعليم وتدريب الجزائريين في صناعة الأسلحة، وبعد نهاية العقد رحل العمال الاجانب ولم يبق منهم إلا العمال المحليين ، وكان هذا المصنع يُنتج في اليوم حوالي ثماني بنداق كما كانت تنتج فيه الحراب والسيوف وغيرها من الأسلحة الثقيلة والخفيفة[4].

4- تنظيم الجيش:

بعد انتهاء الامير من تأديب القبائل الخارجة عن طاعته ، و إنشاءه للعديد من مصانع للأسلحة أصبحت الظروف مناسبة لتنظيم الجيش خاصة بعد انضمام العديد من القبائل تحت رايته واعتراف فرنسا بقوته بالإضافة إلى تأثر الامير بجيش الخديوي في وقت مضى. كل هذه المعطيات ألزمته على تنظيم جيشه ، فوضع عدة قوانين وشروط، بعد ذلك رأى الامير انه من الضروري جدا وضع قانون يحكمهم وينظيمهم ويضمن من خلاله السير الحسن والطاعة والانضباط وقد كان ذلك

---

[1] - yver, g, couispondance. Opcit.p 399.

[2] -ibid, p330-336.

[3] – الكولونيل إيسكوت ، المرجع السابق، ص 88-89. ينظر: هنري تشرشل: المرجع السابق، ص 137.

[4] -sahli , abdelkader mohamed cherif , abdelkader le chevalier de la fois , alger , 1884 , p66.

الانضباط هو القانون المكون من مجموعة من المسائل، بحبث قام قدور بن رويلة بتبويبها وترتيبها في كتاب سماه "وشائح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب"[1]، وهي في مجملها تحدد مهام أفراد الجيش ورتبهم وشاراتهم وكسوتهم ومرتباتهم والعقوبات المسلطة على كل مخالفة من المخالفات.

أول شيء ابتدأ به هو النظر في أمر القضاة واختيار العمال وجبايات أموال الصدقات.[2] وبعدها مباشرة عمد إلى وضع شروط خاصة لكيفية تحديد مهام أفراد الجيش وشروط الالتحاق بصفوفه.

أ–شروط الانضمام إلى الجيش:

لم يخفى على الامير أن يضع شروطا كانت لابد أن تتوفر في الجندي حتى ينضم إلى صفوف **الجيش النظامي** ومن أهم تلك الشروط ما يلي:[3]

- أن يكون الجندي جزائريا مسلما عاقلا بالغا حرا[4].
- أن يكون صحيح الجسم قوي البنية مقداما شجاعا[5].
- أن يكون اسمه في الدفاتر او السجلات الاميرية.
- أن لا يمارس أي مهمة اخرى غير الجندية.
- أن يكون انضمامه انضماما نهائيا ولا ينقضه إلا إذا سلك سلوكا منافيا للدين أو مخلا للنظام العام للجيش.
- أن يكون الضابط أو الجندي متديناً ومتخلقا[6].

---

[1] – ابن رويلة قدور ، وشائح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تق محمد بن عبد الكريم ، ش و ن ت، الجزائر، 1968، ص 39–72. ينظر : محمد بن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 192–205.

[2] – الحاج مصطفى ابن التهامي ، سيرة الامير عبد القادر وجهاده، تح يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 131.

[3] – محمد عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 193.

[4] – أديب حرب ، ج2،المرجع السابق، ص 102.

[5] – اميرة بديعة الحسني الجزائري ، الامير عبد القادر (حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف)، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 35.

[6] – جمال قنان ، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830–1914، د م ج ، الجزائر، 2009، ص 24.

كان النظام العسكري للجيش يلزم الضباط بأن يعيشوا داخل الحصون مع جنودهم ويشاطرونهم معيشتهم وهذا لتقريب الضباط إلى الجنود لتفادي الوقوع في ظهور سياسة الطبقية بين الجنود وكذا التساوي في العمل بصورة متكاملة وكذا مراقبة تحركات العدو وبعض التجاوزات التي قد تحدث أثناء غياب الضباط، وتلخص لنا أميرة بديعة الحسني شروط الجندي في فترة موجزة:[1] "كان النظام العسكري للحاميات يلزم الضباط بأن يعيشوا داخل الحصون مع جنودهم ويشاطرونهم معيشتهم ، والقانون العسكري ايضا يأمر بدقة اختيار الضباط وخضوعهم للفحص قبل تسليمهم مهامهم، و وضع مواصفات محددة لهم منها أن يكون الضابط أو القائد شجاعا صحيح البنية، ينحدر من اسرة معروفة أصل أو تكون سوابقه جيدة وغير متهم بجناية أو قتل وأن يكون متدينا بالاخلاق المحمدية" وما تجدر الإشارة إليه أن اهم ظاهرة في إدارة الأمير هي جهده الكبير في خلق جيش جديد حديث، وقد كان العمود الفقري لهذا الجيش في بداية تكوينه هم الفلاحون الذين كانوا أميين لهذا جعل الثقافة العسكرية إجبارية لتخريج جيش مدرب.[2]

فالتأمل في الشروط التي لخصتها لنا أميرة بديعة يؤكد لنا مدى حرص الامير على أن تكون الشروط كلها متوفرة في الجندي لتكوين الجيش الوطني الشعبي يتمتع بالشروط العالمية المعمول بها لحد كبير في وقتنا الحالي.

ب- أصناف الجيش:

تولى أمر الجند الامير عبد القادر بحيث رتبه ونظمه بنفسه[3]، لأن تكوين الجيش كان من اولوياته التي عكف عليها في اليوم التالي لبيعته، ونظرا لأنه كان سيحكم جانبا من القبائل فقد كان من الضروري التوصل إلى توحيدهم تحت راية واحدة،[4] فقسمهم إلى ثلاث فرق وهي المشاة والخيالة

[1] – أميرة بديعة حسني ، المرجع السابق، ص 35.

[2] – سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2، المرجع السابق، ص 43.

[3] – أديب حرب ، المرجع السابق، ج2، ص 72.

[4] – شارل روبير اجيرون ، المرجع السابق، ص 84.

و المدفعية، كما أنه أصدر قوانين عسكرية يجب على الجندي التحلي بها، مع تحديد العقوبات الصارمة والرادعة على المخالفات والأخطاء، كما وحد زي الخاص بالجنود ووضع سلم التسلسل العسكري كالتالي:[1]

- جاويش: رقيب لقيادة 12 جندي.
- رئيس الصف لقيادة 20 جندي.
- السياف لقيادة 100 جندي.
- الأغا لقيادة 1000جندي.

وكانت الذخيرة الحربية والزاد وحيوانات النقل موضوعة وسط المعسكر قريبة من خيمة الامير وكان الخيالة موزعين حول هذه النواة[2].

الجيش النظامي: وكان يتكون من:

المشاة: يتوزع أفراد هذا الصنف على مجموعات او كتائب تضم كل كتيبة ألف جندي وتسمى هذه الكتيبة بالمحلة يرأسها قائد العسكر المحمدي ويساعده كاتب وهذه الكتيبة تمثل اعلى وحدة قتالية في صنف المشاة، وعندما تجتمع مجموعة من الكتائب تصير قيادتهم على الخليفة أو على الامير بنفسه إذا كان حاضرا[3]. والمحلة تتألف من عشرة وحدات، كل وحدة مكونة من مائة جندي يرأسها سياف يساعده كاتب وتضم كل وحدة ثلاث صفوف، لكل صف منها خباء "الخيمة" وهي مشكلة من واحد وثلاثون جنديا بقيادة رئيس يدعى الخباء ويساعده نائب يسمى خليفة رئيس الخباء، ويعد هذا الصنف أصغر الوحدات القتالية،[4]وكان يرافق هذه الوحدات حامل الراية ومعلم فنون الحرب أو

---

[1] – العسلي بسام ، المرجع السابق، ص 41.

[2] – برينان أندري وآخرون ، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: رابح اسطنبولي ومنصف عاشور، د م ج، الجزائر، 1984، ص 77.

[3] – جمال قنان ، دراسات في المقاومة والاستعمار "قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر"، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 2009، ص 47.

[4] – أديب حرب ، ج2،المرجع السابق، ص 79-80.

المدرب والطنبور او صاحب الطبل، هؤلاء كانوا يقيمون مع قائد العسكر، ويضاف إلى هؤلاء شاش العسكر وهو مكلف بنقل المراسلات والتعليمات بين قائد العسكر وقوادهن وبين الجهات الأخرى، وكانت مهمة تنصيب وعزل هذا الشاش بيد الأغا[1] ، وهذا الاخير كان يعين من طرف الامير وكانت مهامه تتمثل في تنظيم وتدريب وتجهيز وحداته ومن بين الذين شغلوا هذا المنصب: قدور بن بحر، عبد القادر بن عز الدين، محمد فوشرمة، ومحمد السنوسي وسالم الزنجي احمد الغديوي...وغيرهم.[2 3]

الفرسان: ويسمون ايضا بالخيالة، كان يتولى قيادتهم قائد يعينه الامير وهو الذي يشرف على تدريبهم وتجهيزهم بالسلاح وكل ما يلزمهم[4]، و يتألف هذا الصنف من كتائب تضم كل واحدة الف فارس يقودها الأغا، وكل كتيبة تضم مجموعة من السرايا تتألف كل واحدة منها من خمسين فارسا يرأسها السياف، كما يندرج ضمن هذا الصنف من الجيش فرقة تتكون من عشرين فارسا تسمى بالفصيل، كان يقودها رئيس الصف يساعده الشاوش، ولكل ألف وكل مائة من الفرسان كاتبا، وعلى مجموعة الكتاب رئيس يدعى الباش كاتب أو رئيس الكتاب[5] .

المدفعيون: يدعى هذا الصنف بالطبجية وهو يرتكز على قطعة مدفع واحد الذي يقوم عليه اثني عشر جنديا، وفي حالة الحرب ينقسم هؤلاء المدفعيون إلى مجموعتين، ستة منهم يديرون المدفع، وستة آخرون يستريحون ثم يتبادلون الدور، وكان يرأسهم رئيس المدفع ويساعده الكاتب[6]، وسلاح المدفعية هو القوة الثالثة في جيش الامير النظامي، وقد اختير لمركز المدفعية الآغا المعروف بابن الكسكسة الذي اوكلت إليه قيادة العناصر والسهر على راحة الجنود[7]، وقد بلغ عدد المدفعيين مائتين واربعين

---

[1] – جمال قنان ، المرجع نفسه، ص 48.

[2] – محمد بن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 191.

[3] – أديب حرب، ج2،المرجع السابق ، ص 79.

[4] – محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 56.

[5] – أديب حرب، ج2،المرجع السابق، ص 77-79.

[6] – قدور بورويلة، المرجع السابق، ص 70.

[7] – – أديب حرب، ج2، المرجع السابق، ص 82-83.

عنصرا يديرون عشرين مدفعا،[1] والوحدة القتالية ترتكز على قطعة و المدفع الواحد الذي يقوم على خدمته 12 جندي تحت قيادة رئيس المدفع، وكان للأمير نوعين من المدافع، مدافع الحصار المتواجدة في المدن الرئيسية كمعسكر وتلمسان أما المدفع الثاني وزعت قواته النظامية في المقاطعات،[2] وقد قال بن عودة المزاري في جوهرة الرضا في وصفه لسلاح المدفعية والمشاة، ورتب جيوشا لدفع عدوه من ركاب ومشاة يضبطها الدفتر.

فركبها سيافه والخيالة ومشاتهم والمسلمون بالعسكر

وكل فريق اسم ريسه إنما فحبذ من جيش وحبذا من آمر[3].

الحرس الاميري: وهذا الصنف مؤلف من مجموعة من الفرسان يبلغ عددهم في بعض الاحيان 50 جندي، يقومون بالحراسة الليلية وأثناء الترحال يحرسون ليلا ونهارا[4] ، وقد كان الحرس بإمرة سالم الآغا الآغا الزنجين وكانت اسلحتهم محلاة بالذهب والفضة ومرصعة بالمرجان[5] ، وكان يرافق هذه الأصناف الأصناف جهازان آخران:جهاز الطب العسكري وجهاز الطنبور والموسيقى .

فجهاز الطب العسكري :يشرف على مستشفيات متنقلة وضعها الامير لترافق الجيش لمعالجة المرضى والجرحى من العسكر، وعين في كل مستشفى أربعة أطباء يشرف عليهم الطبيب العام بالعاصمة وهو أبي عبد الله الزروالي. ولم يكن اولئك الاطباء متخصصين وإنما كانت لهم خبرة كافية تؤهلهم لمعالجة الجروح وتجبير العظام، اما رئيسهم أبي عبد الله فكان عالما بخواص الأعشاب والعقاقير ن وكان باستطاعته أن يخرج الرصاص من داخل العضو المصاب دون أن يحس المريض بالألم،[6] وقد

[1] – جمال قنان: قضايا ودراسات، المرجع السابق، ص 50.

[2] – مجلة الثقافة والسياحة، الجزائر، ع75، 1983، ص 56-60.

[3] – بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود "في أخبار وهران وإسبانيا وفرنسا غلى أواخر القرن التاسع عشر"، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ط1، 1990، ص 170.

[4] – دحدوح عبد القادر ، المرجع السابق، ص 25.

[5] – أديب حرب، ج2، المرجع السابق، ص 84.

[6] – مجلة المسالك ، ع 04، مؤسسة الأمير، الجزائر، ، 1999، ص 18.

كانت هناك بعض المواصفات على الطبيب الاتصاف بها منها: اللياقة والبشاشة وطيبة المعشر، والشعور الإنساني وترقبه ذوي الاستعدادات والمهارات عنهم للمراتب الأعلى في سلكه الطبي[1] ، أما **جهاز الطنبور والموسيقى** فهما وسيلتان من الوسائل التي ترفع الروح المعنوية قبل وأثناء القتال، كما أنهما من وسائل الاتصال[2]، وقد أوجد الامير عبد القادر بنية لهذه المصلحة على المستوى المركزي، كما وزع أفرادها على القادة العسكريين حسب الاحتياج والضرورة، فلقد تدرب أفراد الجيش على فهم وإدراك معاني نقرات الطبل والامتثال لها، كما استخدمت الموسيقى للترفيه ولإثارة الحماس[3]،وما تجدر بنا الإشارة إليه أن الفرقة الاميرية كانت تتلقى العناصر الماهرة من داخل الوطن وخارجه، إذ أن المعلمين كانوا من قدامى الجيش الأهلي والبعض الآخر كانوا من النصارى الذين ضمهم الأمير إلى العسكرية من أجل الاستفادة منهم[4]،حيث كان للطبل معلما يسمى بالطنبورجي وهو الذي يجمع العسكر لتعلم الحرب ينقر الطنبور بصيغة معينة، وله صيغ أخرى ولكل صيغة دلالة معينة[5].

سيميائية الراية: كانت راية الامير خضراء اللون، فقد كان عرضها يشمل ثلاث مطارح، مطرحان أخضران، ومطرح أبيض تتوسطه كف سوداء دائرية مطرزة من خيوط ذهبية بها يد مكتوب حولها "نصر الله وفتح قريب" وهو شعار الدولة الجزائرية الفتية وناصر الدين عبد القادر بن محي الدين كما كان للأمير السوانة "مظلة" وهي علامة السلطة لكن الامير كان لا يفضلها رغم أنها تعطي الهيبة للإمارة والسلطة، كما سك الامير نقودا خاصة به من الفضة تسمى المحمدية، بالإضافة إلى ذلك اتخذ الامير ختم الدولة يعرف بطابع السلطان[6].

---

[1] – أديب حرب ، ج2، المرجع السابق، ص 85.

[2] – جمال قنان ، المرجع السابق، ص 49.

[3] – عشراتي سليمان ، المرجع السابق، ص 148.

[4] – ابراهيم المياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 37.

[5] – المرجع نفسه، ص 38.

[6] – عشراتي سليمان، المرجع السابق، ص 148.

الرتب والترقية: كان جيش الامير مؤلفا من ضباط وصف الضباط أو الجنود، الضباط هم القادة الكبار وهم الآغا أو قائد العسكر المحمدي والسياف وكاتب العسكر ومدربهم والطبيب الكبير، أما صف الضباط فيتمثل في رئيس الصف ونائبه وكاتب المائة، وصاحب الراية وصاحب الطبل وشاوش العسكر والطباخ ويأتي في مؤخرة الرتب الجنود سواء كانوا مشاة أو فرسان أو مدفعيون،[1] اما **الترقية** تخضع لشروط التالية[2] :

- لا يرقى أحد في الجيش إلا إذا كان ذا صفات حميدة ويكون ذلك بعد موافقة الأمير.
- لا يرقى أحد في الجيش إلى رتبة أعلى من رتبه إلا إذا مر على رتب أدنى، فمثلا لا يرقى الجندي إلى رتبة السياف إلا بعد ترقيته إلى مختلف الرتب الادنى، ولا يعفى هذا الشرط إلا على من حاز على وسام الشيعة المحمدية.[3] الذي لا يعطيه الامير إلا لمن أظهر شجاعة نادرة وإقداما في الحرب.

الألبسة والطعام: كان اللباس يختلف بحسب الرتب فكان من الجوخ[4] بالنسبة للضباط، ومن كتان بالنسبة للجنود، كما كانت تصنع في ورشات الدولة بتاقدمت ومعسكر وبوغار، وفي حال تلفها تجدد دون مقابل[5]،في حالة حرب أما في حالة أخرى فيدفع ثمنها سواء كان جندي او قائد، فالجوخ ثلاث اصناف: الأحمر القاني "رئيس العسكر"، والأحمر العكري "السيافون ورئيس الكتاب والمدربون والأطباء"، اما رئيس الخباء والصف بالنسبة للخيالة متنوع بين العكري والقاني والأسود[6]، أمابالنسبة **للطعام** : كان أفراد الجيش يحصلون على طعام مجانا أثناء الخدمة، ويمكن اعتبارها جيدة ومتوفرة على

---

[1] – جمال قنان، المرجع السابق، ص 46.

[2] – أديب حرب، ج2، المرجع السابق، ص 109.

[3] – الشيعة المحمدية: عبارة عن وسام من ذهب أو فضة على شكل يد ممدودة كتب في وسطها عبارة ناصر الدين. ينظر: أديب حرب: المرجع السابق، ج1، ص 108.

[4] – الجوخ: كلمة فارسية وهو نسيج من صوف.

[5] – شارل روبير أجيرون، المرجع السابق، ص 27.

[6] – ابن رويلة، المرجع السابق، ص 64.

العناصر الغذائية الهامة من لحم وخبز ودشيشة والسمن والرغيف،[1] وكانت تقسم على قوانين حيث لا يمنح أي فرد إلا إذا كان في الخدمة ولا يأخذها إلا إذا حضر الكتاب، وإذا نقص عدد أفرادها فإنه ينقص لهم من المؤونة بقدر ما نقص الأشخاص[2]. وكان كل ذلك خاضعا لقوانين، فالخروج مثلا من القانون يعرض صاحبه إلى أشد العقوبات.

5- قانون القضاء العسكري:

أ-الاجهزة الإدارية للقضاء العسكري: كان القضاء العسكري في جيش الامير عبد القادر يتألف من ثلاث اجهزة إدارية تتمثل في مجلس الشورى والمحكمة العسكرية الدائمة والمحاكم الفرعية. المجلس الشورى فكان مؤلفا من احدى عشر عالما يرأسهم نيابة عن الأمير أحمد بن هاشم المرجي، ومن مهام هذا المجلس سن القوانين ومراجعة القضايا الصادرة عن المحكمة العسكرية الدائمة في المجال العسكري والمحكمة المدنية في المجال المدني، ومن بين القوانين التي شرعها هذا المجلس القانوني الاساسي للجيش[3]، أما المحكمة العسكرية الدائمة فصلاحياتها كانت تشمل جميع وحدات الجيش، وتراجع القضايا الصادرة عن المحاكم الفرعية وهذه الاخيرة كانت تتكون من مجموعة من القضاة كل واحد منهم مكلف بالبت في القضايا المتعلقة بعناصر كتيبته[4]، بالإضافة إلى القضاة المنفردين في الكتائب بمعدل قاض واحد في كل كتيبة ومساعدان احدهما رئيس مغفر الشرطة، وتنحصر صلاحيات كل قاضٍي بحدود عناصر كتيبته، ووفقا للعقوبات المنصوص عليها في الحكم الشرعي[5].

ب-العقوبات والجرائم العسكرية: لقد وضعت مجموعة من القوانين حددت فيها عقوبة كل جريمة تخل بالنظام العام للجيش وهي كالتالي:[6]

---

[1] - جمال قنان، المرجع السابق، ص 52.

[2] - محمد بن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 137.

[3] - أديب حرب، المرجع السابق، ج2، ص 123. ينظر: ابن الرويلة: المرجع السابق، ص 206.

[4] - ابن رويلة، المرجع نفسه، ص 223.

[5] - المرجع نفسه، ص 224.

[6] - نفسه، ص 68-70. ينظر: محمد بن عبد القادر الجزائري ، المرجع السابق، ص 208.

-يحبس رئيس العسكر 20 يوما إذ لم يتفقد حساب العسكر وكسوته وسلاحه في كل يوم سبت لغير عذر.

- يطرد رئيس العسكر من الجيش نهائيا إذا ثبت عنه أخذ رشوة او خيانة.
- يحبس السياف 10 أيام إن لم يتفقد افراد كتيبته في كل يوم إثنين وخميس.
- يحبس السياف 15 يوما إن وجد في سلاحه فساد أو خلل ولم يصلح.
- يحبس السياف 60 يوما إن ثبت عنه أخذ رشوة او خيانة أو ظلم.
- يدفع السياف ثمن البندقية إذا ضاعت ولم يأخذ من خليفة الدسكرة[1].
- يحبس كل جندي غاب لغير عذر مقبول يوما وليلة.
- يعاقب بالحبس يوما وليلة كل من سمع منادي لإحصاء الجنود ولم يجبه تكبرا.
- يعاقب بالحبس ستة أيام كل من رئيس الصفة وخوجة الطريق إذ لم يحصى الجند صباحا ومساء.
- يعاقب بالحبس 15 يوما كل جندي عصى رؤساءه.
- يحبس كل من سمع الطنبور لتعلم الحرب ولم يخرج يومين.
- يحبس يوما وليلة كل من خرج للقتال بغير البدلة العسكرية.
- يحبس ثلاثة أيام كل من ترك الصدأ في سلاحه ولم يزله ويعاقب بدفع ثمن سلاحه إذ أتلفه.
- يحبس حسب اجتهاد الأمير كل من هرب من الجيش ولم يرجع إلى أن قبض عليه.
- يحبس حسب اجتهاد الامير كل من فر من الجيش ثم رجع باختياره وعن طوعية.
- يحبس يوما وليلة كل من يطلق البارود لغير مصلحة.
- يحبس ثمانية أيام كل من نام في العسة التي هو قائم فيها.
- يحبس شهرا كل من يبيع البارود.
- يضرب خمسة ضربات في النهار وخمس اخريات في الليل كل معاقب كان مسافرا ولم يأت حبسه.

[1] – الدسكرة: كلمة تركية معناها وصل أو بيان مكتوب يشهد لصاحبه ببراءته من الذمة التي كانت في عنقه.

- يحبس يوما وليلة كل من ركب فرسه لغير موجب سواء كان قائدا أو جنديا.

- يعاقب كل ذي رتبة يقبل على عمله يوجب عزله وتجريده من رتبته ويصير جنديا.[1]

-الجيش المساعد أو الغير نظامي:

شكلت قوات الامير عبد القادر غير النظامية القسم الاكبر من جيش الولاية. فكانت تسرع للالتحاق بالوحدات النظامية لتقاتل في صفوفها عندما يتق النفير، ثم تعود إلى ديارها فور انتهاء المهمات الموكلة إليها.[2] وجميع عناصر هذا الجيش كانت من القبائل المؤيدة للامير والموزعة في مختلف أنحاء إمارته، يختارها خلفاؤه احيانا للمحافظة على النظام والأمن داخل مقاطعتهم،[3]واختلفت عديد وحدات هذه القبائل من سنة إلى أخرى، فبلغ حوالي 83 ألف مقاتل من المشاة والفرسان في 30 أيلول 1848م و 54 ألف عندما اعلن الامير الحرب على الفرنسيين في 18 تشرين الثاني من العام التالي.[4]

[1] - أديب حرب ، ج2،المرجع السابق، ص 127.

[2] - محمد بن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 191.

[3] - نفسه، ص 192.

[4] - أديب حرب، ج2، المرجع السابق، ص 85.

الفصل الثاني

الجوسسة تخترق دولة الأمير عبد القادر

01- ماهية الجوسسة.

02- أبرز الجواسيس الفرنسيين ومخابرات الأمير عبدالقادر.

03- دور المرأة الأوروبية في الجوسسة في الجزائر.

04- دور الخونة في سقوط الزمالة.

01-ماهية الجوسسة:

نبذة تاريخية عن الجوسسة:

التجسس أحد الأنواع والسبل الملتوية في الحروب القديمة والحديثة إضافة إلى أنه يمثل تربصا وخطرا داهما لكلا طرفي الحرب، فالجاسوس هو الشخص الذي يعمل في الخفاء أو تحت شعار كاذب ليحصل على معلومات عن العمليات العسكرية لدولة محاربة، بهدف إيصالها إلى العدو، فهم يعملون في وقت الحرب والسلم، ويحصلون على معلومات لتعزيز جبهة الدولة التي يتجسسون لحسابها وفي حالة نشوب حرب جديدة في الحصول على معلومات عن تطور الأسلحة الحربية في الدول الأخرى.وما وصلت إليه من تكنولوجيا حديثة، ومن أجل تقوية الصراع القائم بين الدول على القواعد الإستراتيجية، والسيطرة على مناطق النفوذ والاستفادة من الاضطرابات السياسية في بقاع العالم، مثل: مشكلة الجزائر وفرنسا.

فالتاريخ يذكر أن هنالك أحداث موثقة توثيق جيد تنطوي على التجسس على مر التاريخ وقد كان بين جيشي الصين والهند، وتم فيها استخدام عمليات التجسس، واغتيالات وعملاء سريين، وكان المصريون القدماء قد نظموا عمليات التجسس تنظيما دقيقا، والعبرانيين استخدموا الجواسيس كذلك، وكان نظام الجواسيس أيضا سائدا في الإمبراطوريات اليونانية والرمانية خلال القرون 13-14م، وقد اعتمد المغول اعتمادا كبيرا على التجسس في فتوحاتهم في آسيا وأوروبا، وقد كانت اليابان الإقطاعية غالبا ما تستخدم النينجا في جمع المعلومات الإستخبارية، ولعب الجواسيس دورا مهما في إنجلترا و إليزابيث أنشأت أيضا العديد من وسائل التجسس الحديثة منذ ذلك الحين[1].

مابين التاريخ القديم والحديث نذكر التاريخ الإسلامي وحيثيات بروز مصطلح الجوسسة في حقبتهم، فقد فسره المسلمون بالعمل الوضيع نهى الله –عزوجل- عنه لأسباب منها: أنه تتبع للعورات وفضح لأسرار الناس، ومن تتبع عورة المسلم فضحه الله ولو كان في جوف بيته.[2] فقد نهى

[1]- منتدى الجلفة: 04-04-2016 16:30

[2]- المرجع نفسه، ن ت

الإسلام عن التجسس عن المسلمين ماداموا ظاهري الإستقامة غير مجاهرين بمعاصيهم، وكان ما يخفونه من أمورهم من السلوك الشخصي الذي يخصهم فقد قال الرسول صلّ الله عليه وسلم: "كل خلصة يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب" ولأن الله يقول جلّ في علاه:" **وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا** "[1].

فما معنى التجسس؟، وماهي الجوسسة لغة واصطلاحا؟

في معجم المعاني الجامع:

تجسس: فعل خماسي لازم متعد، مصدر تَجَسَّسَ، شبكة تجسس: شبكة من الخبرين الذين يشتغلون لفائدة جهة ما وفعل: تَجسّسَ على يتجسّسُ تجسّسًا، فهو متجسس، ومفعول متجسس أي تَجَسَّسَ الخبر: جَسّهُ: بالفرنسية "espionage"[2].

تَجَسَّسَ الخبر استطلعه وبحث عنه، وتفحصه لطريقة غير مشروعة، تَجَسَّسَ له أخبارا، تَجَسَّسَ على الشخص: قام بجمع المعلومات عنه من جهة ما. تَجَسَّسَ على الأعداء، تَجَسَّسَ الخبر: بحث عن صحته وسره. قال الله تعالى: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** "[3] تجسس عليهم في عملهم: جاء يستطلع أخبارهم وأسرارهم وتعرّفها لينقلها إلى من يهمه الأمر[4].

لغة: مأخوذ من الجسّ: وهو جس الخبر، ومعناه:البحث والفحص، وتجسست فلانا ومن فلانه: بحثت عنه، والتجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، والجاسوس: العين يتجسس الأخبار ثم يأتي بها، وهو صاحب سر الشر والناموس صاحب الخير[5].

---

[1] - سورة الحجرات ، الاية 12.

[2] – معجم المعاني الجامع، ص: 11/213.

[3] – سورة الحجرات، الآية: 12.

[4] – معجم المعاني الجامع، ص 12/213

[5] – أنظر: تهذيب اللغة للأزهري 10/242، ولسان العرب لابن المنظور 06/38، وتاج العروس للزبيدي 449/15.

اصطلاحا: البحث عن العورات والمعايب، وكشف ما ستره لناس.[1]

في الميزان الشرعي: هو تتبع عورات الناس وهم في خلواتهم، إما النظر إليهم وهم لا يشعرون وإما باستراق السمع وهم لا يعلمون، وإما بالإطلاع على مكتوباتهم ووثائقهم وأسرارهم وما يخفونه عن أعين الناس دون إذن منهم[2].فالتجسس في الإصطلاح قال بن الأثير"التفتيش في بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر"[3] وذكر في معناه:"هو ان تتبع عين أخيك فتطلع على سره". وقيل "هو ان يتبع الإنسان اخاه ليطلع على عوراته سواء كان ذلك عن طريق مباشر بأن يذهب هو بنفسه يتجسس، أو كان عن طريق الأذن أو بإرسال شخص ما[4]" قال القرطبي –رحمه الله– "التجسس بالجيم هو البحث، ومنه قيل: رجل جاسوس، إذ كان يبحث عن الامور، وهو ما أدركه الإنسان ببعض حواسه"[5].

* أكثر العلماء يقولون بوجود الفرق بين التحسس والتجسس: قال ابن الكثير: "التجسس غالبا يطلق في الشر ومنه الجاسوس، أما التحسس فيكون غالبا في الخير"، كما قال –عزوجلّ– إخبارا عن يعقوب أنه قال: " **يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**"[6] وقد يستعمل كل منهما في الشر كما ثبت في الصحيح أن الرسول صلّ الله عليه وسلم قال: "ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا"[7].

---

[1] – التفسير المنير للزحيلي 247/26.

[2] – موسوعة الشويخات، أحمد مهدي محمد، الموسوعة العربية العالمية، م و ن ت، السعودية، 1999، ص 211.

[3] – ابن الأثير،كتاب التفسير.

[4] – تفسير ابن الكثير 213/04

[5] – تفسير القرطبي 218/16.

[6] – سورة يوسف ،الأية: 87

[7] – رواه البخاري ومسلم

حكمه: حرام ومنهي عنه في القرآن الكريم يقول الله تعالى "ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا" وبالسنّة المشرفة فقد روى صلّى الله عليه وسلم:" ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا". وبإجماع فقهاء المسلمين والمفسرين قديما وحديثا اعتبروه من الكبائر التي لا تمحوها إلا التوبة.

- ذمه في بيت شعري، يقول الشاعر:

يخرج أسرار الفتى جليسه ربّ امرئ جاسوسه أنيسه

- قال الفيلسوف لوديك: أما الجاسوس لا يحتاج إلى وسيلة إخفاء مجدد فقط: بل كذلك يحتاج إلى مهارة ليلعب دورا لشخصيته التي يتخيرها لاختفائه ومن الأهمية أن يكون ممثلا بارعا وأن يكون سريع البديهية قادرا على أن يواجد بثبات واتزان في أخطر المواقف وأعقدها

- أقسام التجسس: الممنوع- المشروع

فالأول يقصد به الكشف عن أسرار الناس دون أن يكون له غرض مباح، من جلب منفعة رابحة، أو دفع مفسدة متوقعةسواء كان ذلك بالتطلع، أو التنصت أما الثاني فيراد به كل تجسس يهدف إلى مصلحة دولة ما في تعاملها مع أعدائها، أو تطهير المجتمعات من أهل الشر والفساد، وملاحقاتهم والتضييق عليهم[1].

وله **أنواع حسب التعريف المعاصر**:

أ- الجواسيس المحليين: جواسيس محليين من عند العدوّ.

ب- الجواسيس الداخلين: أعضاء أو قادة لدى نظام أو جيش العدوّ.

ج- الجواسيس المرتدين: هم جواسيس العدو الذين تم كشفهم وتسخيرهم لخدمتك.

د- الجواسيس الكشوفين: جواسيس تم تسليمهم إلى العدو عن طريق جواسيسك، فهم أشبه بتمويه لإخفاء جواسيسك الحقيقيين.

[1] -موقع ويكيبيديا: 10:30 2016/04/19

هـ- الجواسيس الناجين: (العاديين) الجواسيس من طرفك الذين تشدهم ليعرفوا معلومات عن معسكر العدو.

- أهم صفات الجواسيس وأعمالهم:

- فتح مكاتب تجارية بالتعاون مع أفراد البلاد التي يعيشون فيها.
- عارض رؤوس الأموال لتأسيس شركات وتنفيذ مشاريع عمرانية والتعاون مع أبناء البلاد.
- المشاركة في الصحف ودور النشر.
- شراء فنادق جاهزة أو إنشائها بنفس الطريقة.
- الانتقال إلى البلد المراد تجسسه، والتظاهر لممارسة مهنة معينة يحتاج إليها أبناء ذلك البلد.
- يضاف إلى ذلك الملحقون الثقافيون والعسكريون والتجاريون في السفارات يعمدون إلى جمع المعلومات في مختلف المصادر وبعضهم يجندون من أبناء البلاد لمدهم بالمعلومات مقابل المال.

2 – الجوسسة الفرنسية و مخابرات الأمير عبد القادر.

2-1- الجوسسة الفرنسية :

في إطار إتصالات الأمير بفرنسا يجدر بنا التعرض بشيء من التفصيل لمؤامرة الفرنسيين التي ساهمت في القضاء على دولة الأمير، وقد كان للجواسيس الفرنسيين المتعاملين معهم وبخاصة القنصليان بمعسكر هما: دوما "doumas" ورينيه "warnie" دورا بارزا في نقل المعلومات إلى الفرنسيين وإطلاعهم على أوضاع الأمير، وقد استغل الفرنسيون لمواجهتهم الأمير القيم الأخلاقية التي التزم بها من تسامح ومعاملة حسنة للزائرين والضيوف ليتجسسوا عليه ويكيدوا له.[1]

كما سمحت حاجة الأمير الملحة إلى العارفين بصناعة البنادق والمدافع ومعالجة البارود والنسيج، وذلك لعدم توفر الخبرة لدى الجزائريين لبعض المغامرين بالتسلل إلى أجهزة دولته ونقل المعلومات عنها إلى الفرنسيين في الوقت المناسب حيث ظل الفرنسيون منهم على الإخلاص لوطنهم

[1] – السعيدوني ناصر الدين، عصر الأمير عبد القادر الجزائري ، المرجع السابق ، ص 222. ينظر أيضا: يوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر، تر: أبو العيد دودو، دار الهومة، الجزائر، 1997، ص ص 20-21.

حيث تظاهروا بخدمة الأمير والإخلاص له، كان في طليعتهم الجاسوسان ليون روش (Roches) المدعو بعمر، وغارسان (Garcin)[1].

أ- الجاسوس ليون روش:

- ليون روش قبل التحاقه بالجيش الأمير عبد القادر 1832-1837

ليون روش الذي سنتناول جانبا من حياته هو شخصية مغامرة، تمتلك الذكاء الحاد والجرئة في نشاطه المستمر، ومما سهل له الأمر هو معرفته اللغة العربية جيدا، الذي تمكن من خلالها فهم الذهنيات وعادات المسلمين، ويكون من بين الذين ساهموا في تقديم خدمات جليلة للجيش الإفريقي، وزيادة على تلك الخدمات التي قام بها في مجال الديبلوماسية في المغرب على أحسن وجه.

ولد ليون روش في مدينة غرونوبل (grenoble)[2] بفرنسا 27 سبتمبر 1809م المواقف لـ 1224هـ من أبوين فرنسيين وتوفي في نفس المدينة في 26 جوان 1901م المواقف لـ 1319هـ.

بدأ دراسته في مدينة غرونوبل وأتمها في ثانوية تورونون(touronon) [3]التي نال فيها شهادة الباكالوريا سنة 1828م الموافق لـ 1244هـ كما دخل معهد الحقوق في غرونوبل لمدة 06 أشهر، وكان واسع الطموح ميالا إلى المغامرة بعد أن انقطع عن دراسته واتصل بأهم التجار في مدينة مارسيليا، كان صديقا قديما لأبيه وقد كلفه هذا التاجر بمهمة تجارية مكنته من زيارة كل من كورسيكا وسردينيا وجنوى، وكان عمره 21 سنة كما زار جل الأنحاء الإيطالية الشمالية[4] كان أبوه روش ألفونسو (roches Alphonso) ملحقا بخدمات العتاد العسكري في الجزائر منذ الحملة الفرنسية في شهر جويلية 1830م الموافق لـ1246هـ وقد اهتم بالعمل الفلاحي في ضواحي الجزائر وكون مزرعة في سهل متيجة ونظرا لتعدد مهامه كتب إلى إبنه ليون يطلب منه الحضور إلى جانبه ليساعده

[1]- السعيدوني ناصر الدين ،عصر الأمير عبد القادر الجزائري ، المرجع السابق ،ص 222.

[2]- غرونبل مدينة فيها مركز جامعي وهي مدينة صناعية مهم في فرنسا ينظر: ليون روش 32 سنة في رحاب الإسلام، ص12.

[3]- تورونون: هي مدينة فرنسية تعد ميناء عسكري على البحر الأبيض المتوسط ينظر: المرجع نفسه، ص12.

[4]- يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990، ص13.

في الفلاحة بعدما غاب عنه مدة أربع سنوات وقد لبى روش رغبة أبيه مغادرا مدينة مرسيليا في منتصف 1832م الموافق لـ 1248هـ على متن الباخرة الفرنسية تحت قيادة السيدان "ماريون"و "لوغراند" وقد وصل بعد رحلة دامت 12 يوما إلى ميناء مدينة الجزائر[1].

واستقر في منزل أبيه بمنطقة ابراهيم رايس وسط الأهالي الجزائرية وبقايا الأتراك والحضر على بعد 06 كلم من مدينة الجزائر تقريبا كانت مزرعته تتسع إلى 20 هكتار، يقوم بخدمتها بعض الأهالي ولكي يساعد والده كان على روش أن يتعلم اللغة العربية، ويقول روش أنه اندفع إلى تعلم اللغة العربية، ليستطيع التكلم مع الفتاة الجزائرية كان قد عشقها، وعلى الأرجح أنه كان مجبورا على تعلمها للإتصال مع الذين يعملون في مزرعة أبيه، وكان ملزما بذلك قبل التعرف على هذه الفتاة التي تدعى خديجة[2] ولم يتأقلم روش مع البيئة الجزائرية إلا بعد مرور قرابه نصف سنة، تعرف من خلالها على إحدى الحضريات تدعى نفيسة يقول روش أنها أرملة وكيل الحرج (وزير البحرية) ما قبل الأخير لدي آخر الدايات الجزائرية[3] وكانت تمتلك مقاطعة مجاورة لأبيه كان عمرها 60سنة، يقول روش أنها كانت تربطها علاقة حب قديمة مع أحد الأوروبيين فأحسنت استقباله وأصبح يزورها باستمرار كما كانت تحتضن ابنة الوكيل الحرج الذي خلف ابنة من امرأة جرجرية اسمها خديجة وهي تحسن القراءة والكتابة باللغة العربية وهنا تعرف عليها روش وأحبها هذا بالنسبة لأول اتصلات روش للأهالي، اما عن اتصالاته بالأوروبية فيذكر أنه قضى كل الفترة الواقعة ما بين شهر نوفمبر 1832 وشهر أوت 1833 في الخروج إلى الصيد مع عدد من الضباط الفرنسيين الذين ينتمون فرقة القناصة كان قد

[1]- يوسف مناصرية ،المرجع السابق، ، ص14.

[2]- المرجع نفسه، ص ن.

[3]- ربما اختلط الأمر على روش ما بين وكيا الحرج والآغا لذلك اعتقد أنه يقصد ابراهيم 1829-1830، صهر الداي حسين آخر دايات الجزائر 1818 الذي عينه الداي خلفا ليحي آغا الذي شغل المنصب الآغا مدة 12 سنة ونفاه الداي بتهمة التدبير للإستيلاء على الحكم وكان ابراهيم آغا ضعيفا لا يعرف خداع الحرب ففشل امام القواة الفرنسية بقيادة دي برمون في معركتي سيدي فرج وسطاوالي سنة 1830، فعزله الداي حسين وعين مكان الباي التيطري، ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تعريب العربي الزوبيري، منشورات ANEP الجزائر 1975، ص 183-199.

تعرف عليهم بواسطة السيدان "ماريون" و "لوغراند" كما تعرف على بعض ضباط البحرية أيضا[1] وفي منتصف سنة 1833، قدمه أبوه إلى كل من الدوق روفيجو (duc rovigo)[2] حاكم الجزائر العام آنذاك والسيد جانتي (genty) مسؤول المصالح المدينة والسيد كوتان (cottin) رئيس بلدية الجزائر. وفي هذا الحين أنشأ الدوق روفيجو هيئة الحرس الوطني فعين ليون روش في رفقة الفرسان الخيالة، وكانت هذه الفرقة ترافق الجنرال في حملاته القصيرة التي كان يقودها في منطقة هضاب متيجة[3].

وحسب ليون روش فقد تعرف على رئيس مجلس القضاء الجزائري حين كان يرافق الجنرال روفيجو في حملاته القصيرة في متيجة، فدعاه هذا الأخير لتناول وجبة غداء معه، فخرج روش من عنده متحمسا ليتعلم اللغة العربية لهدفين أساسيين بالنسبة له، فالهدف الأول هو التمكن من مساعدة أبيه للإتصال بأجرائه في المزرعة، والثاني التحاور مع عشقيته خديجة فدلته العجور نفيسة على أستاذ مسلم جزائري من أصل أندلسي ، كان صديقا قديما لزوجها، واسمه عبد الرزاق بن بسيط ورغم أن الأستاذ لا يعرف اللغة الفرنسية وليون يجهل اللغة العربية فقد استطاع هذا الأخير في مدة 8 أشهر حسب قوله أن يتكلم مع أستاذه باللغة العربية فأحبه لفطنته وسرعة ذكائه، ولم يكتفي ليون بدروس أستاذه فقط، بل راح يمرن لسانه على التكلم بالعربية في المقاهي الشعبية وحضور جلسات قضاء المسلمين والخروج مع الفلاحين الأجراء لأبيه إلى الصيد فانطلق لسانه يتكلم لغة الأهالي ويفهمها، وقد دعمت علاقته بهم ويقول روش أنه راسل خديجة عن طريق أستاذه وزجته، بالإتصال مع مسعودة خادمة خديجة، وحسب رأي الدكتور يوسف مناصرية الذي يقول: "أنه يستبعد تدخل

[1]- يوسف مناصرية ، المرجع السابق،ص 14.

[2]- روفيجو: سياسي وعسكري فرنسي ولد سنة 1774، بمارك ستوفريار (إقليم الأردان) شغل منصب الحاكم العام في الجزائر ما بين 1831- 1833 و توفي سنة 1833 إثر مرض أصابه بباريس، وتميز حكمه بالعنف العسكري وسفك الدماء. يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص15.

[3]- المرجع نفسه ، ص15

الأستاذ في الموضوع لأنّ إختراق حرمة الرجل المسلم محرم في الإسلام خاصة إذا كان الأستاذ مسلما كما أكده روش بنفسه"[1].

ولم ينقطع روش عن زيارة العجوز نفيسة لعله يسمع عن أخبار عشيقته، فتعرف في بيتها على أحد الجزائريين يدعى السيد "أحمد بن عمر باشا"[2] وكان هذا الرجل في حاجة ماسة إلى وساطة لقضاء حاجة له عند الحكام الفرنسيين ، فساعده روش ونال بذلك صداقته وإخلاصه حتى أن ابن الباشا عرفه على زوجته لالا عائشة فذكر روش أنها قريبة الحاج احمد باي قسنطينة ومن كثرة محبتهم واحترامهم له كانت تناديه عمي ليون[3] وتوطدت العلاقة حتى أن روش صار يقضي لياليه كلها ساهرا لساعات متأخرة من الليل مع السيد محمد عمر باشا و عمر أخيه ولما توفي عمر باشا ترك زوجته حاملا حيث عند وضعها الحمل أطلقت عليه اسم عمر ولما قدمت اللجنة الإفريقية الأولى إلى الجزائر سنة 1833 لتبحث أحوال الجزائر وتقديم تقرير للحكومة الفرنسية بعد عودتها ، و لتلقى روش الأب ببعض أعضاءها على رأسهم السيدان بيسكاتوري ولورانس وكان هذا الأخير مكلفا بتنظيم شؤون العدالة وحضر الإستقبال الذي جرى في منزل ألفونسو روش بابراهيم رايس، وعدد من الجزائريين ربما أن المناقشات كانت تدور باللغة الفرنسية ، فقد كلف روش نفسه مهمة القيام بالترجمة بين أعضاء اللجنة الإفريقية والعرب الحاضرين نظرا لطلاقة لسانه فقد اعتقد أعضاء اللجنة أنه قدم من المشرق وذلك لأنه في بداية الإحتلال كانت فرنسا تستقدم مترجمين من الجيش المصري مثل دي لابورت والأب زكار[4] ، ويبدو أن عدم وجود المترجمين يحسنون اللغة العربية بلسان الجزائريين قد ساعد على تعيين روش مترجما محلفا للجنة من طرف السيد لورانس وذلك زيادة على أن القانون كان لا يتعرف

---

[1]- تزوجت خديجة قبل هذا الحدث من أحد أثرياء مدينة الجزائر أخذها معه إلى مدينة مليانة ينظر: leon roches dix ans a traverse. L'islamn 1834- 1844 préfacede M. cassaby. Paris. 1904, p p 22-27.

[2]- حمدان بن عثمان خوجة :المرآة ، المرجع السابق: ص ص 151-152.

[3]- يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص 16.

[4]-roches – dix ons , op cit p p 48-51.

بأي اتفاقية أو تعهد يقع بين الأهالي والأجانب من دون حضور مترجم محلف بينهما كما كانت مهمة روش تقتضي شرح المصطلحات الملكية وتفسير الشروط المقترحة من الطرفين ، غير أن ما تعلمه من اللغة لم يكن كافيا لأداء هذه المهمة على أكمل وجه فعمل على زيادة مجهوده لتعلمها وإتقان مصطلحاتها، وصار يقضي الليالي الطوال في فك الألغاز الأسماء العربية القديمة، ومصطلحات الاقتصادية والعقارية وغيرها، وقدساعده أكثر الأستاذ عبد الرزاق الذي سهل عليه تناول المفردات اللغوية المتعلقة بعلم القانون والخصومات في الإسلام[1]، وهنا تجدر الملاحظة أن روش لم يكن جديا في تعلم اللغة العربية وذلك ليكون هدفه الأول منها مغازلة عشيقته كما ذكر، إلا بعدما عرف فوائدها المختلفة إذ فتحت له باب رزق لم يكن يحلم به أو يخطر على باله من قبل، وأغلب الظن أنه كان يدرك جيدا مدى حاجة البلاد إلى مترجمين قادرين وأكفاء على أن يكونوا الخيط الرابط بين الفرنسيين والأهالي، فحرص على إبراز شخصيته أمام عضو اللجنة الإفريقية السابق الذكر، كما انه كان بتقاضى ما يزيد على 1000 فرنك شهريا بمقابل المهام المترجمة التي يقوم بها المتمثلة لترجمته وخدماته التي اسندت إليه، واستطاع حينئذ مساعدة أبيه من الناحية المالية أيضا لإنجاز مشاريعه الفلاحية[2] وكان الجيش الفرنسي سنة 1832 عند وصول الدوق" روفيجو" إلى الجزائر، يضم أربعة مترجمين فقط و جديرين بأداء مهمتهم على أكمل وجه، ولما أحضرت فرنسا قنصلها في طنجة أنذاك السيد دي لابورت ليستغل منصب المترجم الترجم الرئيسي في الجيش الإفريقي المتواجد في الجزائر ويعطي دروسا للمترجمين، ويراقب تقدمهم ورفع مستواهم لاحظ السيد دي لابورت أن أغلبية المترجمين جهلاء لا يعرفون القراءة ولا الكتابة[3].

[1]- يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص16

[2]- المرجع نفسه، ص 16.

[3]- لقد كان اغلب المترجمين في بداية الامر سنة 1832 لا يرغبون في مواصلت هذه بالمهمة وكان عدد 21 مترجما إلا واحدا فقط من يعرف الكتابة باللغة العربية ويتكلم قليلا اللغة الفرنسية ولما عجز السيد دي لابورت عن تكوين فكرة معهم قرر الجنرال روفيجو أنه ابتداء من جانفي 1833 لأن كل المترجمين يخضعون إلى امتحان العشير اما اللجنة تكون تحت رئاسة قائد الاركان العامة. بينظر: يوسف مناصرية مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب، ص71.

ويبدوا أن الضرورة والحاجة الماسة والملحة، قد أدت إلى تعيين ليون روش في منصب مترجم رئيسي محلف في الجيش الإفريقي من طرف المارشال كلوزيل نفسه سنة 1835م، وذلك لكونه ضابطا في فرقة الحرس الوطني وإتقانه للغة العربية أحسن من غيره[1]، وقد اصطحب روش المارشال كلوزيل في حملته على المدية في 1836م بصفته مترجما عسكريا محلفا، وما إن بدأ المارشال يتاخم ثنية موزاية حتى باغتت العرب جيوشه فتصدى لهم النقيب جاستيه (gastu) رئيس فرقة الصبايحية تغلب عليه العرب وهزموا جنوده وسقط جاستيه جريحا بين صفوف العرب،فاغتاظ المارشال من هذا الوضع وأمر ضباطه الـ17 الذين يكونون موكبه بالهجوم عليهم وفك النقيب جاستيه من قبضة سيوفهم، وكان روش ممتطيا جواده الأسود أول من وصل إلى جاستيه فوجده ممدودا على الأرض وسيف أحد العرب على رقبته فأردفه روش على حصانه ورجع راكبا نحو المارشال فشكروا هذا الأخير ورفعوا من شأنه[2]، كما يقول روش أن المارشال "كلوزيل " أمره بأن يصحب الجنرال "دي ميشال " إلى المدية كترجمان عسكري محلف فامتثل لأوامره ودخلوا المدينة ولم يباشروا أي معركة ضد الاهالي والتقى روش بأحد أصدقائه الجزائريين، كان قد تعرف عليه في الجزائر عند محمد بن عمر الباشا كان يدعى سيدي محمد قائد البويرة فدعاه هذا الاخير لتناول العشاء معه ولما استأذن روش الجنرال في ذلك وافقه شريطة اغتنام الفرصة لجمع المعلومات حول محمد بن الحسين الذي رشحه جنرال بايا مواليا لفرنسا في المدية[3].

ومن هنا يثبت أن روش كان قد مارس الجوسسة قبل التحاقه بالأمير عبد القادر في شهر نوفمبر 1837م وكما عاد إلى الجنرال واخبره أن فكرة تنصيب محمد بن الحسين بايا على المدينة لا تخدم مصالح فرنسا، ولا يتغير بمقتضاه الوضع السائد في هذه المنطقة أو الإقليم بأن الأهالي كلهم ساخطون عليه بل سينجر عن هذه الإجراءات أتعابا كثيرة الأشكال على القوات الفرنسية لحمايته حتى أن الجنرال نفسه أحس بهذا الشعور لما خلت المدينة من سكانها لم يبقى فيها إلا الكراغلة

[1]- يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص17.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 17-18.

[3]- نفسه ، ص18.

واليهود، بذل الجنرال واسع جهده في إقناع الفارين وطمأنتهم فلم يفلح رغم القوة التي كانت معه والأسلحة التي وزعها على الكراغلة[1] ، لما فشلت كل محاولات الجنرال ففوض ليون روش للاتصال بأحد قادة قبيلة وزرة الذين أتوا للقائه، وعرف روش من القائد أن القبائل لا تريد الفرنسيين ولا الباي الذي عينه . وعندا عودت المارشال كلوزيل ألغى مشروع تنصيب الداي محمد ابن الحسين على المدية وكذلك باي مليانة، ثم أن المارشال كتب تقرير إلى الوزارات الحربية ضمن قائمة خاصة بضباطه الذين شاركوا في الحملة وكان اسم ليون روش موجودا فيها وذلك حسب قول روش ولكن هذه القائمة ليس لها وجود ضمن مراسلات المارشال كلوزيل التي جمعها السيد غابريال أيسكير في الجزأين، وأغلب الظن أنها تكون قد أرسلت كملحق لتقرير المارشال وهو ما دفع إلى عدم نشرها[2].

وقد واصل ليون مهمته كمترجم محلف في الجيش الإفريقي، وكانت الحملة على المدينة قد رسخت في ذهنه خاصة حادثة النقيب جاستيه التي شارك بسببها لأول مرة في المعركة ضد الأهالي فخلفت لديه طموحات جديدة اتجاه الحياة العسكرية، وكانت أمنيته الوحيدة أن يكون ضابطا في الجيش، وزادته تشجيعات الكولونيل ماري اندفاعا لتحقيق أمنيته وتحقيق مرماه[3]، وهو ما يثبت نيته في القضاء على الأهالي الجزائريين (روش)، وليس كما يزعم لما ألتحق بدولة الامير أنه رجل سلم، يريد حضارة بلاده في الجزائر وصار "روش" يتساءل إذا كان سيدخل كضابط في فرقة الصبايحية وتأثر بها وفتنته مغامرته مع النقيب جاستيه وذلك في الوقت الذي كانت فيه عجلة الحرب تدور بين جيش الأمير عبد القادر والجزائريين، هذا من جهة والجيش الفرنسي من جهة ثانية وتذكر المصادر ان والده

[1]-léon roches . trente doux ans. A travers l'islam. Paris, 1884-1885 T, 1 pp 52-53.

[2]- يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص19.

[3]- ماري (marey- maye) جنرال فرنسي ولد في نويتش فرنسا 17 فيفري 1796م ومات في بومار بفرنسا في 13 جوان 1863 وقد كان ضابطا في المدفعية الفرنسية 1830 وشارك بعدها في الحلمة الفرنسية على الجزائر وترقى برتبة الجنرال في سنة 1848 وكما شغل منصب الحاكم العام للجزائر ينظر: مناصرية يوسف مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب، ص73.

روش ألفونسو قد استطاع أن يلغي تعاقد ابنه مع الجيش الفرنسي[1] . وهنا تبادر إلى الذهن الأسئلة التالية: إذا كان أبوه استطاع ان يمنعه من أن يصبح ضابطا في الجيش الفرنسي لماذا لم يقدر على رده عن الالتحاق بدولة الأمير عبد القادر؟، هل كان لا يريد الخير لفرنسا ويفضله للأمير ؟، هل وافق على أن يلتحق ابنه ليون روش بالجيش أو دولة الأمير ليخدمه بدل فرنسا؟ ام هل كان التحاقه بالأمير في ظل سلم معاهدة التافنة أنفع للبلاد فيجلب معلومات عن أحوال الأمير السياسية والاقتصادية والعسكرية بدلا من أن يلتحق بالجيش الفرنسي فيقتل أو يقتل ؟[2].

2- ليون روش داخل دولة الأمير (1837-1839):

لقد كان على السلطات الفرنسية على أن تعمل إقامة السلم في الجزائر ووسطها بعد مدة طويلة من الحرب الضارية ضد الأمير عبد القادر حوالي 07سنوات وان تركز جهودها وتكثف قواتها العسكرية في الشرق الجزائري وذلك لنسيان الهزيمة الأولى بقسنطينة ومما أكد حتمية هذا السلم، وهو زيادة الخسائر المادية والبشرية واضطراب الحكومة الفرنسية وتخوفها من تصاعد الأزمة داخل مجلس النواب، زيادة على فشل القوات الفرنسية في التوغل داخل البلاد، لذلك شرع كبار العسكريين في اعداد حملة ثانية على قسنطينة 1837م[3].

- بعدها قررت الحكومة الفرنسية إرسال الجنرال بيجو إلى الجزائر للتفاوض مع الأمير عبد القادر لعرض شروط السلام عليه ، وخولت له كل الصلاحيات لتحقيق ذلك ، كما أن الأمير عبد القادر هو الأخر كان محتاجا لفترة الهدنة لإخماد الفتن الداخلية وجمع كلمة المسلمين وتنظيم شؤون دولته عسكريا ، إداريا ،ماليا ،سياسيا ، وإقامة علاقات خارجية ليجلب السلاح والذخيرة ، فبدأت المفاوضات في أوائل 1837م وعقدت في الأخير اتفاقية السلم بين الأمير والجنرال بيجو نيابة عن

[1]- يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 19.

[2]- المرجع نفسه، ص20.

[3]- يوسف مناصرية ، ليون روش داخل جيش الأمير عبد القادر، 1837-1839 مجلة سيرتا، ع 08-09، قسنطينة، الجزائر، 1983، ص05.

حكومته في 30 ماي 1837م ، وعرفت باسم معاهدة تافنة[1]، وتضم هذه المعاهدة 15 بندا جلها لصالح الأمير ومن بين بنودها البند الرابع الذي ينص على السماح للمسلمين بالعيش أينما أرادوا، ولهم الحرية المطلقة في الإنتقال من دولة الأمير إلى الأماكن التي يحتلها الفرنسيون أو من هذه الأخيرة للعيش تحت سلطة الأمير عبد القادر[2]، حينها قرر ليون روش الالتحاق بدولة الأمير بمقتضى هذا البند ، و برر موقفه لعزمه على اعتناق الدين الإسلامي[3].

قرر روش أنّ يلتحق بالأمير عبد القادر بهدف الوصول إلى عشيقته خديجة، التي علم أن زوجها استقر بها في مدينة مليانة الواقعة تحت حكم الأمير عبد القادر، ولكن إذا كان يريد فعلا الاتصال بخليلته كما زعم فلماذا لم يختصر الطريق ويلتحق بصديقه عمر باشا وأخيه محمد؟ اللذان يقيمان بمليانة وينظم اتصالاته كما يشاء ويكون بذلك قد تجنب كل المخاطر والصعاب والمخاطر بنفيه بالالتحاق بالأمير[4] ، أما إذا صدقنا قوله من أنه ذاهب إلى جانب الأمير لمساعدته في تنوير المسلمين واطلاعهم على الحضارة الفرنسية فإننا نستنتج من ذلك انه أراد المساس بوجدة المسلمين وكسب ولاء ضعاف العقول منهم إلى فرنسا والتباهي بالإنسانية وسرعة المعرفة والذكاء، وهو دور كان قد قام به أيضا الدكتور "وارني" (warnier)[5] في مدينة معسكر لما كان يعالج مرضى المسلمين لا بهدف مداواتهم بل لكسب عاطفتهم لصالح الفرنسيين وأيضا يخلق الشقاق بينهم وتشتيت صفوفهم[6].

---

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847م، المرجع السابق، ص24. ص23.

[2]- يوسف مناصرية ،مجلة سيرتا، ع 08-09،المرجع السابق ، ص06.

[3]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847م، المرجع السابق، ص24.

[4]- يوسف مناصرية ،مجلة سيرتا، ع 08-09،المرجع السابق، ص06.

[5]- عندما عين النقيب دوماس قنصلا لدراسة المعسكر في شهرنوفمبر 1837 كان الدكتور وارني بجانبه يساعده على أداء مهمته، ويعمل على كسب عاطفة المسلمين، ويجول الحقول والوهاد لمعالجة مرضاهم وكان من بين المرضى ابن الأمير عبد القادر، فنال وارني بذلك تعاطف المسلمين وإعجابهم به ينظر: تهميش مجلة سيرتا العدد 08-09، ص07.

[6]-المرجع نفسه، ص07.

– بدأ روش ينظم اتصالاته مع بعض الفرنسيين والجزائريين بهدف جمع المعلومات الكافية حول أحوال الأمير بالاتصال الملازم الأول فيرجي (verge)[1] قائد فرقة الصبايحية بمدينة بوفاريك ورافقه إلى مدينة البليدة بحضور الحكم على بعض الجزائريين الذين كانوا قد قتلوا أحد الجنود الفرنسيين، وأظهر روش إسلامه أمام الحاكم لجلب نظره، فاستضافه هذا الأخير عنده فاغتنم روش هذه الفرصة بالاتصال بمرابط المدينة، سيدي بلقاسم ابن سيدي الكبير واظهر له بصفته مسلما تخوفه من رجال الحجوط ، لأنْ يغتالوه كما فعلوا مع الجندي الفرنسي، فوثق به المرابط على حسن نيته فاستضافه في بيته، فالتقى هناك ببعض المسلمين الذين كانوا بضيافة سيدي بلقاسم واستقبلوه بحفاوة لاعتقادهم أنه مسلم وفي هذه الأثناء حضر رسول الأمير عبد القادر وأخبر سيدي بلقاسم أن الأمير يريد بسط نفوذه على القبائل المقيمة في الشرق الجزائري، التي لم تخضع بعد لسلطانه[2].

فتقدم روش حينئذ واخبر سيدي بلقاسم انه يريد الالتحاق بالأمير وبذل كل جهده لخدمته ، فاستبشر المرابط بكلامه ، ودعا له بالتوفيق وفرح به أشد الفرح لاعتقاده في أن الله قد هداه من الكفر إلى الإيمان، ففرح روش حينئذ واستبشر بلوغ مرماه ، و لأن التحاقه بالأمير يعتبرا أمرا هاما في خدمة فرنسا، فيكون بذلك قد بادر بمساهمة حسنة في تحقيق طموح بلاده[3] ، وخاصة أنه حسب قوله : أنه اعتنق الإسلام ليدخل في وسط جيش الأمير فيقترب منه ليتعرف على أحواله ويجعل منه حليفا لفرنسا ويؤدي في الأخير إلى استسلام الجزائريين له[4] . في شهر نوفمبر 1837 عاد ليون روش إلى أولاد سيدي موسى وحمل متاعه في طريقه إلى مليانة وكان مرابط سيدي بلقاسم قد سلمه رسالة يطلب له فيها الأمان لمرابطي الحجوط، ففتحت له الطريق ووصل إلى مدينة مليانة حيث كان يقيم

[1]– فيرجي شارل نيكلاس ولد سنة 1809 عينه الجنرال فوارول سنة 1833 برتبة رقيب في هيئة الصبايحية وبعد ذلك قام بترقيته برتبة ملازم اول.

[2]– العربي اسماعيل، سفارة الميلود بن عراش لدى الملك لويس فيليب، خلفياتها ونتائجها، مجلة التاريخ، العدد06، 1978، الجزائر، ص101-103.

[3]– يوسف مناصرية ،مجلة سيرتا، ع 08-09،المرجع السابق ، ص ص 07-08.

[4]– يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847م، المرجع السابق ، ص25.

صديقه عمر الباشا واستضافه هذا الأخير وقدم له نصائح كثيرة عن كيفية سيره وأوصاه من الحذر في تحركاته[1]، والفطنة في سلوكه لكي لا يجلب شكوك المسلمين حوله ، وقد فعل عمر باشا ذلك لمساعدته في الوصول إلى عشيقته وهو يعرف جيدا أن روش تظاهر باعتناق الإسلام إلا من أجلها[2].

وفي هذه الأثناء كان الخليفة محمد ابن علال غائبا عن المدية، فإتصال روش بنائبه وكاتبه قدور بن رويلة وشرح له بأنه مسلم ويريد الالتحاق بالأمير ليقدم له خدماته وأهدى له مصحفا، واستبشر قدور بن رويلة بإسلامه ووعده أن يصحبه هو بنفسه إلى معسكر الأمير وسوف يطلب من الخليفة محمد بن علال أن يقدمه للأمير[3]، بدا روش حينئذ يتهيأ لملاقاة الأمير. فتعلم كيفية الصلاة وبعض تعاليم الإسلام وذلك طيلة إقامته عند صديقة عمر باشا ، ورافقه قدور بن رويلة فعليا إلى الأمير[4] الذي كان قد سار على رأس الجيش إلى الشرق وعسكر على ضفاف وادي نوغة حيث التحق به روش[5]، وقد سأله الخليفة محمد بن علال بطلب قدور بن رويلة استقبال ليون روش كفرنسي اعتنق الإسلام ويريد الدخول في خدمته ففرح الأمير بإسلامه ، و قبل الدعوة واستقبل لأول مرة ليون روش وأجرى معه حوارا وأخبره روش انه اعتنق الدين الإسلامي بكل إخلاص ويريد منه أن يسمح له بالدخول في خدمته وقال له أن مسلمي الجزائر قد أطلقوا عليه اسم عمر، و بهذا طلب الأمير من قاضي المعسكره أن يعلمه القرآن وتعاليم الإسلام ، وقال أن المسلم الحقيقي لا يكتفي بقوله أنه اعتنق الإسلام، وإنما يجب أن يفهم ويعرف ما يجب أن يكون عليه المسلم المخلص الصادق في القول والعمل[6] ، وهنا بدأ روش يرتب أمور عمله لأداء مهمته الحقيقية كجاسوس وبدا يأخذ حذره من أن

---

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847م، المرجع السابق ، ص25.

[2]- مع العلم أن عمر الباشا لم يكن يعرف نوايا روش الحقيقية، وهي التجسسية على المسلمين ولكنه كان يبغض الأمير، وكان الأمير أيضا يعامل الأتراك معاملة سيئة ينظر: مجلة سيرتا العدد 08-09، ص08.

[3]- يوسف مناصرية ،مجلة سيرتا، ع 08-09،المرجع السابق ، ص08.

[4]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847م، المرجع السابق ، ص25.

[5]- العربي اسماعيل، مجلة التاريخ، العدد 06، المرجع السابق، ص101-103.

[6]- يوسف مناصرية ،مجلة سيرتا، ع 08-09،المرجع السابق ، ص09.

يتقن عملا لصالح الأمير ويرتكب في ذلك جريمة ضد بلاده فما كان عليه إلا أن يشرع في جمع المعلومات ومراسلة الفرنسيين وتعريفهم بجميع أحوال الأمير العسكرية والسياسية وغيرها[1]، وبعد أول رسالة له من معسكر الامير في واد نوغة بتاريخ 19 ديسمبر 1837 إلى أحد الفرنسيين لم يذكر اسمه، وأشار إليه بعبارة صديقي استلمها بإعطاء وصف دقيق عن شخصية الامير ومناقبه ولباسه وأوصافه الجسمية ،الخلقية ،الدينية ،الثقافية، وقال أنه رجل عادل يحترم تعاليم دينه وان المسلمون يخضعون له لسبب احترامه الشديد لتعاليم الإسلام، وسيره على نهج الخلفاء الراشدين[2] ، ثم تطرق للحديث عن الحالة الإقتصادية ،المالية ،العسكرية ، و قال ان موارد الأمير الإقتصادية منعدمة وحالته المالية سيئة ، و جيشه النظامي مفكك و مشتت و ضعيف المعنويات، وأن سلطته و نفوذه جزئي لم يشمل كل القبائل، فقد خرجت عليه القبائل الجنوب قبل عقد معاهدة التافنة ولم تعترف بسلطانه، ولم يبقى في يده إلا بعض قبائل الإقليم الوهراني[3].

ومن الناحية السياسية قال روش أن الأمير لا يرى في معاهدة تافنة إلا فترة سلم تمكنه من تجهيز نفسه للدخول في حرب جديدة ، وأن نفوذه ازدادا خلال 06 أشهر الأولى من المعاهدة، (من جوان إلى ديسمبر 1837) وتوسع نفوذه وأصبحت سلطته معترف بها في الحدود المغربية إلى حدود قسنطينة، وأن الأمير قد شرع في جمع الضرائب والأموال لبناء أركان دولته[4] ، وفيما يخص تنظيم الأمير الأمير الإداري حيث أخبر روش أنه قسم دولته إلى 08 إمارات وعين على واحدة خليفة له، وأعطى تفاصيل حول تقسيم كل إدارة وكيفية توزيع القبائل التابعة له ، كما فصل أيضا في رسالته إلى(صديقه) كيفية جباية الضرائب ،الزكاة ، و العشور، أما عن موقف المسلمين من استعمار فرنسا للمدن الساحلية فقال أن رأيهم مجمع على أن تحتل الساحل بصفة مؤقتة فقط، وأنه سيتم جمع المال

[1]- يوسف مناصرية ،مجلة سيرتا، ع 08-09،المرجع السابق ، ص09.

[2]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847م، المرجع السابق ، ص26.

[3]- المرجع نفسه، ص26.

[4]- يوسف مناصرية ،مجلة سيرتا، ع 08-09،المرجع السابق ص09.

لشراء كل المدن بهذا يرجع الفرنسيين إلى بلادهم، وتسود سلطة الأمير عندئذ كل بلاد إفريقيا[1]، فإن روش واصل مهمته كجاسوس وكشف للفرنسيين عن أسرار الأمير العسكرية والإستراتيجية، وقال أن هدف الامير الأساسي من هذه الجولة هو بسط نفوذه على القبائل شرق البلاد، من ثم جمع الضرائب وتقوية ميزانية دولته، ثم شرح وقدم (لصديقه) كيفية محاربة الأمير للقبائل في وادي الزيتون انطلاقا من معسكره في وادي نوغة وكيفية انتصاره عليهم في الأخير وذلك عائد إلى دقة أوامره والتنظيم المحكم لجيشه[2]، وأعرب لهم في الأخير عن رأيه في معاهدة التافنة ونصح صديقه ، و قال له أنه لا يجب عقد أي سلم مع هؤلاء العرب المتبربرين، وأكثر من ذلك فقد ظهر روش على حقيقة أمره كجاسوس عندما راسل النقيب دوماس[3]، قنصل فرنسا في معسكر يقول له أنه ما إلتحق بالأمير إلا خدمةً لبلاده وأنه سيفارقه عندما يستأنف الحرب ضد فرنسا وكان ذلك مما أوفده الأمير إلى مدينة تلمسان مرورا بمدينة معسكر ليتعلم القرآن وتعاليم الدين الإسلامي[4]، وأثناء إقامته في مدينة تلمسان شك فيه المسلمون واعتبروه جاسوسا فرنسيا، فوضع عليه الخليفة البوحميدي عيونه، ولما أحس روش بذلك حاول الفرار إلى مدينة وهران ولكنه فشل في الأخير[5]، ولما قرر الخليفة إعدامه بادره روش تحت قناع الإسلام بأنه مسلم لا يجوز قتله إلا بأمر من السلطان، وأنه ما فر إلا لقساوة المعاملة له، فعفا عنه الخليفة وقرر إرساله إلى الأمير، خاصة وأن مجلسه (الخليفة) كان في صالح روش وكان روش قد بعث برسالته الثانية إلى صديقه في شهر فيفري 1838م، فصل له فيها النظام الإداري والعرقي الذي كانت تسير عليه كل القبائل غرب البلاد، وشرح له ما عرفه عن الأحوال الإجتماعية، الاقتصادية

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847م، المرجع السابق ، ص27.

[2]- المرجع نفسه، ص27.

[3]- لقد وقع اختيار الجنرال بيجو على الرائد من مينانفيل ليكون قنصلا لفرنسا لدى الأمير ولما انتحر خلفه دوماس ثم تقلد هو هذه المهمة في نهاية السلم التافنة ينظر: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب... ص73.

[4]- يوسف مناصرية ،مجلة سيرتا، ع 08-09،المرجع السابق ، ص10.

[5]- المرجع نفسه،ص 11.

العسكرية ، الثقافية ، و الدينية التي كان يمارسها الأهالي[1] ، وكان روش يعلم جيدا أن الدين الإسلامي يعدل بين الناس جميعا ولا يفرق بين السائد والمسود، فما إن وصل إلى مدينة المدية في أوائل شهر أفريل 1838م، و حضر أمام الأمير، حتى بكى له واشتكى من ظلم الخليفة البوحميدي ورجاله، وسوء معاملتهم له، وإنهم اعتبروه كافر ، وليس مسلما أتى لخدمة الأمير لنصر الحق على الباطل وإظهار النور على الظلام.

لعب روش على (سذاجة)[2] الأمير فقال له"هكذا يستقبل مسيحي اعتنق الإسلام بإرادته؟" ثم بالغ في التضرع فصدقه الأمير ووعده أنه سوف لا يتركه يفارقه إلى الأبد.

واستطاع روش عندئذ أن يحقق هدفه ويبلغ مناله، ويقترب من الأمير ويطلع على جميع أسراره خاصة بعد أن عينه الأمير كاتبا له ومستشارا له واتخذه رفيقا وكلفه بمراقبة مسائل جيشه النظامي، وملابسه وأجوره، وولاه مهمة تسجيل أسماء القبائل كلها وحصر أسماء شيوخها حتى يتمكن من جمع الضرائب بدقة[3]، ولما علم المسلمون ما وصل إليه روش من مرتبة آمنوا جانبه وأصبح الامر طبيعيا بالنسبة لهم خاصة بعدما قربه الأمير منه . وازدادت ثقتهم فيه وتيقنوا من إيمانه خاصة بعدما رفض الرجوع مع أبيه إلى الجزائر لما طلب منه ذلك عند زيارته للأمير في منتصف شهر ماي 1838، وكان الأمير قد ترك له حرية البقاء أو الذهاب، فاختار البقاء إلى جانب الأمير فظن المسلمون أنه رفض العودة لكونه مسلما لا يريد الرجوع تحت حكم الكفار[4]، وصفا الجو حينذاك لروش وسهلت مهمته وتيسر له

---

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847م، المرجع السابق ، ص ص27-28.

[2]- تظهر سذاجة الأمير والمسلمين في معاملتهم لروش خاصة عندما استقبله الأمير لأول مرة وصدق كلامه، ولم يضع عليه أية مراقبة، فصار روش يختلي بنفسه ويحرر رسائل إلى الفرنسيين، با أن الأمير أمر يتعليمه القرآن لثقته فيه، حتى لما حاول روش الفرار من تلمسان بسبب شكوك المسلمين في إسلامه، وتقابل مع الأمير بعد ذلك ولم يأخذ الأمير حذره منه بل قربه وجعله أمين سره، وصدقه جميع المسلمين حتى الذين كانوا يشكون في إسلامه لم يحاول تقديم أدلة ضده للأمير ولعل الأمير كان قد قرب روش منه ليستفيد من خبرته في الجيش الفرنسي ويعلم منه بعض الأمور والأسرار العسكرية وغيرها.ينظر: مجلة سيرتا العدد08-09 أيضا يوسف مناصرية مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب، (1832-1847)،ص 74.

[3]- المرجع نفسه ، ص28.

[4]- نفسه ، ص ن.

الأمر و كل ما يحتاجه من معلومات خاصة وأن المسلمين أصبحوا يبوحون له بكل أسرارهم ويعتبرونه ساعد الأمير الأيمن، وكان روش يحضر حتى مجالس الأمير السرية التي كان يعقدها مع كبار الرجال أمثال مصطفى بن التهامي وغيرهم[1] ، وحرص الأمير على تعليم روش أمور دينه فعكف هذا الأخير على دراسة اللغة العربية والتعمق فيها، وسجل معلومات كثيرة حول كيفية جني الضرائب بمختلف أنواعها وكيفية توزيعها على القبائل[2]،وكان الأمير يأخذه معه أينما ذهب وينفق عليه من بيت مال المسلمين بهدف تنويره بتعاليم الشريعة الإسلامية، ولكن كان ذلك عملا دون مردود ومجهودا في غير موضعه، لأنه كان يواجه عدوا في ثياب مسلم، والفائدة الوحيدة التي كان يجنيها الأمير من روش هي قراءة هذا الأخير للصحف الفرنسية وتلخيص ما جاء فيها للأمير باللغة العربية، ومن يدري هل فعلا كان يخبره بمضمونها الحقيقي أم كان يفتري عليه مكرا وخداعا[3]، ونذكر أن روش خرج مع الأمير في حملته على عين ماضي، بتاريخ 12 جوان 1838[4] وكان الأمير قد عزم بعدما جمع كلمة المسلمين في الشرق على التوجه إلى الجنوب لإخضاع القبائل الصحراوية وتنظيمها تحت لوائه، وكانت الطريقة التجانية[5] هي المسيطرة في هذه الأنحاء ومركزها عين ماضي وكان الأمير يعامل صاحبها سيدي محمد بن سيدي أحمد بن سالم التجاني معاملة المرابطين، ولكن شاء القدر أن يعثر الأمير على رسالة للتجاني بعثها إلى أهل الأغواط يستنفرهم ضد الأمير، مع رسائل أخرى إلى الحاكم الفرنسي في الجزائر يقول له فيها:"...إن (أنت) أشغل الحاج عبد القادر من تلك الجهة البحرية وأنا أكفيك أمره

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847م، المرجع السابق ، ص28.

[2]- يوسف مناصرية ،مجلة سيرتا، ع 08-09،المرجع السابق ، ص12.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 12-13.

[4]- محمد ابن عبد القادر الجزائري، ج1، ص306-311.

[5]- التجانية هي طريقة دينية أسسها سيدي أحمد التجاني ما بين 1737-1815مركزها عين ماضي انتشر تعاليمها في كل من المغرب وإفريقيا السوداء والحجاز وتركيا، وكانت حليفة لفرنسا حتى أن الحفيد للشيخ سيدي أحمد تزوج من فرنسية أورلي بيكارد، سنة 1872، لها مركز ثاني في تماسين قبل مدينة توقرت ويقع مركز عين ماضي على بعد 72 كلم غرب الأغواط ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ج5، دار الغرب الإسلامي،ط1 ،بيروت،لبنان،1998.

من الجهة البر..."[1] ولما وصل الأمير على رأس جيشه إلى دوار أولاد البيضة، وأتته قبائل الصحراء من كل فج وتجمعت حوله، وأوفد 20 فارسا على رأسهم ليون روش لإبلاغ التجاني أن الأمير لا يريد من هذه الحملة إلا جمع كلمة المسلمين وإعدادهم للجهاد في سبيل الإسلام، ولكن التجاني كان يرى في نفسه أنه أحق بحكم المسلمين من الأمير، فجمع قواته وتمركز في قصره بعين ماضي[2]، فإن روش قال أنه هو الذي طلب من الأمير لأنه أراد أن يبرهن له صدق إيمانه، والظاهر أن روش قبل قيامه بهذه المهمة لعلمه لولاء التجاني للفرنسيين خاصة بعدما اطلع على الرسائل التي وجهها التجاني إلى المارشال فالي والتي وقعت في يد الأمير، ولذلك ألح روش على الأمير في إيفاده إلى التجاني وفي نيته أن هذا الأخير سوف لا يؤذيه خاصة إذا علم أنه فرنسي، ومن ذلك يكون روش قد كسب ثقة الطرفين[3] وعوضا أن يؤدي روش مهمته الحقيقية في تحسين الوضع بين الأمير والتجاني عمل على تحريض هذا الأخير على الأمير وقال له أن حصانة قصره هي القوة الرهيبة في وجه الأمير وسوف تكون حاجزا صعب المنال ،وفي الوقت نفسه خوفه وحذره من مواقف الأمير الصلبة وأنه سوف يحاصر المركز ولو لمدة 10 سنوات[4]، ونستنتج من ذلك أنه بعث آمالا كبيرة في نفس التجاني الذي ظن فعلا أن حصنه يحميه من الهجومات خارجية ولم يذكر روش للتجاني أن الأمير لا يريد الإستيلاء على مركزه وإنما هدفه الوحيد هو جمع كلمة المسلمين لاستئناف الجهاد ضد الكفار، ومن هنا سكون روش قد زاد النار حطبا، وبلغ بذلك هدفه الأسمى وهو إضعاف قوة المسلمين وتشتيت رأيهم، وبعد أن قوى روش عزيمة التجاني على محاربة الأمير عاد إلى الأمير وأخبره أن التجاني متصلب في رأيه أن له ثقة كبيرة في حصنه وذكر له أنه جمع ما يكفيه لتمويل رجاله لعدة سنوات، ولما باشر جيش الأمير المعركة، كان روش يعلم جيدا أن الأمير سوف ينتصر لا محالة ويتمكن من جمع كلمة المسلمين ضد فرنسا فعمل على إضعاف قوته،

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847م، المرجع السابق ، ص74.

[2]- يوسف مناصرية ،مجلة سيرتا، ع 08-09،المرجع السابق ، ص13.

[3]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847م، المرجع السابق ، ص 30.

[4]- محمد ابن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ج1، ص300-302.

وطلب منه أن يجعله على رأس الكراغلة لعلمه أن معظمهم يبغض الأمير، فلم يظهر لهم روش ذلك لكنه عمل على تبذير الذخيرة وتركهم يطلقون الرصاص في غير موضعه بدل أن يراقب ذلك بكل دقة[1].

– ولم يكتف روش بهذه العملية التخريبية، بل تعداها إلى مراقبة الفارين الأجانب الذين أخلصوا العمل للأمير[2] ، ولو لا الذخيرة التي وصلت إلى الأمير من وكلائه في المغرب وتلك التي أرسلها له المارشال فالي طبقا لنصوص معاهدة تافنة لانهزم الأمير فعلا بسبب ضرب قوته ونفاذ ذخيرته . ولم يتفطن الأمير لمخادعة روش،فعامله معاملة حسنة وارتفعت قيمته عنده أكثر من ذي قبل[3]. ويقول روش أنه بعدما تم استيلاء على مركز عين ماضي، منحه الأمير وسام "الريشة" اعترافا منه له بالمجهود الذي بذله خلال المعركة. وفي رسالته إلى المارشال فالي نوه الأمير بالدور الذي لعبه روش في الحملة[4] ، و ما يؤكد لنا أن مهمة روش كجاسوس فرنسي اتصالاته مع النقيب دوماس في منتصف شهر ماي 1839 إذ أخبره أن الأمير يهدف من وراء زيارته لقبائل شرق البلاد، تفقد قواتها قبل استئناف الحرب من جديد ضد فرنسا، وأنه سوف يواصل رحلته نحو الشرق ويزور القبائل القاطنة على الحدود التونسية وأن هذا الأخيرة كانت قد كاتبته تطلب حضوره عندها لمبايعته[5] ، وعن موقف الأمير من المحافظة على السلم أخبر روش النقيب "دوماس " أن الأمير يريد السلم على الأقل لمدة قصيرة تمكنه من جمع الضرائب وتعويض خسائر حملة عين ماضي[6]، وأن يتمكن الناس من جمع حصاده وتعطي مصانع الأسلحة ثمارها، ومن اجل ذلك ذلك فإن السلم بالنسبة للأمير ضروري يجب المحافظة عليه ما استطاع إذا أراد المارشال فالي شق الطريق يربط بين مدينة الجزائر وقسنطينة فأن الأمير سوف يعلن الحرب لا محالة واستمر يقول أن الأمير كاتب كل من الملك لويس فيليب ووزير الحربية وأعضاء مجلس النواب الفرنسي، يطلب المحافظة على السلم

[1]– يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847م، المرجع السابق ، ص 30.

[2]– يوسف مناصرية ،مجلة سيرتا، ع 08-09،المرجع السابق ، ص 14.

[3]– المرجع نفسه، ص15.

[4]– يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847م، المرجع السابق ، المرجع السابق، ص31.

[5]– يوسف مناصرية ،مجلة سيرتا، ع 08-09،المرجع السابق ، ص15،

[6] - السعيدوني ناصر الدين ،عصر الأمير عبد القادر الجزائري ، المرجع السابق ، ص 240 .

وذلك لأن وكلائه الميلود بن عراش وبن داران وبوضربة أكدوا له أن المارشال فالي مصمم على نقض المعاهدة بإدخاله على نصها بنود إضافية[1] ، وأكد روش للنقيب دوماس في آخر المحادثة معه أنه سوف يبذل قصارى جهده في خدمة بلاده، ويعمل على رعاية مصالحها بكل وسائل الممكنة، فنبهه دوماس إلى استغلال نفوذه على الأمير في أداء واجبه[2]. وفعلا قد بدأ روش بالإطلاع على أماكن الأمير الإستراتيجية لتخريب مواقعها، وذلك أنه طلب من الأمير أن يمنحه مهمة تفتيش مصانع الأسلحة المتمركزة في مختلف المدن، وبلغ مراده فقضي أشهر مار س ،أفريل ،ماي ، و جوان 1839م في تفتيش مصانع الأسلحة والذخيرة وكل المؤسسات الأساسية[3] ، وعمل على تحطيمها بدليل أنها لم تنتج شيئا يستحق الذكر منذ نشأتها وأغلب الظن أنه عمل على تخريبها بمساعدة الفارين الفرنسيين الذين كانوا في خدمة الأمير وهم المكلفون بإدارة المصانع وتسيير شؤونها وكانت تربطه بهم علاقات وثيقة حتى أنه تدخل في صالحهم لدى النقيب "دوماس" ، فراسله بطلب منه أن يبلغ رسائل العمال الفرنسيين الموجودين في تاقدمت إلى اهاليهم[4] ، وأكثر من ذلك، وهو دليل قاطع توقف عمال مصانع تاقدمت من الفرنسيين عن العمل مباشرة بعد قرار مجلس الأمير استئناف الجهاد ضد العدو "وكانوا ينتظرون روش بفارغ الصبر"[5]، ويقول روش أنه لما التقى بالأمير في شهر أكتوبر 1839م في مدينة تاقدامت أخبره أنه أنه تم إنشاء مصنع الأسلحة في تاقدمت ، كما يقول أنه وضع فيها بعض الأسلحة على أنها من إنتاجه ولكنه في الحقيقة حسب قوله أن المصنع كان لا ينتج شيئا ذا معنى وإنما وضع فيه أسلحة لمخادعة الأمير فقط[6].

[1]- محمد ابن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 355-361.

[2]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847م، المرجع السابق ، ص31.

[3]- المرجع نفسه، ص 30-31

[4]- يوسف مناصرية ،مجلة سيرتا، ع 08-09،المرجع السابق ، ص16.

[5] -roches, 32 ans T1, p p 384-388.

[6]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847م، المرجع السابق ، ص 32.

ولما أعلن الجهاد وبدأت التجهيزات، و حنها كان الأمير في تاقدمت ، والتقى مع ليون روش فسأله عن موقفه من استئناف الجهاد ضد العدو، فلم يملك روش نفسه حينئذ وأعلن له أنه لا يريد مقاتلة فرنسا(فرنسا الأم التي تحمي إخوانه) ولما أكد عليه الأمير أنه كمسلم يجب أن يعادي أعداء الله، فانفجر روش في وجه الأمير وأعلنها له صراحة أنه لم يكن مسلما أبدا، فحاول الأمير تهدئته لضنه انه منفعل فقط ثم ترك روش وشأنه وربما أن يفاتحه في الموضوع مرة أخرى ولم يعط للموضوع أهمية كبيرة حتى أنه لم يخبر أحدا بما بادر من روش، وسافر الأمير في الأسبوع نفسه إلى تلمسان لتنظيم شؤون دولته دون أن يترك أية أوامر تخص روش[1]، فقرر الأخير العودة إلى الجيش الفرنسي،وانتهز فرصة غياب الأمير وأخذ كل ما يحتاجه وتوجه نحو مدينة وهران، وخادع المسلمين بقوله أن الأمير قد بعثه في مهمة إلى مدينة مليانة ليتفقد مصانع الأسلحة، وذلك ليتجنب متابعتهم له، إذ علموا بحقيقة أمره. ومن بين الوثائق التي أقر روش أنه أخذها معه خريطة جغرافية للجزائر، وكان قد أحضرها ميلود بن عراش وجهاز بوصلة وخاتمه بصفته كاتبا للأمير، وعدد من رسائل استعملها بشكل برقيات ليخادع بها كل من يعترض طريقه. ولما وصل إلى منطقة معسكر وتلمسان، أخبر من اعترضه من الأهالي أنه ذاهب في مهمة إلى هاتين المدينتين بأمر من الأمير[2].

فساعده المسلمون على معرفة المواقع والمناطق، ولما دخل إقليم وهران،إلتقى ببعض المسلمين فاستوقفوه، فأظهر لهم بعض الرسائل عليها خاتمه، وقال لهم: أنه يحملها إلى وكيل الأمير إلى وهران، وسلم لهم تذكرة باسمه أثبت فيها أقواله، واستطاع روش بعد ذلك أن يصل إلى مركز الجيش الفرنسي في الكرمة صحبة رفيقة إيزيدور،فإنتقل من هنا إلى مقر حاكم إقليم وهران[3]. وهكذا قد يكون روش قد التحق بجيش الأمير لفترة كانت فرنسا تجهز نفسها لحملة انتقام، واحتلال ضد قسنطينة، فكان عليها أن تركز كل جهودها لقمع المقاومة الجزائرية في شرق البلاد،وقد فعلت واحتلت قسنطينة في 27

[1]- يوسف مناصرية ،مجلة سيرتا، ع 08-09،المرجع السابق ، ص 17.

[2]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847م، المرجع السابق ، ص33.

[3]- المرجع نفسه ، ص ن.

أكتوبر1837م، وفي هذه الآونة بالذات، التحق روش بالأمير عبد القادر ليتجسس عليه ويلعب على ذقون المسلمين باسم الإسلام. فانخدعوا له وأطلعوه على جميع أسرارهم ومصادر قوتهم، فلم يكتف بذلك، بل عمل على تخريب منشآت الصناعية والحربية التي كان المسلمون يضعون كل آمالهم فيها، وأهم نقطة إطلع عليها روش الجاسوس هي مصدر قوة المسلمين ومنبع حيويتهم المتمثلة بتمسكهم بدينهم[1] . ونقول في الأخير أنّ روش قد أفاد بلاده سواء كان قد التحق بالأمير من تلقاء نفسه، أو كان ذلك بطلب من الضباط الفرنسيين وعلى كل حال فإنّ فرنسا جزته على ذلك خير جزاء، وقلدته رتبا هامة في جيشها، وكلفته بمهام أشد خطورة على المسلمين من التجسس عليهم، ومنحته مناصب حكومية عالية.

ليون روش في الجيش الفرنسي (1839-1844)

قامت السلطة الفرنسية بالجزائر تحكم بالإعدام على كل فرنسي أخلص في خدمة الأمير، وكان الجندي مونسيل (Mancel) أحد ضحايا هذه الإجراءات[2]فقد أعدمته المحكمة العسكرية في شهر أكتوبر 1235/1837هـ، عقابا له على ما قدمه للأمير من خدمات حسب قولهم[3].

ويزعم بعض الكتاب الفرنسيين أنّ روش قد أخلص في خدمته للأمير، وأنّ الفضل يرجع له في إنشاء مصانع الأسلحة والذخيرة في تطويرها وتنظيم الجيش، وتجهيز القوات الإسلامية وتغيير النظام الداخلي والإداري لدولة الأمير[4]. كما أنّه أثّر على علاقة الأمير الخارجية مع فرنسا، كما أنّه عمل على إفشال مهمة الرائد (دي صال) مبعوث المارشال فالي، 1839م-1255هـ واستخلصوا

[1]- يوسف مناصرية ،مجلة سيرتاالعدد08-09، المرجع السابق، ص17-18.

[2]- حضر الجندي مونسيل اجتماعا لمجلس الأمير مع بعض الضباط الفرنسيين وقيادة الجنرال Eyrard، وتنكر أمامهم بلباس إسلامي، فلم تنفطن الفرنسيون بوجوده بينهم فأخذوا بمهاجمت المسلمين بلسان الفرنسي، علما منهم أنهم لم لغتهم، وفي نهاية الجلسة اعلن منوسيل عن نفسه لضباط الفرنسي فتخوفوا أن يخبر المسلمين بما بدر منهم فهددوه وتوعدوه ثم اعدموه لما وقع في أيديهم، ينظر: يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في... ، ص 75.

[3]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق ، ص 37.

[4]- المرجع نفسه، ص ن.

في النهاية أنّ روش قد استنكر شخصيته الفرنسية نهائيا، وإذا صدّقنا كل ذلك أليس هي أدلة كافية لإعدام روش؟.

ولكن بناء على أقوال الآنفة الذكر، فقد كان من الإنصاف أن تنفذ الحكومة الفرنسية حكم الإعدام في ليون روش بتهمته خيانته لبلاده فإذا كان إعدام الجندي مونسيل عقابا له على قتله ضابط صف الفرنسي كان قد قسا عليه وتجبر،فانتقم هذا الجندي لنفسه وإنقاذ نفسه من الموت كان محترما، ثم هرب إلى المسلمين، فماذا فعلت السلطات الفرنسية مع ليون روش؟.

لقد وصل روش إلى مدينة وهران في منتصف شهر نوفمبر 1839م-1255هـ، بعد أن قضى حوالي عامين إلى جانب الأمير. واستقبله الجنرال "جيهينوك"(Guéhéneuc)، حاكم إقليم وهران بحفاوة، واستوجبه بكل احترام وتقدير، فقد كان روش يعلن عن أسراره بحرارة شديدة وبصوت عال، وكانت أهم المعلومات التي قدمها إلى الجنرال تتعلق بإعلان الأمير للجهاد ضد فرنسا، وأنّ الأمير بصدد تجهيزه قواته استعدادا لاندلا ع الحرب في الشتاء القادم، حيث قال للجنرال جيهينوك في رسالته إلى المارشال فالي بتاريخ 14 نوفمبر 1839م، فإنه استوجب روش وسوف يرسله إلى الجزائر لمقابلته على متن باخرة فوتور (Vautour)بقيادة النقيب مارسو (Marceau)[1]،وفي هذا الحين قد كان الأمير قد أعلن الجهاد في جميع مساجد دولته. ولما علم بفرار روش من تاقدمت، اغتاض لذلك كثيرا فأمر بمصادرة جميع مايملك حسب قول الجنرال جيهينوك في رسالته إلى المارشال فالي، بتاريخ 16 نوفمبر 1839م/ 1255هـ، أنّ أحد عيونه أخبر أنّ الأمير زواج امرأة روش إلى أحد المسلمين وسلّم له منزله[2]، وحين وصل إلى الجزائر استقبله المارشال فالي على انفراد وتلقى منه جميع المعلومات الدقيقة الخاصة بأحوال الأمير الإقتصادية والإجتماعية، ومواقفه السياسية، وكلف مترجما محلفا من الطبقة

[1]- يقول انه وصل إلى الجزائر على متن باخرة آشرون في 19 نوفمبر 1839، وقال السيد إيميريت (قصة ليون روش): أنه عاد على متن باخرة فوتور 18 نوفمبر 1839، والأصح أنه يكون قد وصل إلى الجزائر يوم 15 نوفمبر 1839، بناءا على رسالة فالي وزير الحربية، بتاريخ 15 نوفمبر من نفس السنة والتي يقول فيها أنه استوجب في هذا التاريخ، ينظر: مهمة ليون روش، ص76.

[2]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق ، ص38.

الثانية[1]، ثم أمره بكتابة كل ما يعرف عن الأمير، وأن يعدد له كل القبائل الخاضعة له بأسمائها وأسماء شيوخها وعدد رجالها وعدتهم ومصادر قوتهم وضعفهم. وأن يعين له أسماء الذين يريدون الإلتحاق بفرنسا.

وكلف المارشال السيد بيربريجر (berbregguer)، ومحافظ متحف الجزائر آنذاك بمساعدة روش في أداء مهمته على أحسن وجه[2].ولما وصلت تقارير روش إلى باريس استدعته الحكومة الفرنسية في شهر جانفي 1840م/1256هـ وهناك تقابل مع عدد من وزراء وكبار رجال الدولة منهم الدوق دورليون (D'orleons) بحيث زودهم بمعلومات كثيرة وضف إلى ذلك أنه قدم لهم كتابا يتحدث عن أحوال الأمير، فنال بذلك جزاء عمله فتمثل ذلك برفع رتبته إلى مترجم من الدرجتين الأولى وعينوه إلى جانب الدوق دورليون، واصطحبه إلى الجزائر في أوائل شهر أفريل1840م بقيادة معارك ضد الأمير[3] غير أن فالي يرى فائدة في من إقامة روش في مدينة الجزائر فألحقه بمركز المترجمين العسكريين بالبليدة[4]، بهدف تنظيم اتصالات مع معارفه من رؤساء القبائل وجمع المعلومات والتعرف على أخبار الأمير، بحيث كلف روش إثر ذلك بعدة مهام بمدينة القليعة لمراقبة المسلمين الجحوظ الذين يعملون على نشر الفوضى والبلبلة في نواحي الجزائر[5] كما شارك في عدة عمليات عسكرية مع المارشال فالي في خريف 1840م،كما رافق الجنرال شنجارني (Changarnier) في تموين مدينتي مليانة والمدية، وعينه فالي مترجما رئيسيا إلى جانبه، ولما وصل الجنرال بيجو إلى الجزائر في أواخر ديسمبر1840م خلفا للمارشال فالي وكان يعمل معه وصاية من باريس في صالح روش، فقدم هذا الأخير له عدت تقارير مفصلة عن الأحوال السياسية الإقليمية للجزائر ووهران، التي مكنته من التخطيط بدقة لعملياته القديمة ضد الأمير، ولما انتصر بيجو على مدينتي تاقدمت ومعسكر في

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق ، ص39.

[2]- المرجع نفسه ، ص 40.

[3]- نفسه، ص ن.

[4]- نفسه، ص ن

[5]- نفسه، ص ن.

النصف الأخير من شهر ماي 1841م-1257هـ، كان روش من بين الضباط الذين أثنى عليهم الجنرال في تقريره إلى وزير الحربية، وبعدما احتفل بيجو بانتصاره في هذه الحملة في مدينة الجزائر فكر في نيل فتوى من كبار علماء المسلمين في تونس تحرم على مسلمي الجزائر محاربة المسيحيين، وذلك لتشتيت جمع المسلمين من حول الأمير، وهو أمر لم يكن قد خطر على بال أحد حكماء الفرنسيين السابقين له بل ما كان يهتدي له هو نفسه لولا آراء روش[1].فقد سمع بيجو أقوال الأمير أثناء ةمفاوضات إتفاقية تافنة "إنكم تتحدثون عن دينكم...لو كنتم مسيحيين... لكنتم من أحسن أصدقائنا، إذ أنّ القرآن...يأمرنا بالسلم... واحترام دين عيسى ابن مريم..."[2] لكن بيجو كرجل عسكري لم يكن يهتم بالأمور الدينية وكان يجهل سر قوة المسلمين، بل كان روش له الدراية أن قوة المسلمين تكمن في تمسكهم بدينهم ولذا عمل من جهته على إقناعهم بأنّ دينهم يحرم عليهم محاربة أهل الكتاب، وكان روش هو الرجل الذي وقع عليه الاخيار من طرف بيجو بالقيام بهذه المهمة، وذلك لأنّه يتقن اللغة العربية ومعتاد على تقاليد وعادات المسلمين وله معارف كثيرة من كبار شيوخ القبائل، وهو يثقون فيه إعتقادهم في إسلامه[3]، وسلّم الجنرال بيجو لروش بتاريخ 19 جويلية 1841م برسالة منه إلى قنصل فرنسا العام في تونس، يوصيه بمساعدة روش في القيام بمهمته السرية، وكان روش قد بعث برسول إلى التجاني ليصرح له هدف المهمة التي ينوي القيام بها، وطلب منه أن يعمل على جمع كلمة رؤساء الطريقة الطيبة، وخليفة الزيبان، وأولاد سيدي الشيخ، لنيل موافقته وقد استبشر التجاني بهذه العملية التي كان يرى من خلالها أنها سوف تبعث الهدوء والسكن في نفوس المسلمين الذين يحررهم الأمير على الحرب ضد فرنسا، وتستدعي التجاني مقدمي الطرق المحالفة له، واتفق معهم على أن يطلب كل منهم من رئيس طريقته، اختيار ممثل له للتوجيه إلى القيروان ، و في 19 جويلية 1841م حسب التاريخ الذي حدده روش، وقد امتثل كل الرؤساء إلى مطلب التجاني،

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق، ص 40.

[2]- المرجع نفسه، ص 41.

[3]- نفسه، ص ن.

واصطحبت قوافلهم روش إلى تونس[1]، وكان روش لما وصل إلى تونس مع هذه القوافل، يرتدي لباسا إسلاميا فسلمه القنصل الفرنسي جواز السفر إلى مدينتي صفاقس و قابس، بتاريخ 07 أوت 1841م، ووصل روش سيره بلباسه ودخل القيروان واستطاع بمساعدة رفقائه من أتباع الطريقة التجانية، أن ينال الفتوى من مجلس علماء القيروان، ولتدعيم هذه الفتوى واصل روش رحلته إلى الحجاز مرورا بمصر وصادق على علماء الأزهر وشريف مكة والطائف على محتوى هذه الفتوى، ثم بعث روش بنصها إلى الجنرال بيجو، قبل نهاية سنة 1841م. واستقر هو في روما إلى أن أمره الملك لويس فيليب بالعودة إلى الجزائر في 1842م[2]، وخلاصة هذه الفتوى[3] هي "يجب على المسلمين مهادنة الكفار الذين غزوا بلادهم بقوة، وذلك إذ لم يؤذي هؤلاء نسائهم وأطفالهم، وسمحوا لهم بممارسة دينهم وتركوا حرية إيمانهم"[4].

وعمل الفرنسيون على توزيع هذه الفتوى على القبائل وشاعت أخبارهم في القطر الجزائري، وأعجب بها الذين ضعفت قوتهم، وفضلوا الراحة على الجهاد، حتى أنهم كانوا ينادون روش باسم "الحاج عمر"، وكتب الجنرال لامورسيال من إقليم وهران إلى بيجو يخبره مستبشرا بتأثير الفتوى في نفوس المسلمين فتراجعوا عن القتال. ولذا كتب بيجو بدوره إلى وزير الحربية بتاريخ 23 نوفمبر 1841م، يقول: " فقد كان سفر روش إلى مكة وانحراره وراء الحجاج امرا لم أرضه، ولكن نظرا لما كسبنا من وراء ذلك من الناحية السياسية المحضة، فقد نال إعجابي وصالحته على السعي المحمود"[5]، وبذلك أعد بيجو خاتما نقش عليه الشطر التالي من الآية الكريمة "...**إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ**

---

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق، ص 41.

[2]- ذكرت جريدة الأخبار أن السيد ليون روش: المترجم الئيسي قد وصل إلى الجزائر يوم 26 ماي 1842. ويقول روش في كتابه 32 سنة أنه عاد في جوان 1842، ينظر: يوسف مناصرية، ص 41

[3]- لم يكر أحد من الباحثين أنه عثر على النص الأصلي لهذه الفتوى، ولذا يجب الحذر من آراء المؤرخين حولها خاصة الفرنسيين منهم، ينظر: المرجع نفسه، ص 77.

[4]- نفسه، ص41.

[5]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق، ص 42.

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ"[1] استعملها منذئذ في جميع مراسلاته مع المسلمين لكسب ولائهم لفرنسا باسم الدين. وأغلب الظن أنّ روش هو الذي اقترح ذلك على بيجو، لأنّ هذا الأخير كان لا يعرف اللغة العربية وليس على اطلاع على كتاب الله، وأثناء إقامة روش بالجزائر كلف المارشال بيجو بمرافقة السيد دوماس مدير الكتب العربي، لاستقبال رؤساء قبائل إقليم التيطري الذين وصلوا إلى الجزائر في 02 جويلية 1842م، لأداء يمين الوفاء لفرنسا أمام الحاكم العام، واقتصرت مهمة ليون روش هذه المرة على مشاركة دوماس في حسن اختيار بعض الأشخاص من بين المائة والخمسين من الحاضرين، وتقديم قائمة بأسمائهم للمارشال ليتم تعيينهم بعد ذلك، على رأس مختلف قبائل إقليمهم، ويحكمها باسم فرنسا[2]، و واصل روش مهمته في تشتيت المسلمين من حول الأمير واعتمد بذلك اعتمادا كليا على معارفه من إتباع الطريقتين التجانية والطيبية اللتين تُكِنَّان عداءا قديما للأمير، وكشف نشاطاته خلال السنتين 1842-1843م/ 1258-1259هـ ويرجع له الفضل في انتصارات الدوق دومال على زمالة الأمير في معركة وادي إيسلي في شهر أوت 1844م/ 1260هـ. ونال بذلك مكافأة المارشال له برتبته فارس فرقة الشرف[3] وأصبح روش المترجم الرئيسي الأعلى للجيش الإفريقي، من أبرز رجال الأكفاء إلى جانب بيجو الذي استمر في مطاردة الأمير على الحدود المغربية الجزائرية. وكان الأمير كلما وقع عليه الضغط من طرف الفرنسيين، يدخل إلى قطر المغرب ليزود جيشه بالأسلحة والذخيرة والمؤونة، وكانت بعض القبائل المغربية الصحراوية قد دخلت تحت ولائه[4]، ففكر المارشال بيجو في محاصرة الأمير والضغط عليه من ناحية المغرب، فطلب من ليون روش أن يساعد

---

[1]- أصل الآية: "**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**" سورة الأعراف الآية 128.

[2]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق، ص 42.

[3]- المرجع نفسه ،ص 43.

[4]- كانت قبيلة بني يزناس تحتل جبال الواقعة على الغرب الجنوبي من مدينة وجدة، وقبيلة أنقاد تقطنها على ساحل الغرب نفس الجبل، ووجد الأمير هاتين القبيلتين مساندة كبيرة حتى أن أحد مرابطيها أعلن فيها الجهاد باسم الأمير سنة 1844م، وبقيت حتى سنة 1846م وفيتين للأمير، ونظمتا عدة هجومات ضد فرق الاستعمار الفرنسي، ينظر، نفسه، ص77.

الجنرال دي لاري (de la rue) في وضع خريطة جغرافية يبين فيها الحدود الجزائرية المغربية بناءا على الوثائق العثمانية، وبالإضافة إلى هذه الأعمال كان روش يمارس نشاطاته الجاسوسية، فقد نظم جهاز مخابرات مع الأهالي الموالين لفرنسا وتسربت عيونه داخل الجيش المغربي في مركز لالا مغنية بقيادة الأمير (مولاي محمد بن مولاي عبد الرحمان) ونظم هذا الأخير اجتماعا سريا مفاده مساعدة الأمير عبد القادر.

كان أحد رجال روش حاضرا للقرارات التي اتخذت بهذا الإجتماع[1]، كما انتشرت عيونه أيضا في مدينتي وجدة وتازة. وتجمعت لديه بذلك معلومات دقيقة حول عدد الجيش المغربي وعدته وفعالية أسلحته، فاستطاع بذلك أن يكشف مراسلات (مولاي محمد) السرية مع أبيه ومن بينها مراسلة يأمر فيها بالتوقف بمدينة تازة وينصحه بإقامة السلم مع فرنسا نظرا لضعف قوة المسلمين، وأن يعمل على إبعاد الأمير حسب قول روش ومطاردته دون جلب نظر القبائل فتحمس المارشال بيجو بعد الإطلاع على هذه الرسائل إلى مضايقة الجيش المغربي أكثر من ذي قبل، وأمر الأمير جوانفيل (Joinville) بقنبلة مدينتي طنجة والصويرة[2]، واستطاع أن ينتصر في الأخير ويعقد معاهدة السلم مع الأمير مولاي محمد في 10 سبتمبر 1844م، سميت بمعاهدة طنجة وكان شرط بيجو الأساسي هو أن تتعاهد حكومة المغرب بمنع المساعدات على الأمير عبد القادر وطرده من القطر المغربي أو عزله أو نفيه في إحدى المدن من جنوب المملكة، واكتفى مولاي محمد من الاستفادة من وقف القتال وكتب السلطان مولاي عبد الرحمان إلى الأمير يطلب منه حل جيشه ويستدعيه عنده، وتعاهد بإكرامه ثم كلف الشيخ حميدة قائد مدينة وجدة، بإرسال وفد إلى الأمير يطلب منه أن يبتعد عن حدود المغرب، ويهدد القبائل المغربية التي تساعده، ولما فشل هذا الوفد كتب السلطان المغربي إلى الحكومة الفرنسية ليقول لها أنّه لا يأبى إيفاد الجيش لمحاربة الأمير ،العدو المشترك، ولكن متخوف من

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق ، ص 43.

[2]- أبو العباس أحمد بن خالد والناصر السلاوي: كتاب الإستقصاء لأخبار المغرب الأقصى –الدولة العلوية-، ج9، تج وتع:جعفر ناصري ومحمد ناصري، الدار البيضاء، المغرب، 1956م، ص 53 ص 55.

نشوب فوضى واضطرابات داخل مملكته، لأنّ القبائل التي آوت الأمير لا يمكن أن تسلم فيه حتى ولو كلّفها ذلك محاربة سلطانها الشرعي، ولذلك فضّل مجابهة الموقف بطرق سلمية، وبهذا تكون فرنسا قد حصّلت على انتصارات عسكرية وسياسية بفضل جهود ليون روش ونشاطاته في متابعة الأمير والضغط عليه من كل ناحية، خاصة وأنّ روش يعلم جيدا مدى اتكال الأمير على المغرب في تدعيم جيشه بالأسلحة والذخيرة وغيرها، وارتفع مقام روش عند كبار العسكريين الفرنسيين والساسة[1].

ليون روش في المغرب (1845–1847م).

ما إن أمّنت فرنسا جانب القوات المغربية بمقتضى بمعاهدة طنجة (سبتمبر 1844م) وضمنت عداء سلطان المغرب للأمير عبد القادر حتى بدأت تعمل على محاصرة الأمير داخل التراب المغربي ليتسنى لها بذلك مضايقة مولاي عبد الرحمان ووضعه أمام الأمر الواقع للوفاء بوعوده.

واعتنى الجنرال دي لاري والرائد ماري تمبري (martimpry) بتسطير الحدود الجزائرية المغربية بناءا على الوثائق العثمانية وتم اختيار روش للدخول في محادثات مع سيدي حميدة بن علي وسيدي أحمد بن الخيضر، ممثلي السلطان في مدينة وجدة. وكلف روش بتحضير الأسس التي سيتم عليها تحرير بنود المعاهدة. واستطاع إقناع مفوضي السلطان بحتمية وضع الحدود الجزائرية المغربية وفقا للوثائق العثمانية ليتم السلم نهاية بين فرنسا والغرب[2].

ووقّع الجنرال دي لاري وممثلو السلطان، بعد مفاوضات عديدة على مشروعي المعاهدة في 18 مارس 1845م في مركز لالا مغنية وعرفت المعاهدة باسم لالا مغنية، وكان الجنرال دي لاري هو الذي قام بتحرير المشروعين، وينص المشروع الأول على موافقة السلطان المغربي على تسطير الحدود الجزائرية المغربية طبقا للوثائق المغربية، واعتراف بسلطة فرنسا على الجزائر، وحقها في متابعة القبائل

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق ص 44.

[2]- المرجع نفسه، ص 47.

الجزائرية الخارجة عليها داخل التراب المغربي، وينص المشروع الثاني على حرية التجارة البرية بين فرنسا والمغرب[1].

وبينما سافر روش إلى باريس وحصل على موافقة الملك لويس فيليب على بنود المعاهدة، رفض مولاي عبد الرحمان المصادقة لأنه كان يرى فيها إهانة لكرامتة والمس بمصالحه الإقتصادية، واعتبارها مخالفة للشريعة الإسلامية[2] وكان الجنرال دي لاي في الجزائر ينتظر عودة روش من باريس. وما إن علم برفض السلطان المغربي حتى أسرع إلى إرسال روش إثر عودته من باريس في 12 ماي1845م إلى طنجة للبحث في المسألة من القريب مع المسؤولين المغاربة، ويطلب منهم إرسال سفارة إلى باريس للتعرف على الوجهة نظرة الحكومة الفرنسية وتوثيق العلاقات الفرنسية...المغربية[3]. وبدأ روش ينظم اتصالاته في طنجة عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى منع السلطان من المصادقة على مشروعي المعاهدة واستعان بذلك بخبرة السيد جياكوموندي مارتينو قنصل نابولي بطنجة. وجاء في رسالته إلى الجنرال دي لاي بتاريخ 17 ماي 1845م أنّ الحاجز الوحيد الذي يمنع السلطان من المصادقة هو مشروع الإتفاقية التجارية، لأنّ موافقة المولاي عبد الرحمان على حرية التجارة البرية بين فرنسا والمغرب سوف تؤدي إلى فتح نفس الطريق بينه وبين إسبانيا والإنجليز فتغرق بذلك السوق المغربية بالبضاعة الإنجليزية دون أن تدفع هذه الحقوق تجارتها.

وبما أنّ روش كان يعلم أنّ الهدف الأساسي للعسكريين الفرنسيين هو القضاء على الأمير، اقترح على الجنرال دي لاي بث دعاية مفادها أنّ الملك الفرنسي وقّع فقط على مشروع مسألة

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق ، ص 47.

[2]- يقول روش أن سبب رفض السلطان المصادقة على معاهدة لالا مغنية يرجع إلى تدخلات القنصل الإنجليزي في طنجة الذي كان يرى في الإتفاقية التجارية المس بمصالح بلاده، ويقول أيضا ان السلطان المغربي رضخ إلى احتجاجات الأمير الذي كان يرسل أصدقاء في بلاط فاس باسم القبائل المغربية. ينظر: يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب ،المرجع السابق، ص 78.

[3]- المرجع نفسه، ص 48.

الحدود، ورفض المصادقة على مشروع الإتفاقية التجارية، وأجّل المفاوضة فيه إلى ما بعد مراجعتها[1]. وكانت هذه الخطة التي اخترعها روش لكسب مصادقة السلطان على مشروع وضع الحدود الجزائرية المغربية، وإجباره على تنفيذ ما تعهد به لفرنسا ضد الأمير وقبائل المغرب الريفية، فيجني بذلك ثمار "ما كسبت يداه".

ولما وافق الجنرال دي لاي على الاقتراح وأرسل لروش توقيعه على نص الخطة، اعتمد روش على أسلوبه الخاص في محادثاته مع السيد أبي سلهام بن علي مفوض السلطان في طنجة، وكان روش يفاوضه باسمه الشخصي فإذا تضاربت آراؤه مع آراء حكومته، سهّل على هذه الأخيرة أن تحمله المسؤولية فلا يكلفها ذلك سوى تعيين ممثل لها بدله[2].

وقد اضطربت الأحوال بين روش وأبي سلهام حين اتصل روش برسالة من محمد بن إدريس ووزير السلطان، موجهة إلى الجنرال دي لاي ليخبره فيها بمصادقة السلطان على مسألة الحدود وكان روش ينتظر الرد عن طريق أبي سلهام بينما اتصل هذا الأخير بأمر من السلطان بإعادة تحرير نص المعاهدة، فلجأ روش حينذاك إلى استخدام ذكائه وأخذ المبادرة في التوقيع على رسالة للسلطان جاء فيها أن سلطان المغرب يعترف ببنود معاهدة لالا مغنية الخاصة بمسألة الحدود و وفقا للوثائق العثمانية ويوافق على عدم فعالية الإتفاقية التجارية إلى أن تفتح المفاوضات من جديد بينه وبين الملك الفرنسي[3].

وكان قصد روش من توقيعه شخصيا على نص الرسالة هو ترك باب المفاوضات مفتوحا أمام الجنرال دي لاي وذلك في حالة رفض السلطان المصادقة على مطالبه، وجاء في رسالة روش إلى دي لاي بتاريخ 20 جوان 1845م أن المولاي عبد الرحمان قد صادق على نص رسالته بما فيها البنود الثالث، الرابع ، و الخامس من المعاهدة التي تنص على اعتراف المغرب بسلطة فرنسا على الجزائر،

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق ، ص 49.

[2]- المرجع نفسه، 49.

[3]- نفسه، ص ن.

وحق متابعة القبائل الجزائرية داخل التراب المغربي[1]، ولقد انتصرت الدبلوماسية الفرنسية في الأخير على حساب قلة خبرة رجال حكومة المغرب بالشؤون السياسية وإلا كيف نفسر مصادقة السلطان أو حتى ممثليه على نص رسالة حررها مجرد ممثل بسيط؟ فلقد كان من المعقول ان يطالبه السلطان وممثلوه بنص المعاهدة الأصلي الذي يحمل توقيع الملك الفرنسي على مشروع مسألة الحدود، وتأجليه (المزعوم) بمشروع الإتفاقية التجارية ة أن الملاحظ على موقف سلطان المغرب هو أنه رفض التوقيع في البداية تحت ضغط الإنجليز والإسبان الذين يرون في الإتفاقية التجارية المس بمصالحهم الإقتصادية وحتى السياسية، وربما كانوا قد اقترحوا عليه التوقيع فقط على مشروع الحدود وهو الأمر الذي تركه يصادق عليه بدون مناقشة.

وعاد روش إلى الجزائر وبلغ بانتصاراته هذه مرتبة كبيرة في نفوس العسكريين الفرنسيين حتى أشاد به كل من دي لاي وبيجو لدى السيد جيزو (guizot) وزير الخارجية الفرنسي آنذاك[2] بل إن بيجو عيّن روش في منصب قنصل فرنسا في طنجة، واستمرت المحادثات الفرنسية المغربية لتوطيد العلاقات بين الدولتين وأرسلت الحكومة الفرنسية ليون مرة ثانية إلى طنجة في أوت 1845م من أجل تكوين سفارة مغربية بوفد إلى باريس لبحث مستقبل العلاقات بينهما، وأرسل السلطان المغربي من جهته أحد بني عمومته المدعو سي محمد بن السلطان مسرور إلى الجزائر في أواخر أوت من نفس السنة، ليسترح للمارشال بيجو مواقف المغرب الودية اتجاه سياسة الحكومة الفرنسية ويعمل معه على إقامة السلم على الحدود المغربية الجزائرية[3] وفي الوقت الذي كان فيه الجيش الفرنسي تحت قيادة الجنرال لامارسيار مطمئنا على نفسه في إقليم الوهراني باغته الأمير بهجومات عنفية في خريف سنة 1845م وتمكن من القضاء على فرقة الكولونيل مونتانياك (montagnac) ، وقُتل هذا الأخير في

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق ، ص 50.

[2]- لما وصل روش إلى مدينة الجزائر قادما من طنجة على متن الباخرة (Titan) صحبة دي لاي بتاريخ 05 جويلية 1845، وأوفده هذا الأخير في نفس اليوم إلى باريس حامل نص المعاهدة لالا مغنية الذي صادق عليه مولاي عبد الرحمان، وبقي دي لاي ينتظره في الجزائر لإتمام المهمة التي كلف بها في طنجة، ينظر: مهمة ليون روش في الجزائر...،ص 78

[3]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق ،ص 50.

معركة سيدي براهيم[1] في 23 سبتمبر1845م وأُسر الملازم الأول مارين (marin) على رأس فرقة متكونة من مائة جندي فانبعث بذلك الأمل الجديد في نفوس المسلمين وقامت مناوشات وبوادر الثورة على الفرنسيين في بعض أنحاء البلاد[2] ، وأثارت هذه الأحداث مخاوف الحكومة الفرنسية في باريس فأمرت بيجو بالعودة إلى الجزائر لتنظيم شؤون البلاد وفي هذا الحين كان الجنرال لاموريسيار قد قرر متابعة الأمير داخل التراب المغربي والوصول إلى مدينة ملوية للقضاء على دائرته ومعاقبة القبائل المغربية التي تسانده فأصبح هذا القرار رسميا لما كاتبت الحكومة الفرنسية قنصلها في طنجة، السيد دي شاستو تخبره بأخذ قرار متابعة الأمير في المغرب غير أن المارشال سولت (soult) وزير الحربية لم يلبث أن استفاد من نصائح روش ودي شاستو اللذين حذروه من خطورة الموقف، فأمر المارشال بيجو بالتوقف في قواته بمدينة ملوية والرجوع إلى التراب الجزائري بعد القضاء على دائرة الأمير[3].

وكان لنصائح روش أثر كبير على سياسة فرنسا الخارجية اتجاه المغرب من بينها أن روش في تدخل فرنسا عسكريا في التراب المغربي فرصة سوف يقتنصها الأمير لتكوين ممكلة مستقلة في وجه فرنسا وسلطان المغرب معا ولذلك فضل روش مواجهة الموقف سلميا واستعمال أسلوب الدبلوماسية مع مولاي عبد الرحمان.

فكانت الحالة سيئة بالنسبة لفرنسا تتطلب حلا عاجلا فقررت هذه إيفادة روش مرة أخرى إلى طنجة في شهر نوفمبر 1845م حاملا شروطا جديدة لسلطان المغرب فكان أهمها أن يرسل المولاي عبد الرحمان فرقة من جيشه إلى شرق البلاد تحت قيادة أمراء الأقارب، لإخضاع قبائل الريف وأن يعين السلطان القائد "إبن عبو"[4] على قبائل الريف وإرسال السفارة المغربية إلى باريس لبحث

---

[1]- نسبت معركة سيدي براهيم إلى ضريح المرابط الذي وقعت المعركة حوله وتعرف أيضا بمعركة كركور، نسبة للجبل الذي وقعت فيه، ينظر: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب، 1832-1847، ص ص 78-79.

[2]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق ، ص 50.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 50-51.

[4]- هو الحاج محمد بن عبد الملك المغربي الأصل نال إعجاب الحكام الأوروبيين خاصة بعد أن قنبلة قرنسا مدينة طنجة في 06 أوت 1844، وكان يتعاطف كثير مع الأوروبيين حتى أن الامير جوانفيل قدم له بعض الأسلحة كهدية، وكان الأمل دي شاستو

العلاقات الفرنسية المغربية وأضاف روش إلى هذه الشروط مطلبا مفاده أن السلطان يتعهد بالبقاء في مدينة الرباط حتى إيجاد حل نهائي للأزمة القائمة[1].

ولما وصل روش إلى طنجة وتقابل مع السيد دي شاستو، سلم له هذا رسالة إلى محمد ابن إدريس وزير السلطان، يطلب منه استقبال روش ومساعدته لدى السلطان وقبول شروط فرنسا كما دعمه أيضا القنصل إنجلترا في طنجة السيد جون "دريمون هاي"[2] برسالة إلى ابن إدريس يطلب منه استقبال روش ويترجاه انصاف مطالب فرنسا العادلة[3].

وعند وصول روش إلى مدينة الرباط على متن باخرة ميتيور (Météore) استقبله ابن إدريس بحفاوة وإكرام وعرض عليه مطالب فرنسا المذكورة التقاه وحدثه عن إشاعة أخبار حول عدم إبلاغ السلطان رسائل الحكومة الفرنسية وأنه أتى للتأكد من ذلك لينال من موافقة السلطان على مطالب بلاده ثم سلمه الشروط المكتوبة[4].

وكان ذلك افتراء وكذبا من ليون روش وتلك هي الدبلوماسبة لمخادعة ابن إدريس ليبرر مجيئه إلى الرباط ، ولرفع شأن فرنسا في نظر الوزير المغربي عمل روش على إضعاف قيمة إنجلترا وقال لابن إدريس وهو يسلم له رسالة القنصل بأن فرنسا تربطها علاقات قديمة بالمغرب وما رسالة القنصل إلا أمانة فقط وليست سلطة سياسية وكان يرمي من وراء ذلك أنّ فرنسا دولة قوية مثل إنجلترا تربطها بها علاقة وثيقة تقربها مصالح مشتركة[5].

أن يكون ابن عبو هو السفير للسطان في باريس، خلف ابن عبو القائد محمد ابن عبد الصادق على ولاية الريف ويرجع له الفضل إلى قعم رجال الأمير ودام ابن عبو مواليا لفرنسا حتى وفاته في أكتوبر 1858، ينظر: مهمة ليون في الجزائر والمغرب، ص 79.

[1]- لما تلقى السلطان مولاي عبد الرحمان أخبار المعارك الغزوات بين الأمير والجيش الفرنسي قرر الخروج من الرباط والإستقرار في مدينة مراكش ليتفادى مضايقة الفرنسيين له، ينظر: مهمة ليون في الجزائر والمغرب،ص 79.

[2]- خلف والي له في منصب القنصل إنجلترا في المغرب في شهر أفريل 1845 وكانت الاوامر التي كلفته بها حكومته وقع عليها اللود بيردين وهي تساند وجهة النظر الفرنسية ينظر: مهمة ليون في الجزائر والمغرب، ص 79.

[3]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق ، ص 51.

[4]- المرجع نفسه ، ص 52.

[5]- نفسه، ص ن.

وقد استطاع روش بهذه العبارة محو التفوق الإنجليزي الذي كان يشعر به المغاربة على فرنسا من ناحية، و من ناحية أخرى تنبيه ابن إدريس أنّ إنجلترا تبارك مطالب فرنسا في المغرب[1].

وأراد ابن إدريس إزالة شكوك روش بعدم إبلاغ السلطان مطالب السلطة الفرنسية ، وأحضر له في اليوم الثاني توقيع المولاي عبد الرحمان على المطالب التي قدمها له روش ،وما إن استلم المصادقة حتى أن طلب من ابن إدريس أن يلتمس له مقابلة السلطان ليتمكن من ذلك مواجهة الرأي العام في فرنسا الذي يقول أنه أصر على اتهام السلطان بمخادعة الحكومة الفرنسية، وكان الأمر سهلا على ابن ادريس في إقناع السلطان ، واستقبال روش في 21 نوفمبر 1845م ولما دخل روش على السلطان بادره بقوله: أنّ الأمير عبد القادر يهدد عرش المغرب أكثر مما يهدد فرنسا نفسها لأنّ هذه قادرة على أن تمنع عليه الدخول إلى الجزائر، وأنّها أتت الآن لتضع نفسها في خدمة السلطان للقضاء على العدو المشترك وتعمل معه على إخضاع القبائل المغربية التي تساند الأمير ثم قال: " يجب تدعيم المحبة والأخوة بين فرنسا والمغرب، أن ذلك لا يكون إلا إذا قدم السلطان أدلة قاطعة تعبر عن حسن إرادته لتقتنع فرنسا أنّ رسائلها وصلت إلى مسامع السلطان وأنّ كل شيء يسير بأمره"[2].

ووقع مولاي عبد الرحمان على هذا الفخ الذي نصبه له روش لكي لا يجد مبررا "للهروب إلى الأمام" ليتجنب تنفيذ وعوده فتعاهد لروش بالعمل مع فرنسا لإقامة السلم وإرسال جيشه ضد الأمير لإضعاف قوته[3]. فوافق على تعيين ابن عبو باشا طنجة على إقليم الريف وذلك لما فيه من "قدرته على تحمل المسؤولية" حسب قول روش، وسلم لروش الرسائل موجهة إلى كل من الملك لويس فيليب

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق ، ص 52.

[2]- تقرير ليون روش إلى دي شاستو، تاريخ 05 ديسمبر 1845، ينظر مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب ، ص ص 52-79.

[3]- سلم السلطان قيادة نصف جيشه إلى إبن عمه مولاي إبراهيم عبد المالك وأمره بالتوجه إلى شرق البلاد لمساعدة الطالب ابن أحميدة والشيخ أبو زيان الشاوي القناوي ضد الأمير عبد القادر وخرج الجيش إلى مدينة فاس في الأسبوع الأول من شهر ديسمبر 1845 وكا مولاي ابراهيم يلقب بالزيزون وزدخل في معركة ضد الأمير 1846، وسنة 1847 على رأس جيش يتكون من ألف فارس. ينظر مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب، ص ص 79-80.

والمارشال بيجو ودي شاستو وممثل عرشه في طنجة السيد أبي سلهام يجبرهم فيها بالإجراءات التي اتخذها[1].

والظاهر أنّ مولاي عبد الرحمان قد قدر فعلا قوة فرنسا ، خاصة منذ أن قنبلت قواتها مدينتي طنجة والصويرة 1844م، دون أن تحرك إنجلترا ساكنا، كما كان أيضا شعوره بالعنف من الداخل سببا في سرعة مصادقته على شروط الحكومة الفرنسية والموافقة على كل ما تقدم به روش . وعمل روش إثر عودته إلى مدينة طنجة في أواخر شهر نوفمبر 1845م على كسب عطف المغاربة اتجاه فرنسا ، وكان الوزير ابن ادريس قد ألحق به رسوله، سي محمد بن سليمان، يخبره أن قبائل بني يزناسن قد رفضت الجهاد تحت أي لواء من دون أمر من السلطان مولاي عبد الرحمان، وهو ما يؤكد إخلاص حكومة المغرب بتنفيذ تعهداتها لفرنسا[2]، فاغتنم روش فرصة البشارة ووضع في أيدي ابن سليمان عددا من النقود الذهبية وقال له أنها مكافأة له وأن "كل واحد يعطي حسب مقدرته، وأنا بعيد أن أعطي الكثير"، وأن الحكومة الفرنسية سوف تقدم مكافأة كبيرة تناسب مقامه اعترافا منها بمساعدته لروش لأداء مهمته[3] ، وكان روش يقصد رشوة رجال حكومة المغرب تحت غطاء الهدايا والمكافأت ، ونستنتج من عبارة "وأنا بعيد على أن أعطي الكثير" أنه يرمي إلى أن الحكومة الفرنسية قادرة على تقديم أموالا طائلة للمغاربة إذا ما أخلصوا لها المودة والولاء.

ولما كان ابن عبو متخوفا من تعيينه على قبائل الريف فإن روش كان يقوي عزيمته وقال له أن السلطان ما (اختاره) إلى هذه المهمة الصعبة إلا ثقة منه بقدرته على قمع الفتن، ووعده بمساعدة فرنسا العسكرية والوقوف إلى جانبه كلما اقتضت الظروف ذلك، ثم قدم له بالإشتراك مع دي شاستو، مبلغا ماليا قيمته 40 دوبلون (doublons) كمصاريف أولية، وكتب روش إلى الحكومة

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق ، ، ص 53.

[2]- المرجع نفسه ، ص53

[3]- راسلة روش إلى ابن باديس في 30نوفمبر 1845 أرسلت الحكومة الفرنسية مبلغ 25920 فرنك إلى ابن باديس ومبلغ 10368 فرنك إلى أبي سلهام ابن علي ينظر: مهمة ليون في الجزائر والمغرب ، ص 80

الفرنسية يقترح عليها تقديم مبلغ مابين 15و 20 ألف فرنك سنوي إلى ابن عبو لمساعدته على القيام بمصالح فرنسا[1]، ولما علم روش بعزل السلطان لابن حميدة عن ولاية وجدة بطلب من القبائل المغربية أسرع إلى مراسلة ابن ادريس بتاريخ 30 نوفمبر 1845م يطلب منه ضم هذه الولاية إلى قيادة ابن عبو. واقترح عليه خطة تنظيمية يجب على ابن عبوا اتباعها. وهي أن يعين هذا نائبين له من الأهالي يقيم الأول في وجدة والثاني في قصبة سلوان قرب مدينة مليلية، فيسهل عليه في ذلك التحكم في القبائل، و قال أنه يجب على ابن عبو أيضا أن ينتهج مع الأهالي "سياسة القوة من جهة وسياسة الخداع من جهة أخرى"، وأن السياسة الأخير لا يتسنى له تطبيقها إلا برشوة شيوخ القبائل[2]، والمعلوم أنّ هدف روش الأساسي في ضم ولاية وجدة لإقليم الريف تحت قيادة ابن عبو، هو محاصرة الأمير والقضاء على مصدر قوته التي كان يستمدها في المغرب من القبائل الريفية له ، وفي الرسالة الثانية لابن ادريس، في شهر نوفمبر أيضا، طلب منه روش إرسال قوات مغربية جديدة لمساعدة ابن عبو للسيطرة على قبائل الريف، وقال له أنه يعلم جيدا أن مثل هذه التجهيزات سوف تكلف السلطان مبالغ باهظة، ولذا يرى أن الحكومة الفرنسية سوف لا تتأخر في تقديم جزء من النفقات لتجهيز هذا الجيش لأن ذلك سوف يعود عليها بالخير. ويقول أن السلطان إذا انفرد بالانفاق على تجهيز هذه القوات فإنّ أموال خزينته سوف تنفذ. ثم ختم رسالته بقوله :"أنني بهذا الاعتبار، أعتقد دون أن أمس بكرامتكم، أنّ السلطان يستطيع الاتكال على أموال حكومتنا" [3].

---

[1]- لاندري ما نوع الدوبلان الذي قدمه روش إلى ابن عبو لأن ةهناك ثلاث انواع منه دوبلان يساوي 20 فرنك و38سنتا والثاني يساوي 40, 71 فرنك والثالث يساوي 81,52 فرنك ينظر: مهمة ليون في الجزائر والمغرب، ص 80.

[2]- لقد كان ابن عبد رجلا فقيرا الحال كثير العيال وكان يتقاضى أجرا ضئيلا فاغتنم نفوذ منصبه ولجأ إلى جمع المال من الأهالي ذلك إلى قنصل فرنسا بطنجة وكان روش مطلع على كل ذلك فساعدته هذه المعلومات على تنفيذ عملية الرشوة ينظر: مهمة ليون في الجزائر والمغرب، ص 80.

[3] -رسالة نشرها كابي في كتابه (مهمة ليون روش) ص114. لم يعثر المؤرخون على رد ابن ادريس عن هذه الرسالة اذا كان هناك رد .

والملاحظ أنّ روش كان يريد من وراء هذه الاقتراحات كسب نفوذ جديد لفرنسا في المغرب عن طريق الرشوة،ولم تكفه رشوة الولاة مثل ابن عبو ، بل تعدّاه إلى محاولة إغراء السلطان المغربي نفسه بالأموال الفرنسية، و هدفه من هذا هو ربط العلاقة الفرنسية المغربية على المدى القريب و البعيد ،وذلك بالقضاء على الأمير عبد القادر ثم تملك فرنسا بعد ذلك شرعية التدخل في المغرب وتحق لها مسؤولية الأسبقية في ربط علاقتها معه ،و إبعاد النفوذ الانجليزي خاصة وهو ما كان يرمي إليه روش على المدى البعيد [1].

قد استطاع روش فعلا أن يقنع السلطان مولاي عبد الرحمان بإرسال سفيرا له إلى باريس لبحث مستقبل العلاقات الفرنسية المغربية، واصطحب روش السفير المغربي الحاج عبد القادر بن محمد أشعاش إلى باريس ما بين 07-11 ديسمبر 1845م[2]. وفي حينه نالت الدبلوماسية الفرنسية في المغرب انتصارات، و كان الأمير ينظم غزوات متتالية في الجزائر وزحفت القبائل المغربية المساندة له نحو الحدود الجزائرية المغربية واضطربت الأحوال في شهر مارس 1846م، ولم يستطع ابن عبو السيطرة على قبائل الريف ووقع الخلل داخل جيشه بسبب نقص في الأسلحة والمؤن وعلف الخيول، وازداد امر ابن عبو ضعفا خاصة بعد الخلافات التي وقعت بينه وبين مولاي إبراهيم، قائد جيش السلطان، وكان السبب فيها مرابطي المنطقة الريفية الساخطين على ابن عبو، فاشتكى هذا أمره إلى القنصل دي شاستو وكان مولاي إبراهيم عبد الرحمان متخوف من إثارة قبائل شرق البلاد ضده، فاغتنم دي شاستو هذه الفرصة وقرر إيفاد روش مرة أخيرة إلى الرباط، في شهر أكتوبر 1846م لإجبار السلطان

[1] – م تقدم فرنسا أية مساعدة مالية للسلطان أثناء المعارك التي جرت ضد الأمير .ينظر : مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب...، ص80.

[2]– سافر القائد أشعاع إلى باريس على رأس الوفد المغربي يحمل رسالة السلطان إلى الملك الفرنسي وبيقى هناك 07 أسابيع كاملة ثم خلالها غسل أمخاخ الجميع في متاحف باريس وملاهيها وقصورها ملذات العيش فيها فانبهر أشعاع وصحبه وعاد يهذي بما لاعين رأت ولا أذن سمعت، وصرح للسيد دي شاستو قنصل فرنسا في طنجة قائلا: "لو أني شرحت لحمي لتغذية ممثل لفرنسا و أرقت دمي لينهل منه فإن ذلك يسكون ضئيلا جدا إذا ما رأيت أن أبرهن للجميع على مدى ما يغمر فلبي من الإحتراف بعطف السلطان الفرنسيين الأعظم" ينظر: مهمة ليون في الجزائر والمغرب، المرجع السابق، ص 80، وينظر أيضا: محمد داود، تاريخ تيطوان، القسم الثالث، المجلد 03 تيطوان 1962، ص 295-296 و 391-392.

على أخذ قرار حاسم وفعال ضد القبائل الريفية لإعادة السلم في المنطقة[1]. وكانت الحكومة الفرنسية قد وضعت ثلث الجيش الفرنسي"110000 رجل"[2] تحت تصرف المارشال بيجو للقضاء النهائي على مقاومة الأمير عبد القادر، وكان روش قد عيّن في السلك الدبلوماسي نهائيا في شهر فيفري 1846م. وتمسك برأيه القائل: أن دخول فرنسا في الحرب ضد القبائل الريفية الخارجة على السلطان المغربي فرصة سانحة أمام الأمير ليكتّل القبائل من حوله ويجابه بها فرنسا والمغرب معا، فتقوم الفوضى في البلاد، ويتعسر الأمر بعد ذلك على فرنسا في القضاء على الأمير، وفضل روش الطرق السلمية وعمل كل ما بوسعه ليجنب فرنسا هذه الحرب ويجعل السلطان المغربي يدخل وحده، كما عمل روش قبل توجهه إلى الرباط على إغراء القائد أبي سلهام بن علي، ليدخل لدى السلطان ويكسب القضية في صالح فرنسا، ثم نظم روش خطة لرشوة السلطان أيضا عن طريق أبي سلهام ودخل معه في محادثات سرية باسمه الشخصي، وأبعد دي شاستو لكي لا يشك المفوض السلطان في مخادعة الفرنسيين، وتعتبر المسألة رسمية من طرف الحكومة الفرنسية، غير أنّ أبي سلهام أصر على كتمان الأمر آنذاك نظرا لتعكر الأمور، وتأجيل ذلك حتى ينتهي السلطان من حل الأزمة القائمة فتعهّد أبو سلهام أنّه سيفاتح السلطان في مسألة تزويد فرنسا له بالمال، وقال أنّ أمله كبير في أن تكون النتيجة إيجابية[3].

ولما وصل روش إلى الرباط توصل إلى إقناع المولاي عبد الرحمان بخطورة الوضع الذي يهدد عرشه، حتى أنّ السلطان اعتقد أنّ الأمير هو السبب الرئيسي في تصاعد المخاطر ضد عرشه، فانتهى إلى إرسال قواته في الأشهر الأخيرة من سنة 1847م، للقضاء على الأمير وإخضاع القبائل المغربية، والعمل على مضايقة القبائل الجزائرية وإجبارها على الرجوع إلى الجزائر والدخول تحت سيطرة الجنرال لاموريسيار، وقد تم ذلك فعلا في أواخر شهر ديسمبر 1847م وانتصر روش في مهمته الدبلوماسية

[1]- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق ، ص 56.

[2]- المرجع نفسه، ص 56.

[3]- نفسه، ص ن.

هذه في المغرب وقد ساعدته ظروف المسلمين وضعفهم كثيرا في تنفيذ آرائه المغامرة التي بدئها بتحرير شروط المعاهدة وصادق عليها السلطان وأنهاها بمحاولت رشوة رجال دولة السلطان وقد توصل إلى ذلك فعلا[1].

وخوّل له هذا الانتصار الانخراط في السّلك الدبلوماسي إذ عيّن قنصلا في طنجة 1846م ، وشغل نفس المنصب في تونس، وطرابلس ،وترياستا بالنمسة، واليابان. وانتهى سنة 1870م إلى منصب وزير مفوض تقاعد بعده عن العمل، وكانت مهمته القنصلية في البلدان العربية قد تركزت خاصة على التبشير المسيحي[2].

ب– الجاسوس غارسان:

هو أيضا لا يقل عن روش صفة، الجاسوس غارسان الذي عمل ممثلا لإحدى البيوتات التجارية المارسيلية للمغرب حيث تعلم اللغة العربية وحمل لقب وكيل القنصل لفرنسا، وهذا ما مكنه من إقامة علاقة مع أشخاص بداخل المغرب، لكن تورطه في الأعمال التجارية منافية اضطره للعودة إلى مارسيليا مغضوبا عليه، بعدها قدم إلى الجزائر والتحق بالأمير عبد القادر وعمل عنده كتقني في مصنع الأسلحة بالمدية ثم كمترجم ووكيل تجاري يورد الأدوات من مارسيليا لمصانع الأميرن وأثناء كان يجهد نفسه في جمع المعلومات على جيش الأمير ومشارعه، وعندما أحس باشتداد المراقبة عليه إثر هروب ليون روش، التحق بالمغرب في شهر جويلية 1840 ووضع نفسه مجددا في خدمة قنصل فرنسا الذي لم يثق به بل أرسله إلى فرنسا، وهناك تمكن من مقايضة ما كان يعرفه من أسرار عن دولة الأمير باستعادة مكانته، فزود وزارة الحربية بالمعلومات المهمة ضمنها في تقريرين الأول كتبه في شهر أوت والثاني أتمه في شهر أكتوبر 1840[3]

[1]– يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832م-1847م) ، المرجع السابق ، ص 56.

[2]– عبد الجليل التميمي، دور المشرين في نشر المسيحية بتونس، 1830-1881، مجلة الأصالة العدد 29-30، 1876، ص ص 49-61.

[3]– سعيدوني ناصر الدين، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص ص 222-223.

2– 2 – مخابرات الأمير عبد القادر:

إنّ الأمير عبد القادر استطاع بحنكته ودهائه السياسي أن تكون له مصلحة أخبار حقيقية، ويرجع الفضل في ذلك إلى مبعوثيه الذين كان لهم اتصالات مع عناصر قيمة في مدينة الجزائر ووهران، وخاصة في طنجة التي كانت مركزا كبيرا للمبادلات التجارية وكانت له بمثابة قاعدة للإمداد وليس لتوريد الأسلحة والذخيرة فحسب، بل وكذلك لنشر الأخبار هذه الأخبار التي كان على علم بها من خلال الجرائد التي كانت تترجم بطلبه، وحسب الميلود بن عراش سفيره فوق العادة في باريس،فإن الأمير كان له ابتداء من 1838م عميل يتجسس لصالحه، وهو الجنرال الفرنسي المتقاعد يقيم في باريس، حيث كان يتمتع بنفوذ كبير وكان يخبره بكل ما قد يهمه، وكان يتقاضى ما قيمته 3000 بياستر في السنة (نقلها ش.أ. جوليان)، بحيث كانت هذه المعلومات ينقلها ويشرف عليها الميلود بن عراش [1].

وكان هذا الجهاز مرتبط بالأمير يتابع تحركات الفرنسيين وعملائهم داخل القطر الجزائري بحرفية عالية[2].

– دوراند (duarand): إنّ استخدام الأمير للجواسيس ذوي الأجور العالية قد جعله معروفا لدى أكثر مجالس السلطات الفرنسية السرية، فقد أرسل عملاء مهرة قادرين لدى رؤساء الدوائر في الإدارة الفرنسية،في مختلف فروعها كوسيلة للتعريف بآرائه والإقناع بمصالحه كان أولئك العلماء قد أعطوا تعليمات بأن يكسبوا ثقة أهم الشخصيات وأن يكونوا دائما مع هذه الشخصيات باختلاق كل الأسباب لذلك، وأن يمدحوا باستمرار فضائل سيدهم، وأن يتوسعوا في قدراتهم الإدارية وأن يثنوا على تأثيرهم الخارق في البلاد، وأخيرا أن يلمحوا إلى الفوائد العظيمة التي تنجر لفرنسا بأن يكون لها هذا الرائد في طريق الإحتلال.[3]

[1]– عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص 100.

[2]– علي محمد الصلابي،المرجع السابق، ص 139.

[3]– شارل هنري تشرشل،المرجع السابق، ص127.

– وكان هناك يهودي يدعى "دوراند" قد قام بكل تلك التعليمات في مدينة الجزائر بمهارة فائقة وقد احتال بسهولة لجعل"ديرلون"[1]، يسمع إليه فكان هذا يستشيره في كل شؤون الساعة المتعلقة بالإدارة الداخلية للولاية، وأدّى ذلك تدريجيا إلى تأثر ديرلون فأصبح رأيه يميل إلى عبد القادر، ونجح دوران في مهمته حتى أقنع "ديرلون" بما كان عندئذ تيارا شائعا ساذجا عن تصرف عبد القادر، وأنه أوقع أكثر من واحد من خلفاء الحاكم العام، وبنفس الوقت كان "دوراند" هو الذي استخلص من ديرلون المعاهدة ديمشيل، وكان قد كلف باصطحاب حاملها إلى المدية[2]، وهناك بالرّغم من أن المعاهدة لم تلقى إلا القليل من الترحيب والإنتباه، وإنّ حامل هذه المعاهدة استقبل بكل علامات الصداقة والكرم قد أقيم من أجله استعراض كبير وهكذا أتيح للمبعوث الفرنسي أن يفترس بإعجاب غامض في نواة الجيش العربي، كما استدعي ليصطحب من طرف السلطان في رحلته التفقدية كانت على وشك البدء في كل من إقليم التيطري ووهران، فقبل المبعوث الفرنسي الدعوة وهكذا أظهر للعيان الضابط "سانت هيبوليث" واليهودي "دوراند" في الموكب الرسمي. كان عبد القادر يستفيد من وقته إلى أقصى حد وكان عن قصد يذهب إلى تلك المناطق التي أظهر أخيرا عدم الإخلاص أو التي كانت مترددة في ولائها له ، وكان في داخله معجبا بالإنطباع الذي تركته البزة الفرنسية على القبائل التي كانت تتسائل: ما هي يا ترى قوة هذا القائد الذي جعل من الكفار أتباعا له ؟، الذي يستطيع بلا شك في أية لحظة أن يستدعي جيوشه لتسيير لتأييد عرشه في أية مقاومة لهذا العامل ستكون مجرد جنون وليس أمامهم إذن سوى إستسلام غير مشروط[3] .

[1]– بعد قرار الحكومة الفرنسية سنة 1834 بالإحتفاظ بالجزائر وإلحاقها بفرنسا، إداريا عين ديرلون أول حاكم عام على الجزائر، أم من سبقوه فقد يحكمون بعنوان قائد عام للجيش الفرنسي في الجزائرينظر: هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ص 123.

[2]– شارل هنري تشرشل،المرجع السابق، ص ص27-28.

[3]– المرجع نفسه ، ص 28.

3- دور المرأة الأوروبية في الجوسسة في الجزائر:

نماذج عن دور المرأة في الجوسسة:

إنّ التطرق إلى هذا الموضوع يؤدي بنا إلى البحث عن دور المرأة الأوروبية في الجزائر، بحث ذلك يتطلب معرفة دور مثيلاتها الأوروبية، ودورها في الاستعمار الفرنسي، ومنه نطرح الإشكال التالي: هل كانت المرأة وسيلة من وسائل التأثير الذي يسميه البعض الغزو الاجتماعي والثقافي؟ كما يؤدي بنا إلى البحث عن ردود الفعل عن دور المرأة وهنا نتساءل أيضا كيف استطاع المحتلون أن يوظفوا المرأة الأوروبية لتحقيق مخططاتهم؟ في السيطرة والتأثير وكيف كان رد الفعل من طرف الآخر على هذا اللون من الهيمنة التي أطلقوا عليه اسم التغلغل السلمي في مجتمع المستعمر؟

ومن خلال ما تقدم يفهم أننا سنتحدث عن الزواج المختلط، هذا الأخير الذي لم يستعمل وذلك لأن الحالات التي سنذكرها هي حالات تدخل في الزواج المختلط بإنشاء واحد، وإنما هي حالات كان يقصد بها التأثير الذي عجز عنه السيف والقهر أو التأثير الذي يعفي السيف عن مهمته[1].

لكن توظيف المرأة الأوربية من أجل التأثير في الطرف الآخر. لم يكن إلا جزء من عملية التغلغل السلمي لتحقيق ما يسمى بمهمة الحضارية الفرنسية، ولمواجهة هذا المجتمع المغلق استعمل الفرنسيون المرأة الأوربية لإنجاز جزءا من مهمتها[2]. وتكسير الحواجز التي تفصل بينهم بين النصف الآخر ألا وهو المجتمع الجزائري، ظهرت دعوة كانت تقول أن الإسيتلاء على المرأة الأهلية سيصنع ندّا لجميع أشكال المقاومة الأخرى عسكرة أو دينية أو الاجتماعية، أو من خلال ذلك سيتم القضاء على ما يسمونه التعصب ضد الفرنسية وهو التعصب الذي اعتقدوا أن المرأة العربية المسلمة هي مصدره وخاصة بعد رفض الجزائريين تعليم أولادهم اللغة الفرنسية خشية عليهم من فقدان هويتهم[3]. وبعد نحو خمسة عشر من المقاومة المسلحة، وبعد استيلاء الفرنسيين على مصدر تمويل

---

[1] – سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ج5، ط1، بيروت، 2005، ص: 115.

[2] – المرجع نفسه، ص ن.

[3] – نفسه، ص117.

التعليم، وهو الأوقاف الإسلامية، حاول الحاكم العام المارشال "بيجو" 1834م أن يفرض اللغة الفرنسية في الكتاتيب القرآنية والدواوير، وطلب من المفتي الموافقة على ذلك حتى يستجيب الناس، ولكن المفتي رفض فعزله المارشال ونفاه من البلاد[1].ولما فشل هذا القائد الفرنسي في هذه السياسة حاول هذه المرة بث اللغة وتأثير المعمر بطريقة أخرى أقل استعراضا للعضلات وهنا تبدأ أول حالة في موضوعنا[2].

1- **لوس أليكس**: قبل التحدث عن مشروعها في الجزائر، يجب التطرق إلى المحيط الذي كان له تأثير على حياتها ألا وهو الحركة الرومنتيكية في أوروبا، وهو حركة كانت قمتها بفرنسا خاصة خلال العقد الثلاثين 1830-1840م، ونحن نعلم أن حب المغامرة والبحث عن المجهول والإطلاع عن حياة الشعوب البدائية هي من سمات هذه الحركة فكيف وصلت لوس إلى الجزائر؟ وهل كانت الرومنتيكية هي معركتها[3].

ولدت لوس سنة 1804م في فرنسا، وتعلمت تعليما مضطربا، أما والدها كان يعمل كاتبا لبلدية تورين حيث كانت لديه مكتبة استفادة منها لوس ليحين وقت زواجها فتزوجت من رئيس للموسيقى العسكرية، حيث أنجبت منه بنتا، في هذا الوقت كان الإعلام الفرنسي يحث على الهجرة إلى الجزائر بلاد الشمس والبحر، بدل أوروبا الغائمة والحزينة، لتكون لوس ممن غامر تاركة ابنتها عند أمها وهاربة مع زوجها، ودخلت الجزائر باحثة عن الأحلام الموعودة[4]. ولكنّ حياتها كانت ضنكى، فقد جربت أعمالا مختلفة من غسالة في المستشفى العسكري إلى خياطة ولم يلبث والدها أن توفي سنة 1837م، حيث نجدها تعلمت اللغة العربية، وتعرفت على أحوال المرأة الجزائرية العربية، وذلك أنها دخلت البيوت المغلقة لتكشف أنه بإمكانها أداء رسالة لبلادها باكتشاف هذا العالم المجهول،

[1]- سعد الله أبو القاسم: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 11-18.
[2]- المرجع نفسه، ص117.
[3]- نفسه، ص ن.
[4]- نفسه، ص ن.

والسيطرة عليه من خلال الجيل الجديد[1]. بدأت لوس عملها في الخياطة، وذلك أنها فتحت ورشتها بأربع فتيات، حيث أنها استطاعت أن تقنع أمهاتهن بعدم الخوف عليهم، حيث نجد أن الورشة كانت عبارة عن منزل مورسيكي، حصلت عليه بالتبرعات وأخذت تعلم البنات المسلمات اللغة الفرنسية والحساب والطرز والخياطة، والملاحظ على مشروع لوس أنه لا يؤهل البنات إلى مراحل التعليم المختلفة، ولكن كفيل بأن يضمن لهن حرفة بسيطة، وزيادة على هذا كله هو كون البرنامج كفيل بإخراج التلميذات من تقاليدهن، وفتح أبواب الأسرة في وجه التأثير الفرنسي ليتواصل جمع التبرعات وانضمام البنات حتى بلغن الأربعين. وأصبح المنزل ضيق عليهن، هنا تقدمت لوس بطلب المساعدة إلى الحاكم العام المارشال بيجو فأمدها بالمال اللازم.

وهنا يجب أن نقول انّ المارشال بيجو تساهل وزوّد لوس بالأموال وهو أمر يحتمل الشك والتساؤل، لم يساعد الحاكم هذه المرأة إن لم تكن لبلاده مصلحة في ذلك؟ حتى أن الحكومة تدخلت بنفسها في المشروع من أجل توسيعه وتعميقه، وبعد فترة جاءت المساعدة المالية من وزارة المعارف الفرنسية[2]، كما أننا نجد اعتراف الحكومة رسميا بمدرسة لوس في يناير 1847م، وفي الوقت كان بيجو ما يزال حاكما عام وهكذا نجد أنّ مشروع لوس تحول من محاولة إلى تجربة ناجحة، ومن تجربة خاصة إلى مشروع عام حيث ظهرت نساء أخريات في مختلف المدن، وقلدن تجربة لوس بل حتى انّهن طوروا التجربة بإدخال مواد جديدة على برنامج التعليم في الورشة. وذلك بالتعرف على طرق وأساليب الطرز والنسيج في مختلف النواحي الجزائرية، فمثلا هناك أسلوب جبل عمور والزواوة والأوراس والصحراء، بل حتى أنهم حولن تقليد وتطوير الأساليب الشائعة في تونس والمغرب وسوريا. وهذا لأن أسلوب الجزائر قد ركد فترة، ولأنّ الصناعات التقليدية فيها قد تضررت بفعل الإحتلال ومن الأسماء التي خلفت لوس نذكر السيد ابن عابن وأخريات[3]. والملاحظة المهمة حول مشروع وتدعيمه من

[1]- المرجع السابق، سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء....، ج5، ص 118.

[2]- المرجع نفسه ، ص ن.

[3]- نفسه ، ص119.

طرف الحكومة الفرنسية هو أنّنا لا نجد امرأة عربية فتحت ورشة باسمها بعد ذلك، فالاحتكار ظل دائما فرنسيا ومدعوما من الحكومة المحلية، استطاعت ورشات لوس وخليفاتها أن تطور الصناعة التقليدية الجزائرية، التي كاد يقضي عليها بفعل هدم الأحياء القديمة وهجرة الحرفيين ومنافسة الصناعة الأوروبية وما أنتجته الورشات الموجودة امتصته السياحة الأوروبية، كما نجد مشاركة لوس وتلميذاتها في المعارض الفرنسية والدولية ، وذلك بالإنتاج الصانعي التقليدي الذي حاز على شهرة عالمية ومن المعارض الدولية التي شاركت فيها لوس وعرض لندن سنة 1867م[1]. وبعد ذلك ساهم المشروع في تحقيق النتائج نذكر منها التأثير الفرنسي على الأسرة العربية حتى لو كان هذا التأثير غير باهر، وكانت اللغة الفرنسية أكبر إنجاز حققته الورشات وتنشيط الاقتصاد المحلي لخدمتها وهذا الأخير حقق سمعة عالمية[2].

2- أوريلي بيكار التجاني:

هذه هي المرأة التي لعبت دورا كبيرا في المجتمع الجزائري، أوريلي بيكار (O. BICARD) والتي هي معروفة باسم أوريلي التيجاني حتى أنّ بعض الكتاب الفرنسيين أطلقوا عليها لقب أميرة الرمال، وإذا كانت لوس لعبت دورها في المدينة وكان تأثيرها في الأسرة والاقتصاد، فإن نشاط أوريلي قد تركز على الجانب الصوفي والقيادات المحلية، وهي هنا الطريقة الصوفية التجانية[3].

ونحن نعرف تاريخ الطريقة التجانية وحياة مؤسسها أحمد التجاني[4]، ولكننا هنا لا نتكلم عن عهد التأسيس ولكن عن فترة الجيل الثالث أي أحمد التجاني الحفيد المعروف باسم أحمد الحبيب-

---

[1]- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء....، ج5 ،المرجع السابق، ص 118.

[2]- المرجع نفسه، ص 119.

[3]- نفسه، ص ن.

[4]- ولد أحمد التجاني في واحة عين ماضي جنوب غرب الجزائر سنة 1150، حيث درس فيها ثم في فاس ثم سافر إلى المشرق، وكان قد أخذ التصوف عن عدد من شيوخ الجزائر والمغرب ومصر والحجاز، ولما رجع إلى الجزائر أعلن استقلاله بطريقته في واحة بوسمغون، وعندها أحس بمضايقة السلطة العثمانية بالجزائر هاجر إلى المغرب واحتضنه هنالك سليمان وقد توفي في فاس 1230هـ الموافق ل1849م. ينظر: الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر، 1907، دط، ص 02-38.

تمييزا له عن أحمد الكبير أول المؤسس- وملاحظة الواجب ذكرها هي أن الطريقة التجانية ارتبطت بعلاقة خاصة مع الفرنسيين. وهذا العلاقة منذ الخلاف الذي وقع بين الطريقة والأمير عبد القادر، أي أثناء مقاومة الأمير 1832-1847م، حارب الأمير شيخ الطريقة التجانية في عين ماضي 1838م لأنّه لم يستجب لنداء الأمير في الانضمام للمقاومة، وبالتالي كان من القبائل الرادعة حيث كان يتعاون مع الفرنسيين ضد الأمير، (علما أنّ هذا الخلاف كان للاستعمار دور في إذكائه ،وما قام به روش أثناء حصار الأمير بعين ماضي خير دليل على ذلك)، كما نجد أنّ الفرنسيين استغلوا هذا الخلاف في صالحهم، وكما قلنا أنّ عين ماضي كانت مركز نشاط العائلة التجانية ومقر الزاوية، وهذا رغم وجود فرع تماسين الذي كان في بعض الأحيان يفوق الأصل نشاطا ونفوذا، أما الفترة التي نحن نتسائل 1870-1897م، كانت البركة الصوفية في فرع تماسين أي عند عائلة الحاج علي الينبوعي، وليس في عين ماضي أما إذا عدنا لموقف السلطة الفرنسية تدّعي أنّ أحمد الحبيب كان غير مؤهل لحمل البركة لأسباب يطول شرحها وهي أن بعض المصادر الفرنسية تدّعي أنّ أحمد الحبيب و أخاه لم يكونا من صلب محمد الصغير التجاني[1]، وكذلك من تلك الأسباب عدم وضوح أصل الحبيب ومنها غلطته إزاء الثورة عام 1864م، ولذلك توصلت السلطة الاستعمارية إلى التغلغل داخل الطرق الصوفية لمعرفة أسرارها، ولكن هذه المرة عبر استعمال السلاح -المرأة- هذا السلاح الفتاك الذي أثبت نجاحه في كل قصص المخابرات والجوسسة عبر التاريخ. ولكي يتم الزواج بين أحمد التجاني وبين أوريلي بيكار، لابد من إنجاز خطوات مسبقة أولها هي إتهام الشيخ وقد كان دون العشرين من عمره، وذلك لأنه تهاون بأداء واجبه حيث لم يرد الثوار أولاد سيدي الشيخ عن عين ماضي سنة 1864م[2]، أما ثاني هذه الخطوات هي استدعاؤه إلى العاصمة (الجزائر) أي إبعاده عن

[1]- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء.....، ج5، المرجع السابق، ص 120.

[2]- هي ثورة أولاد سيدي الشيخ في غرب وجنوب الجزائر وقد استغرقت سنوات طويلة ومرت على فترات متقطعة، واولاد سيدي الشيخ يرجعون في نسبهم إلى الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ينظر: سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية، ج1، ص 105.

مقر البلدية وقد فرض الإقامة الجبرية عليها بالعاصمة، وثالث هذه الخطوات هي نقله مع أخيه البشير إلى مدينة بوردو بفرنسا وأخيرا جاء دور تزويجه[1]، وهنا كانّ أحمد التجاني في مقتبل العمر شابا في حوالي العشرين من عمره حسب الروايات الفرنسية، أما أوريلي بيكار هذه الطفلة التي ولدت 12 يونيو 1849م في مدينة مونتانيي لورا، حيث كان والدها دركيا خدم في الجزائر في جوقة الشرف، و يذكر أنّه كان فخورا جدا بخدمته تحت العلم وكان كثيرا ما يردد حكاياته بخاصة أنّه كان من بين الجنود الذين استولوا على عاصمة الأمير ابن محي الدين "الزمالة" سنة 1843م، وفي 1861م اتبعت أوريلي والدها الذي أصبح يعمل لدى الجنرال فرواداساد ولما وصل سنها إلى 18 سنة، عملت كبائعة في متجر صغير في هذه الأثناء، تعرفت على السيدة ستيناكر زوجة الحاكم العام للمدينة، فاقترحت عليها أن تعمل لديها وصيفة، وعلمتها حرفة العزف على البيانو والصولفاج، وبعد ثلاث سنوات ستيناكر بالحكومة الفرنسية، حيث تحول السيد ستيناكر إلى وزير البريد لدى الحكومة. هنا تعرضت الحكومة لهجوم من طرف البروسين الذين قطعوا الإتصالات والأسلاك الخاصة بمورس، مما حدى بها باستفادة من خدمة الطيور في مراسلاتها خاصة الحمام الزاجل[2]. وهنا عهد الوزير للفتاة أوريلي بهذه المهمة الصعبة، مما يدل على الثقة الكبيرة التي وضعها فيها، "وفي أحد الأيام التي كانت تعتني بالحمام، شعرت بوجود باسم خلفها استدارت صرخت بكل قوتها، لقد وقف أمامها رجل لم تتعرف على شكله الذي لا يشبه شكل الأوروبيين ولا لباسه مثل اللباس المتعهد لدى الفرنسيين"وقد كان الواقف هو أحمد التجاني الخليفة العام للطريقة التجانية ، الذي لا يعي شيئا في ألاعيب الساسة الاستعماريين، وهو كما قلنا شيخ الطريقة التي ورثها عن أبيه وهنا كان أحمد التجاني مروفقا بأخيه سي البشير، أما الغرض من زيارتهم لفرنسا هو حضور مراسيم بدعوة من الحكومة الفرنسية، ولكن يبدو أنّ المخابرات الاستعمارية هيّأت الأجواء لمشروع مؤامرة كبرى على الطريقة التجانية وذلك

[1]- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء.....، ج5، المرجع السابق ،ص121.

[2]- عيسى منافع، لالة أوريلي بيكارد زوجة السيدين، ص 04-07 موقع شهاب الإلكتروني www.elchihab.com 14:03 2016-04-17

باختراقها في العمق. حاول الشيخ الصغير أن يحيي الفرنسة التي تلعلع جمالها وبياضها في قلبه ومالت جوارحه لها، ودار في ذهنه خيال الرجولة أمام منظر الفتاة الطري، ولكنه كان عاجزا عن الكلام، ولم تسعفه حركة رأسه سمع صرخة أحد الجنود فتقدم مسرعا، وتحدثت مع الخليفة بلغة لم يفهمها، وقال لها الشيخ: "يعتذر الشيخ لكي بأنه أزعجك في عملك، قال أنكم لديكم الحظ لأنكم تعرفون لغة الطير ورسلنا، يقول غناء العصافير هو لغة الملائكة"[1].

"كانت المغازلة الظريفة قد طبعت شيئا خاصا في قلب الفتاة، أما الشاب التجاني فقد طار عقله مع فتائل شعرها الذهبي، وفي غضون أيام لاحقة شاهدت المرأة كثيرا من الشاب الذي أهمه شكلها"[2]، عندما سمع والدها "بيكار" عاد بسرعة إلى بوردو حتى ينذر ابنته من هذا الزواج، لأن العرب لهم عاداتهم وتقاليدهم التي لا ترحم المرأة، ولكن أين لهذا الجندي المسكين أن يعترض على قرارات أسياده حيث طلب الوزير "ستيناكر" من الشابة أن تفكر مليا في مستقبلها ودورها[3]، والملاحظة التي يجب أن أتطرق لها في ها المقال دون أن نمر عليها وهي أن الفرنسيين كانوا باستطاعتهم أن يمنعوا الزواج، لو أرادوا ذلك ولأنه يتجاوز الحدود الاجتماعية المعروفة علما أنهم فعلوا ذلك من قبل مع غير التجاني[4]. وهنا نجد والد "أوريلي" وهو "كلود" يقول للتجاني قبل عقد القران: "لدينا الشرف أن أزوجك ابنتي، ولكن هناك بعض التفاصيل التي يجب أن نتحدث فيها قبل أن تصبح عائلة واحدة، وذلك بعد أن أصبحنا شعبا واحدا" قال الشيخ بقلب كاد ينخلع من أضلعه من شدة الفرح: "طلباتك وطلبات ابنتك هما طلباتي، وأنا مستعد أن أقدم لها أربع مائة ناقة و ألفي معزة ووزنها مجوهرات، وهذا حتى أربط حياتي بحياة كرمتك" هز الوالد رأسه وخاف الشاب التجاني أن

[1]- هي سياسة اتهجتها فرنسا وهي إرسال أعيان وزعماء طرق الصوفية لزيارة باريس والقيام لعمليات غسل مخ محكمة أو عن هذه السياسة. ينظر: مرجع سابق، سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص 239.

[2]- عيسى منافع، المرجع السابق، ص 4،5.

[3]- المرجع نفسه، ص 07.

[4]- منع الفرنسيون محمد الشادلي القسنطيني سنة 1849 من الزواج من فرنسية في باريس، لأنه كان قاضيا عندهم، ينظر: سعد الله أبوالقاسم: القاضي الأديب محمد الشادلي، ط2، 1925.

يكون العرض غير سخي، فأرف يقول ستقاسمني حياتي وممكلتي وستعيش متوجة بالبركة، ووافق الشيخ أن تبقى زوجته تؤمن بالله على طريقتها الخاصة ولكن العسكري المحنك لم تتوقف طلباته هنا،فسأل الشيخ عن زوجاته الأخريات والإيماء اللواتي يتيسر بهن، فقال الشيخ: سأتخلص منهن كلهن بمجرد أن أعود لعين ماضي[1]، وهكذا فإنّ زواج أحمد الحبيب باركته السلطات الفرنسية كما باركته كنسية بوردو، وباركه الكاردينال "لافيجري" أسقف مدينة الجزائر[2]، وقد كانت مراسيم الزواج 1871م وكان ذلك بعد مرور سنة عليه في فرنسا، ثم عاد إلى الجزائر، وهنا تم إقامة حفلة بعدا دعوة رجال الدين والتصوف ليعلنوا أمام الناس أنّ الزواج قد تم على سنة الله ورسوله كتبوا العقد الشرعي، والشيء الظاهر أنه لم يكتب العقد أنّ "أوريلي" قد اعتنقت الإسلام، ولكن الذي أعلن حقا أن أحمد التجاني قد طلق زوجاته الأخريات، هكذا بالجمع، لإرضاء زوجته الجديدة وإرضاء القانون الفرنسي الذي لا يبيح تعدد الزوجات[3] .

سنستكشف من هذا أنّه رغم أن الإسلام لا يمنع أو يحرم زواج الكتابية من المسلم والعكس غير صحيح، إلا أن التجاني طبق أحد قوانين الكنيسة الكاثوليكية، وهو منع تعدد الزوجات فطلق زوجاته، وهو أمر لم يأتي به الإسلام رغم أنه شيخ الطريقة مع غض النظر عن مستواه العلمي، وتطبيقه الشريعة والذي نعتقده هو انّه لا يطبق من شرع إلا ما يليق بغرائزه. بعدها جاء اليوم الموعود وجهّز الشيخ الجمل بالهودج واستعد للانتقال من الجزائر إلى عين ماضي، وبعد عشرين يوما من السير، سمعت الأميرة رجالة القافلة يصيحون عين ماضي وهي مقر الزاوية وهي ممكلة أحمد التجاني، وتوافد رجال الطريقة يحيون سيدهم، انقبض قلب الفتاة قليلا: هل هذه هي المدينة والمملكة التي

[1]- عيسى منافع، المرجع السابق، ص 5-7.

[2]- ساهم لافيجري في دعم الكنيسة الكاثوليكية في تأسيس حركة نشطة للتبشير، وهو الذي أسس جمعية الآباء البيض وجمعية الأخوات البيض، من أجل القيام بالعمل التبشيري المنظم وقد عاش فترة في بلاد الشام ثم امتد نفوذه من الجزائر إلى تونس، ينظر: سعد الله: ح و ج، ج1.

[3]- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء.....، ج5، المرجع السابق،ص 121. نقل عن: لويس رين: المرابطون ووالإخوان، الجزائر، 1884، ص 428.

حدثني عنها هذا الرجل؟ أين ذلك من حدائق في مقر الحكومة الفرنسية؟ شعرت بالبكاء ولكنها تمسكت ولكن وبعد مضي عدة أشهر شعرت القادمة الجديدة بعزلة في العالم الغريب، وبدأت تنسج علاقات وتحالفات والتفكير في التأثير على أمر زوجها، وباختصار نجحت الخطة وبسرعة استطاعت "أوريلي" السيطرة على محيطها واتخذت لنفسها لقبا جديد "لالا يمينة" وبدأت بتشييد قصرها الذي سيحمل اسمها قصر قريب من نبع "الكردون" البعيد عن عين ماضي 7 كلم، كانت هي المهندسة والمخططة والتي وضعت الأساس[1]، وقد قيل على هذا القصر أنه كان يجمع في أثاثه ومأكله ومشربه، بين طراز الشرق وطراز الغرب، أي بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية[2]، ولكن الأهم من ذلك هو عملها على تنظيم الزاوية، لقد لاحظت أن هنالك فوضى كبيرة لأن العرب لا يحسنون التنظيم، وأعادت هيكلة بنائها كل شيء كان يدور مثل الخاتم في إصبعها ونلاحظ أن أبرز أنواع التأثير، هو إدخال أنواع الطباية فقد كانت تظهر على يدها المعجزات فقط عن طريق تعميم النظافة والاغتسال والاستعمال الصحي لأشياء، مع أن تعاليم الدين تحث على ذلك ولكن العكس يحدث هنا وهذا راجع لعدم تطبيق تعاليم الدين الصحيحة[3]، وبدل أن يكون الشيخ التجاني في زاوية في عين ماضي يستقبل مريديه وأحبابه وأتباعه، أصبح يستقبل جنرالات فرنسا والسياح والشخصيات في قصر "الكردان" برفقة زوجته "أوريلي"، وقد كتب الفرنسيون عن حياة هذا القصر وحياة الشيخ فيه وكيف حولته "أوريلي" من وظيفة الزاوية إلى وظيفة اجتماعية أخرى[4]. وقد كتبوا عنه بما لا يليق ولا يتناسب مع الزهد والتصوف الذي تحمله راية الطريقة التجانية مع العلم أن الذي كان يمثل الطريقة على خير وجه هي أسرة الحاج علي بن تماسين وهي حاملة البركة كما قلنا[5]. كانت(لالا يمينة) تتحرك دائما وفي قلبها فرنسا، فهي تنصح زوجها في كل ما يتعلق بعلاقاته بفرنسا التي كانت مثل السم على

[1]- عيسى منافع، المرجع السابق، ص 5-7.

[2]- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء.....، ج5، المرجع السابق ، ص 121.

[3]- عيسى منافع، المرجع السابق،نفسه، ص 5-7.

[4]- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء.....، ج5، المرجع السابق ، ص122.

[5]-المرجع نفسه،ص ن.

العسل، كما طلبت "أوريلي" من السلطات الفرنسية إنشاء مدرسة سنة 1882م. تم استقدام مدرس فرنسي بمدينة عين ماضي، وبعد وفاة محاسب الزاوية تحولت الشيخة "أمينة بيكار" إلى مكلف بالمالية، وقد لاحظت تراجع كبير في المداخل ورافقت زوجها في خرجاتها لجمع الأموال والصدقات والتبرعات، كما خططت من جهتها لتطوير أعمال الزاوية بطريقتها الخاصة، وبدأت في إحداث استثمارات حتى يعود دخلها للزاوية وإنشاء مدرسة جديدة في منطقة "كردان"[1]، أما أحمد التجاني فقد عاش إلى سنة 1897م حزينا متذمرا من تجريده من البركة الصوفية، وقد كان الفرنسيون يستعملون اسمه واسم طريقته في تحقيق أغراضهم في إفريقيا جنوب الصحراء[2]، وفي 20 أفريل 1897م توفي زوجها "سي أحمد"[3]، حيث أقاموا له تأبينا رسميا في العاصمة الجزائر، تم دعوة رجال الدين وشيوخ الطرق الصوفية وكبار المسؤولين يتقدمهم الحاكم العام "جون كامبون" نفسه، على إثر هذه المراسيم أمر "كامبون" "البشير التجاني" أن يتزوج "أوريلي" زوج أخيه الفقيد، ولم يكن "البشير" يملك إلا أذعان من أمر وما نظنه إلا فعل مثل أخيه وطلق زوجاته إرضاء لعروسته وقوانين بلادها[4]. وفي ربيع 1899م قام السيد "مارتي باسين" بزيارة أميرة الصحراء، وقد طلبت منه كتابة حياتها الخاصة في المملكة وعلى الطريقة التجانية وكان نتائج ذلك المؤلف باسم "أوريلي بيكار التجاني أميرة الصحراء"، وفي عام 1903م تم تعيينها ضابطا "بالاك أدمية" وبعد بضع سنوات توفي زوجها الثاني 09 يونيو 1911م، وتولى ابنه "علي" مهام الطريقة لكن "لالا يمينة" كانت تكره هذا الولد، فغادرت عين ماضي إلى الجزائر العاصمة، وعادت إلى قصرها في سنة 1914م بطلب من الحاكم العام للجزائر، وذلك لغرض تشجيع شباب العرب للإلتحاق بالجيش الفرنسي للدفاع عن فرنسا[5]. وفي سنة 1920م

---

[1]- عيسى منافع ،المرجع السابق، عيسى منافع، نقلا عن مارتي ياسين ومؤلفه أوريلي بيكار التجاني أميرة الصحراء ، ص 29.
Tidjani precesse des sables aulie march bassem bicard

[2]- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء.....، ج5، المرجع السابق ، ص 123

[3]- عيسى منافع ،المرجع السابق ، ص 6-7.

[4]- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء.....، ج5، المرجع السابق ، ص 123.

[5]- عيسى منافع ،المرجع السابق ، ص 6-7.

1920م عادت إلى بلادها الأصلي في فرنسا، ولكنها سرعان ما رجعت إلى الأغواط في سنة 1922م وهنا شاركت في حل النزاع الذي ظهر في الطريقة التجانية بعد وفاة "سي علي" وفي 1928م وقد طلب منها الشيخ "محمد" البقاء في قصرها وتولي مهام تسيير شؤون الطريقة، مثلما كان الحال بالسابق ولكن الجو الجديد لم يعجبها فرجعت لفرنسا لكنها شعرت بقساوة البرد الذي لم تتعود عليه، عادت إلى الجزائر وبقيت في البليدة ثم انتقلت إلى سيدي بلعباس وعادت إلى عين ماضي في 02 ماي 1928م، وفي يناير 1931م أعطي لها وسام الشرف من طرف وزارة الحربية، وماتت في 23 أغسطس 1933م.كان عمرها يناهز 84 سنة[1]،ويقول الدكتور عمر فروخي: "الطريقة التجانية التي كانت تسيطر على الجزائر أيام الاستعمار معروف أنها كانت تستمد وجودها من فرنسا، وأن إحدى الفرنسيات من العميلات المخابرات تزوجت شيخا فلما مات تزوجت بشقيقه، وكان الأتباع يطلقون عليها زوج السيدين ويحملون التراب الذي تمشي عليه لكي يتيمموا به وهي كاثوليكية مازالت على شركها... وقد أنعمت عليها فرنسا بوسام الشرف، جاء في أسباب منحها الوسام...، أنها كانت تعمل على تجنيد الموردين ليحاربون في سبيل فرنسا كأنهم بنيان مرصوص"[2].

وفي الأخير نقول أن أوريلي بيكار التيجاني عاشت حياة طويلة وعاصرت الأحداث التي تدخلت فيها طريقة التجانية لصالح فرنسا، و خاصة فترة البعثات الاستكشافية في إفريقيا والمغرب، وتماشيا مع التقاليد لم تكن "أوريلي" كثيرة الظهور في الأوساط الإسلامية. وإنما كانت تقوم بمهمتها في الخفاء والملاحظ هو أن البركة الصوفية قد آلت إلى زوجها البشير بينما حرم منها الأول، وهذا ربما لانحرافه حسب تعبير المجلة الفرنسية، وقد توفيت "أوريلي" سنة 1934م، ونوه بها الفرنسيون بالدور الذي قامت به، حيث عملت دورا فعالا في الجوسسة ملئ الفراغ الخاص بدور الجنرالات، ومعالجة كل عمليات الإستخبارات السرية على الجزائر والتأثير على التجانيين، ومن الذين فعلوا ذلك

[1]- عيسى منافع، المرجع السابق ، ص 05.

[2]- المرجع انفسه، ص ن.

المستشرق "إيمل ديرمنغهام" (E. dirmangham) الذي قال عنها أنّها ماتت فرنسية وحملت معها أسراراها إلى قبرها[1].

3- إيزابيل إيبهارد:

هي الأخرى فتاة مغامرة لعبت دورا يختلف إلى حد ما، عن دور زميلتها "لوس" و"أوريلي" وقد تمركز دورها في دخولها للطريقة القادرية، وتحديدها للتقاليد وازدواجية شخصيتها، ولكن نحن هنا لا نقارن بين النساء الثلاث، وإنما نحاول أن نعرف دور كل منهن في التحدي للمجتمع، وكيف مثلت كل واحدة منهن الدور المسنود إليها أو الذي اختارته لنفسها[2].

ولدت "إزابيل" في سويسرا عام 1877م، ولم يعرف لها أي والد ولكن المتعارف لدى المؤرخون الذين اهتموا بحياة الفتاة المغامرة، بالقول أنّ والدها المفترض هو "ألكسندر تروفيموسكي" أي إنها من أصول ألمانية روسية، كانت حياتها تمثل نموذجا للمغامرة والتنوع، وهو بحسب المؤرخين الغربيين تنتمي إلى موجة الفوضويين، حيث مارست كل أشكال الإنحراف، في حياتها الأولى مثل المخدرات والعلاقات الجنسية المتعددة، لكن حياتها تأثرت بوضعها الأسري غير المستقر حيث توفيت والدتها بشكل مفاجئ في 1898م، وفي نفس السنة انتحر أخوها "فلادمير" ثم مرض والدها بمرض العضال 1899م[3].

وقد تنقلت في فرنسا وأتقنت عدة لغات، من بينها العربية التي لا يعرف أين وكيف تعلمتها، وقد كانت تحمل جواز سفر روسي صادر عن موسكو فسكنت باريس فترة، وهناك عاشت الحدث الذي هز المجتمع الفرنسي، وهو قضية "دريفس" وانقسام الرأي العام إلى متقلب للسامية وإلى

[1]- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء.....، ج5، المرجع السابق ، ص 123.

[2]- المرجع نفسه، ص ن.

[3]- عيسى منافع، المرجع السابق، ، ص 03-04.

مضاد لها[1]، وهناك قضية أخرى والتي ستغير حياتها، وهي أن أحد الأعيان واسمه الماركيز "دي موريس"، قد قتل جنوب تونس وأنّ السلطات الفرنسية كانت متقسمة إزاء هذا الحادث، هو الآخر فالبعض يريدون إخفاء الضجة وعدم تتبع القتلى وآخرون يريدون العكس، وقد انضمت "إليزابيل" إلى هؤلاء وتحمست للكشف عن قتلة "دي موريس"[2]. وصلت "إليزابيل" إلى تونس رفقة والدها وأخذت تتبع الأخبار وتتقصها للوصول إلى مصادرها،كانت تلبس لباس التونسيات الحضريات حينا والريفيات حينا آخر، وتنتقل داخل البلاد لتدخل بعدها مدينة عنابة، في الجزائر وهناك تركت أمّها وتوجهت إلى العاصمة، حيث ربطتها علاقات مع رئيس تحرير جريدة واسعة الإنتشار هي "جريد الأخبار" فرنسية اللغة رغم اسمها العربي ورئيسها هو "فكتور بروكان" (V. barroucan)، الذي أصبح من أصدقائها وناشري آثارها بعد موتها، ومن الجزائر توجهت إلى الجنوب حيث الواحات وانتهى بها المطاف إلى واد سوف خلال شهر آب 1900م وذلك حين كانت الحرارة تبلغ 25 درجة[3]، وكانت "إيزابيل" تعرف بلا شك التنافس بين الطريقتين التجانية والقادرية في المنطقة، كانت السلطات الفرنسية تضرب الطريقة بالأخرى، لتستفيد من الجميع فمثلا استعمل الفرنسيون القادرية في تونس، بينما اعتمدوا على التجانية في الجزائر، ومن مظاهر دعمهم للطريقة ضد الأخرى التغاضي عن التبرعات والأتباع لشيوخهم، بل دعم أنشطة شيخ الطريقة المفضلة بتقديم المواد الغذائية أثناء الحفلات والولائم لتكثير الأنصار لها. كما أنها كانت تعرف على ما يبدو أن السلطات تتهم الطريقة التجانية بأنها كانت وراء مقتل "دي موريس"، ولكن هذه السلطات لا تريد إثارة ضجة ولا الكشف عن الأمور لحاجاتها من الخدمات التجانية والمحافظة على سمعتها، لذلك سارعت "إيزابيل" إلى واد سوف بالدخول في الطريقة القادرية على يد شيخها الهاشمي" بن براهيم"، وهكذا حملت سبحة وحظرت الحضرة و رددت الأوراد

[1]– كان دريفس عقيدا في الجيش الفرنسي وقد فسر إخراجه من الجيش عنصريا مما تسبب في تصدع المجتمع الفرنسي، الذي كان يسير نحو العلمانية وفصل الدين الدولة.

[2]– سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء.....، ج5، المرجع السابق ، ص 127.

[3]– المرجع نفسه، ص 124، اما الكتاب الذي ترجم بعمق لإيبهارد هو إزابيل تأليف آنيت كوباك 1989. وهناك عذة كتب تتحدث عن أدبيتها وسيرتها المضطربة.

الصوفية، وصامت رمضان وشاركت في توديع الشيخ وسط جمهور الأتباع. بل حتى أنّ السلطات كانت تتهمها أنها كانت على علاقة شخصية مع الشيخ نفسه[1]، أما المسؤول الفرنسي في واد سوف هو الضابط "قاسطون كوفييه"، فهو الذي كان يراقب تحركات هذه الزائرة الغريبة، ونشاطها المشبوه ومغامرتها الغير عادية[2]، فهي بالإضافة إلى نشاطها داخل الطريقة القادرية كانت تتعاطى الحشيشة المخدرة- وتلبس لباس الفتيان وتركب الحصان وتقضي الليل مع عشيقها "سليمان" وسط النخيل[3]، ولكن هناك من يقول أنها تزوجت "سليمان" هذا في سنة 1900م وهو جزائري عربي مجند في الجيش الفرنسي، وأقامت هناك في عمق الصحراء...[4]. وكما قلنا فإنّ هذا العاشق هو من الجنود العاملين تحت إمرة "كوفييه"، كذلك جلبت "إيزابيل" أنصارا فرنسيين على أعلى مستوى، وقد جاءت التعليمات بطردها بأنها في نظرهم جاسوسة للمخابرات الألمانية[5]. وتم في المحكمة طردها إلى فرنسا وبشكل غامض، ربما محاولة لإخفاء شخصيتها الحقيقية، وبينما كانت "إيزابيل" تتبع أخبار قتلة "دي موريس" وتمارس نشاطها كمريدة قادرية وقع عليها اعتداء كاد يودي بحياتها، حيث ضربها الجاني على رأسها بعصى غليظة، ولكن "إيزابيل" كانت تضع على رأسها نوعا من العمامة، وذلك بلباس اهل المنطقة في موسم الشتاء، فكانت الإصابة غير مميتة فقد عولجت بالمستشفى العسكري بالوادي، وقد كان ذلك في سنة 1901م، أما الشخص الذي حاول قتلها هو من مدينة البهيمة[6] وكان الجاني من أتباع التجانية، حيث انعقدت المحكمة الفرنسية في قسنطينة وحضرتها "إيزابيل" والشيخ "الهاشمي" أيضا، وقد أثبت الحكم تواطؤ السلطات المحلية و الطريقة التجانية في قضية "دي موريس"، أو على

---

[1]- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء.....، ج5، المرجع السابق ، ص 124-125

[2]- كان كوفييه هو رئيس وحدة وراية عسكرية وهو الجهاز المسؤول عن الأمن العام والعلاقات مع السكان ومراقبة النشاط الإقتصادي لهم.

[3]- المرجع نفسه، ص 125.

[4]- عيسى منافع، المرجع السابق، ص 03-04.

[5]- المرجع نفسه، سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء.....، ج5، المرجع السابق، ص 125.

[6]- عيسى منافع، المرجع السابق ، ص03-04.

الأقل هذا ما خرجت به "إيزابيل" وشيخها، كما أنها كانت تستعمل قلمها البارع وعلاقاتها الشخصية المؤثرة، ومن ذلك أنها بدأت الكتابة في جريدة الأخبار التي كان يديرها كما قلنا زميلها "فيكتور"، فهو الذي توسط لها حتى تعود إلى الجزائر حين تم تعيين زوجها كموظف في مدينة تنس، ولكنها سرعان ما عادت إلى سلوكها القديم والتحقت بالجنرال "ليوتاي" في عين الصفراء لتهدئة المنطقة التي لم تكن قد خضعت لفرنسا بعد، حيث استقبلها الجنرال أحسن استقبال واتخذ لها سكنا[1]، وتقول الروايات بأنه كلفها باختراق زاوية القنادسة، كانت "إيزابيل" تقول: "حلمي هو متابعة الحملة العسكرية"، وقد كتبت في جريدة لادياش الجزائرية بأن مشرف زاوية سيدي ابراهيم يقدم مراسم الطاعة الكاملة لفرنسا[2]. إذ ظلت "إيزابيل" تنتقل من مدينة الجزائر والواحات وباريس، فزارت "لالا زينب" شيخة الطريقة الرحمانية في بوسعادة وكتبت عنها، حيث كانت "لالا زينب "أي السيدة زينب من النساء النوادر التي تولين مشيخة إحدى الطرق الصوفية وهي الطريقة الرحمانية[3]، كما ألفت كتاب نشر بعنوان في ظل الإسلام الدافئ في جريدة الأخبار، كما كانت تراسل الصحف الفرنسية في الجزائر وفرنسا وقد كسبت أصدقاء من شيوخ الطرق ومن العرب الذين تدعي أنها أعجبت بهم في أشخاص عشقها ولاسيما "سليمان"، كما انّها صادقت الفرنسيين على غرار المارشال "ليوطي" والصحفي "باروكان"، وقد تركت بصماتها في الأدب الفرنسي بإنتاجها الغزير وأسلوبها المتميز، ولكنها بلباسها وسلوكها تحدت المجتمع والتقاليد العربية في الجزائر[4]. ولكن رغم اختلاف قضية هذه المرأة عن عن النساء الأخريات اللواتي تحدثن عنهن فإنّ الفرنسيين لا شك في أنّهم استفادوا من "إيزابيل" كثيرا في نشاط الطريقة القادرية وعن منافستها للطريقة التجانية، وعن التوتر الذي أصاب العائلات القيادية من جراء هذا التحدي، ولاسيما إذا عرفنا انّها كانت تشارك في مختلف أنشطة الزاوية وتخالط العامة

[1]- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء.....، ج5، المرجع السابق ، ص 126.

[2]-Ever. g. correspondance. Ipid. P 132.

[3]- الطريقة الرحمانية نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد ابن عبد الرحمن الأزهري المتوفي في الجزائر 1208-1793

[4]- سعد الله أبو القاسم، تلريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان،1998. ص 11.

وتدخل البيوت وتمشي في الأسواق بمبادلها الغريبة والمثيرة ليأتي أصدقائها، وبعد أن تم دفنها في مقبرة سيدي بوزجمعة وفق التعاليم الإسلامية، قام صديقها "بريكاند" والجنرال "ليوتاي" و"لوسي ديلار" و"ماماردوس" بتأسيس جمعية ذكريات "إيزابيل إيبهارد" 1930م، وقامت الجمعية بنشر كل مل كتبته هذه المغامرة[1]، وصلت منشوراتها إلى أربع مجلدات مختلفة، وففي فترة قصيرة جدا قامت "إيزابيل" بكتابة عدة مقالات عن عين الصفراء، المغرار، الحجرة، المغيل[2]، وقد قامت بزيارة لوجدة بالمغرب، وقامت بزيارة الزاوية في منطقة الحمام القوفاني، هذه التحركات الكثيرة لم يكن من السهل أن تقوم بها إمرأة بعيدة عن التغطية المباشرة للسلطات الإستعمارية، تقول عنها الباحثة"جوليان ستيفانسون" (stivenson): "إن إليزابيل كانت الحيز الأول من التاريخ، تسافر بدون مال وتعيش بحسب يومها ولم يكن لها أي مبدأ له قيمة بالنسبة لها، وتميزت برغباتها الجنسية غير المحدودة، كانت تدخن العفيون وتلبس مثل الرجال".

لقد ظلت حياة هذه المعاصرة غير معروفة لأنه بخلاف أسلافها لم يجد المؤرخون من ضمن ما كتبت أية إثارة لعملها الحقيقي، وعلاقتها بالسلطة الفرنسية وبقيت قصتها غامضة تلفها كثير من دوائر الظل، ولكن عندما تعلم أنها كتبت تفاصيل حياتها لحظة بلحظة وأن في كل هذه التفاصيل المنشورة هناك محطات مقطعة وعدم وجود تسلسل يبين السر الحقيقي، وهو الذي لعبه الجنرال الذي جمع أوراقها وهو نفسه الذي قام بتصفيتها... فظلت تطاردها إلى الأبد[3]

4- دور الخونة في سقوط الزمالة:

بعد أن علم الفرنسيون بأهمية الزمالة لما تحويه من موارد ضخمة، صمم الجيش الفرنسي بقيادة حاكمه العام الاستيلاء عليها والقبض على زعيمها إذ أصبحت المدينة المستقلة الهدف الرئيسي لنشاطه فأصدر بيجو تعليماته لضباطه بمراقبتها وضرورة التفتيش عنها وعن مكان تواجدها مهما

[1]- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء.....، ج5، المرجع السابق ، ص 126.

[2]- عيسى منافع، المرجع السابق ، ص 04.

[3]- المرجع نفسه، ص 04-07.

كلف الأمر فلم يتوقف ضغط القوات الفرنسية خلال بقية سنة 1843م حين افتتح لأمور سير في مطلعها الحملة احتلال تاقدامت[1]، وهنا بلّغ الجواسيس الأمير بأنّه قاصدا الدائرة يتعقب تحركات الزمالة لإنهاء وجودها فاستعد الأمير وسار بقوة وعدد من الراجلين لمن بوصوله إلى تاقدمت علم أن الجنرال الفرنسي لا يزال في معسكر فمكث هناك ثم تحرك هذا الأمير نحوه ووقعت معركة بينهما[2] فاتقتلا قتالا عنيفا تكافأت فيه القوات فجميع من استولى عليه "لامورسير" من مزاد وذخيرة تقدر بحوالي 2000 بعير فأقتسمت بين عملاء فرنسا وبعض الخونة ورؤساء العشائر"[3] رغم هذا أعاد الجنرال الفرنسي الكرة مرة ثانية لكن الأمير تصدى لها وعلى إثرها قام بإعداد خطة، الغاية منها اتقاء العدو وقواته فأصدر أمرا بإنتقال الزمالة إلى ناحية الجنوب –جبال عمور– حيث الغذاء أوفر وظروف الأمن أفضل، وراح يتقربهم من مقره في جبال سرسو بقوة تقدر بـ 1500 فارس، لذلك أقام هناك نحو عشرين يوما مانعا كل الاتصالات به حتى لا ينكشف أمره[4]، أما حلفاؤه فكانوا بدورهم ينشطون في الجهة الأخرى، فنجد "**ابن علال**" كان يترصد تحركات قائد مقاطعة معسكر في جبال الونشريس، و"**ابن التهامي**" كان يراقب قبيلة أخرى بالاستيلاء على الزمالة[5]، وما إن بلّغ الدوق "دومال "عن وضع مدينة الأمير حتى سارع إلى تنظيم خطة وفي العاشر من ماي 1849م، غادر مركز بوغار على رأس جيش 1300 رجل و600 فارس ومدافع ميدان[6]، وأبقى في المنطقة حامية قوامها 250جندي بإمرة النقيب "موته" (mottah) للدفاع عنها والاستعداد للتدخل عند الحاجة، وتوجه كوجيله ولما وصل الفرنسيون في14 من نفس الشهر كانت الزمالة غادرت مكانها[7]، حينها وصلته أخبار أن

[1]– شارل هنري تشرشل،المرجع السابق، ص 273.

[2]– إدريس خيضر، البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830، 1962، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع 2006، ص 184.

[3]– محمد بن عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص191

[4]– فتحي دردار، المرجع السابق، ص 78.

[5]– اسماعيل العربي، المرجع السابق: ص 237.

[6]- azan. P. les grandes soldats de l'algerie, ed. publication comute national métropolitaine du centenaire de l'algerie, paris 1930.p 287.

[7]– شارل هنري تشرشل ،المرجع السابق، ص275.

مفادها أن مدينة الأمير تتمركز على مسافة 20كلم إلى الجنوب الشرقي من المنطقة، وعلى ضوء هذه الأخباتر رأى دومال أن يتابع السير إلى أن وصل بضواحي عين الغليتين آخر ينابيع جنوبي كتلة كوجيله الجبلية[1]، وبتاريخ 15 ماي قسم القائد الفرنسي قواه على مجموعتين[2]:

الأولى: بقيادته شخصيا **والثانية** بقيادة العقيد "شاديسون" (chadysson) وحوالي الساعة السابعة في الليل 15 ماي سارت المجموعتان نحو نبع طاقين ورغم الظروف الطبيعية القاسية، و عندما وصل الدوق "دومال" علم أن الزمالة تتجه جنوبا ودون أن يضيع الفرصة أسرع في نفس الإتجاه رفقة العميد "**يوسف**" وفرسانه تراكا وراءه ما تبقى من مجموعته برفقة العقيد "شاديسون".

وبعد مدة من البحث الشاق وشعور القائد الفرنسي وجنوده بخيبة العثور على مدينة الأمير إذ بالوضع يتغير فجأة فقرابة الساعة الحادية صباحا لمح الدوق "دومال" الخائن "**عمر العيادي**" وهو يقصده ليخبره أن الزمالة تتمركز على مسافة 15 كلم واحدة من عناصره وأنه شاهد جمعا كبيرا من الرجال والنساء والأطفال ومن أفقده العذر والعجز ماتركه الأمير حوله من طائفة الحرس الوطني الذي لا يتجاوز عددهم 500 جندي منهمكين في ضرب الخيم كما رأوا قطعانا كبيرة من الماشية[3] ، وبعد أخذ ورد بين مؤيد لعمر العيادي ومعارض له انتهت الأمور بقرار ابن الملك ضرورة الاستيلاء على قاعدة الأمر رغم وجود فرسانه فقط مبررا أي تأخر في الإعتماد هذا القرار سيعرض مهمته للفشل، فالهجوم هو الحل الوحيد والمناسب حسب رأيه، لكن الخائن عمر حذره من مهاجمة الزمالة على هذا العدد حتى ينتظر تقوية الجيش[4] بإلباس فرسانه لباس الجنود الجزائريين وهي البرانس الحمراء[5]، وعلى هذا الأساس قسمت الخيالة إلى تشكيلتين تتكون إحداهما من عناصر مساعدة من الأهالي والسبايس وضعت تحت إمرة "يوسف" تقوم بالهجومات الأولى المباشرة، بينما تتألف الثانية من قناصة إفريقية

[1]- هنري تشرشل، المرجع السابق ، ص276.

[2]- أديب حرب ،المرجع السابق، ص 434.

[3]- محمد بن عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق ،ص 192.

[4]- هنري تشرشل، المرجع السابق، ص 275.

[5]- إدريس خيضر، المرجع السابق، ص 185.

ورجال الدرك، وضعت تحت قيادة الكولونيل "موريس" (morris)، واحتفظ لنفسه بمهمة توجيه العمليات، تقضي الإحاطة بالزمالة من الجنوب والهجوم عليها في اتجاه الشمال[1]،وما إن اقترب الفرنسيون منها حتى عمد إلى الحيلة تحمل جيشه على تغيير زيه العسكري والتلبس بزي الفرسان المجاهدين، فتمت العملية بتاريخ 16 ماي 1843م، فاغتر أهلها لهذا المظهر التقليدي الكاذب وخيّل إليهم أنه جيش الأمير عاد منتصرا من الغزوة، فاستقبله القوم بارتياح وهدوء تام، وما كادوا ينتبهوا لهذه الخديعة حتى انقض عليهم الجيش الفرنسي فأهلكهم، واكتسح الزمالة، فتعالت الصيحات من كل مكان واختلط عويل النساء وصيحات الرجال بأصوات الحيوانات، فالهجوم المفاجئ لم يترك للمدافعين وقت للمقاومة.

وتم تنفيذ الخطة على النحو التالي:[2]، العميد "يوسف" مع مجموعة من الصبايحين[3] انقضوا على زمالة الأمير (دار السلطان) رغم المقاومة، والعقيد "موريس" مع السرايا الإفريقية الذي هاجم قبيلة بني هاشم وقبائل الناحية الجنوبية، في حين النقيب "داس بينو"(d'aspirant) تولى المهمة بإمرة سرية إفريقية أخرى واتجهوا شمالا وقطعوا الطريق أمام الفارين من الزمالة، فحاصروها من جميع الإتجاهات وضيّقوا الخناق على دوائرها حتى استسلمت عند الساعة الثالثة تقريبا من بعد الظهر يوم 16 ماي من نفس السنة.

[1]- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 239.

[2]- أديب حرب،المرجع السابق، ص 437.

[3]- الصبايحين: في عام 1841 تم تشكيل فرقة الصبايحية بقيادة الجنرال يوسف المملوك اليهودي و على الراغبين من الجزائريين في الإنخراط عليهم أن يتوفروا على عدة شروط منها -أن يجهر علنا بانخراطه أمام الضابط الفرنسي وأحد نوابه من الجزائريين على أن يكون شاهدان على ذلك.

-على المترشح أن يقسم على القرأن بولائه لفرنسا . ، لقد وصل عدد الصبايحية عام 1845 إلى ثلاثة فيالق حسب المناطق الثلاثة، وهي وهران والمدية وعنابة... وقد شاركت هذه الفرقة في قمع الكثير من الثورات الشعبية في الجزائر و حتى خارجها.

نتائج سقوط الزمالة:

بسقوط الزمالة كان الأثر بالغا على الأمير وخفيفا نافعا على الفرنسيين على كافة الأصعدة اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا.

1- **الاجتماعية:** بلغ عدد القتلى الجزائريين بعد سقوط الزمالة حوالي 300 من المهاجرين وحوالي 09 وبلغ عدد الجرحى 12، أما الأسرى فقدروا حوالي 3000 شخص من بينهم أفراد عائلات الخلفاء كسيدي مبارك بني علال، وابنة الميلود بن عراش وسيدي العربي أحد أعوانه في حين نجت أسرة الأمير بأعجوبة[1]

2- **الاقتصادية:** هذا وعن الخسائر المادية فتتمثل في جميع ما فيها من الذخائر والنفائس من أموال الخزينة، وودائع الخلفاء الأمير التي تقدر بملايين الفرنكات والمجوهرات الثمينة، بالإضافة إلى تراجع الاقتصاد وإتلاف الإنتاج وتعطيل المصانع، فضلا عن إبطال صلاحيات الموظفين في تحصيل الضرائب، فمن أعمال التدمير التي ألحقها الجيش الفرنسي باقتصاد الأمير[2]، تحطيم مصانع البنادق وسكك الحديد ولهذا توقف العمل في المصانع كلها[3].

3- الثقافية: بالإضافة إلى مكتبة الأمير الجامعة لأنفس الكتب تقدر قيمتها المالية بحوالي 500 ليرة (جنيه إسترليني)، وفيها من الكتب المخطوطة نحو 5000 مجلد، يقول الجنرال آزان (azan) عنها:"... كان الأمير عبد القادر يرى من الألم وهو يتتبع خطوات الفرنسيين نحو المدينة يلتقط الأوراق المتنافرة من كتبه الثمينة على طول الطريق... فقد كانت هذه المكتبة ثمرة تعب الأجيال في

[1]- الكولونيل ايسكوت، المرجع السابق، ص155.

[2]- ناصر الدين السعيدوني، دراسات وأبحاث فلي تاريخ الجزائر (الفترة الحديثة والمعاصرة)، ج2، م م و ن ط، الجزائر 1992، ص137.

[3]- demosrts (Victor), la colonisation militaire sou Bugeaud, etteur lilaire, consin, m, paris, p83

التمحيص والجمع والنسخ..."[1]، ويقال انّه بكى عندما شاهد رياح البادية تعبث بما تبقى من نفائس المخطوطات وروائع ما خططه أيادي كبار المتصوفين وعلماء القرون الماضية في غرناطة وقرطبة[2].

كل هذه النتائج التي عجلت بسقوط جيش الأمير ينبغي أن تجعلنا نقول أن الأمير لم ينجح في الوصول بجيشه إلى أعلى المراتب، فالمعاهدات والاتفاقيات التي عقدها مع كبار الضباط الفرنسيين كافية أن تقول أن الأمير نجح فعلا في مهمته لولا بعض الدسائس والمؤامرات التي حيكت ضده من الجواسيس والخونة الذين ساروا في تتبع سقوطها.

[1]- ماسبيرو فرانسوا، الشرف الضائع، ط خ لوزراة المجاهدين،/ دار القصبة للنشر، الجزائر 2005، ص 73.

[2]- زهير محمد حمام، محطات مضيئة في حياة الاميرة عبد القادر، (والتفاصيل لأول مرة حول نكبة الزمالة في عين طاقين: 16 ماي 1834)، دار الإمامة للطباعة والنشر، الجزائر 2006، ص111.

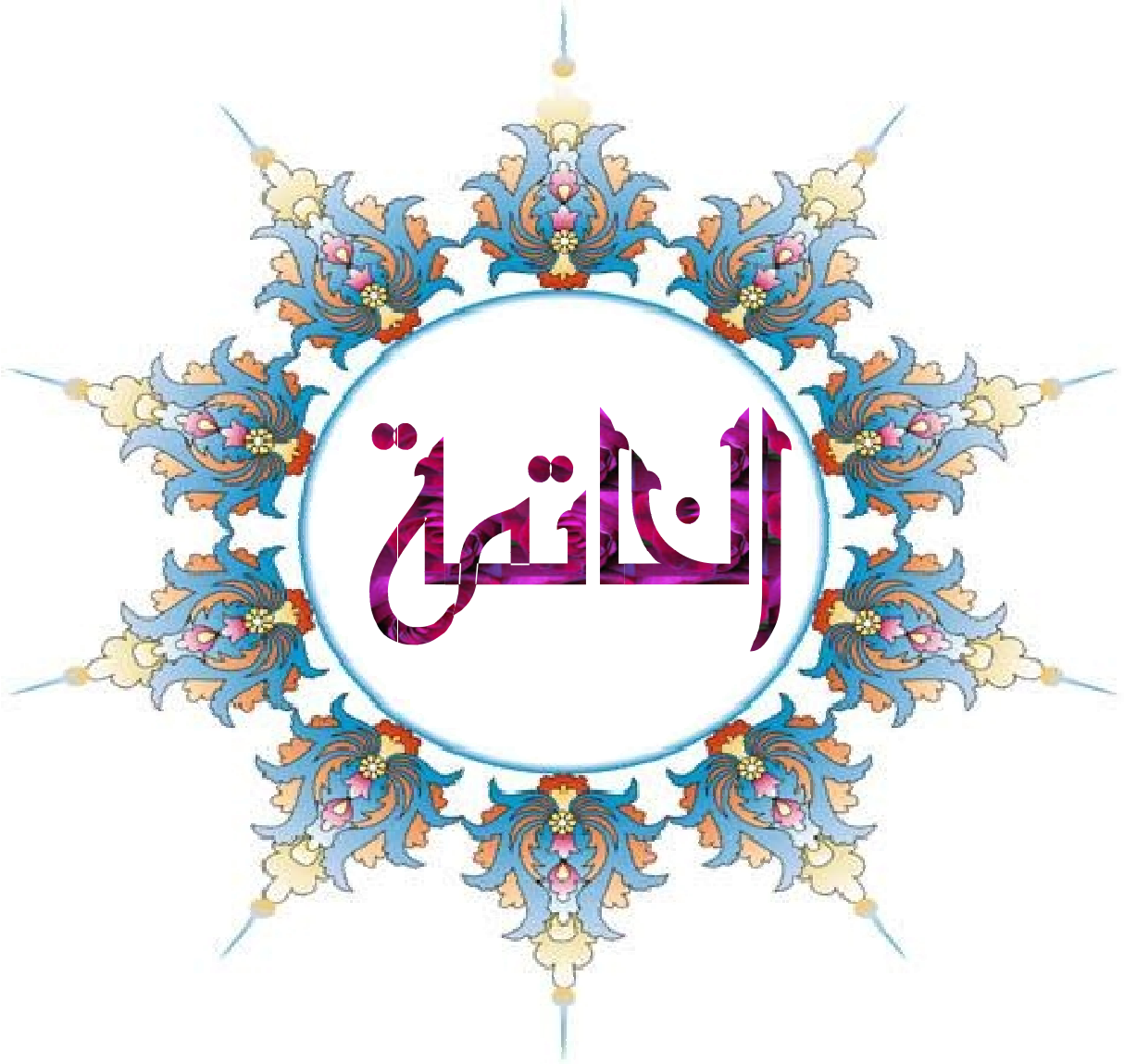
الخاتمة

خاتمة:

وفي الأخير نخلص من هذه الدراسة التي كانت بحوزتنا إلى مجموعة من النتائج والإستنتاجات وهي كالتالي:

– إنّ فرنسا كانت مجبورة ومدفوعة إلى غزو الجزائر واحتلالها لعدة أسباب حقيقية من أهم هذه الأسباب هي سياسية واقتصادية وعسكرية ودينية، لكن فرنسا ادعت أمام الرأي العام أن هدفها القيام بهذه الحملة ضد الجزائر هي حملة تأديبية للداي بعد حادثة المروحة.

– نزول الجيش الفرنسي بسيدي فرج 14 جوان 1830 بحيث كانت المعركة الأولى بين الجيش الفرنسي الجيش والجزائري ثم تجددت المواجهة بينهم في معركة سطاولي 19 جوان 1830 وانهزم فيها الجيش الجزائري.

– قلة حنكة الداي حسين السياسية وضعفه جعلته يقع في أخطاء تسببت في سقوط مدينة الجزائر ومن أبرز هذه الأخطاء إعدامه لقائد جيشه ثقته في وزير المالية في غير محلها، عدم وجود انضباط داخل جيشه، وعدم وجود خطة مدروسة لمواجهة الفرنسيين...الخ.

– توقيع معاهدة الإستسلام بين الداي حسين والفرنسيين في 05 جويلية 1830 وبهذه المعاهدة انتقلت الجزائر من الحكم الإسلامي العثماني إلى الحكم المسيحي الفرنسي.

– ما إن وقعت معاهدة الإستسلام حتى تهافت الفرنسيين على ثروات وخيرات الجزائر ويومها هرع الجيش الفرنسي لذخائر قصر الداي والإستيلاء عليها وتهريبها إلى فرنسا.

– قيام المحتلون الفرنسيين بمصادرة الأوقاف العامة بمدينة الجزائر والإستيلاء عليها بحيث كانوا يسعون إلى كسب ثروات طائلة في أسرع وقت ممكن ولو حساب الإنسانية، بحيث حولت بعض المساجد إلى كنائس وإسطبلات...إلخ. وحاولت فرنسا جاهدة القضاء على مقومات الشعب الجزائري ووضعت خطة مدروسة وممنهجة للقضاء على الدين الإسلامي.

– انطلقت المقاومات الجزائرية ضد الإستعمار الفرنسي ومن أشهر هذه المقاومات الشعبية ابن زعموم وثورة سيدي سعدي واستمرت هذه المقاومة وبقي الإحتلال محصورا في المدن الساحلية فحاول

التوسع بتعيين شيوخ قبائل على أقاليم الداخلية تحت الحكم والسيادة الفرنسية فلم يجد من يساندهم ويتعاون معهم وبقيت المقاومة مشتتة وتطورت مع ظهور محي الدين والد الأمير عبد القادر الذي كان يحظى بحترام وهيبة مميزة بين القبائل بحيث حقق الجزائريون عدة انتصارات بقيادته على الإحتلال ولكن لتقدمه في السن تنازل عن القيادة لصالح ابنه عبد القادر الذي اشتهر بالشجاعة والذكاء والعلم بحيث تمت مبايعته من قبل قبائل الجزائر على السمع والطاعة وكان جديرا بالمنصب الذي خوِّل إليه من طرف الشعب والقبائل.

– بعدما تمت مبايعة الأمير تحولت المقاومة من محلية إلى وطنية وبعد هذه البيعة الشعبية حمل الأمير مسؤولية الحكم وامتد سلطانه إثر معارك دامية حتى شمل ثلاثة أربلع من القطر الجزائري وبعد ان استقام له الأمر شرع في تنظيم أمور الدولة النواة وتعيين رجال أكفاء واعتمد الفقه الإسلامي أي التشريعات المنبثقة من القرآن والسنة.

– وبعد المعارك الطاحنة التي خاضها الأمير ضد الجيش الفرنسي أدرك ضرورة خلق جيش نظامي قوي يدعم به أهدافه الداخلية والخارجية، فاتجه إلى إنشاء جيش حديث واتهم بتدريبه الفنون العسكرية وزوده بالأسلحة المتقدمة وذلك بإنشاء مصانع لصنع الأسلحة من البنادق والمدافع البارود...الخ.

– عمل الأمير على بناء مؤسسات الدولة من حكومة مركزية كتقسيم البلاد إلى ثماني مقاطعات وعين على كل مقاطعة خليفة له واهتم بالسلطة القضائية وأقام مجلس الشورى وأنشأ نظاما اقتصاديا وماليا ودعم الحركة التجارية وأسس جهاز مخابرات.

– إبرام للأمير عبد القادر معاهدتين وهما الأولى دي ميشيل 1834 ومعاهدة تافنة 1837 التي اعترفت بشرعية حكم الأمير على الجزائر وبهذا كان موقف أحمد باي سلبيا اتجاه الأمير بسبب إبرام معاهدة دي ميشيل والتافنة وذلك عائد إلى عدة عوامل ذكرناها من قبل من بينها عامل اجتماعي نفسي سياسي.

– استطاعت فرنسا بفضل عملائها وجواسيسها الذين يختلفون من رجال ونساء أن تخترق دولة الأمير عبد القادر وبينهم الجاسوس ليون روش وغارسيان ورينيه ودوماس ومن النساء اللواتي تجسسن نذكر منهم لويس أليكس وإزابيل إبهارد وأورلي التجاني...الخ.

– استطاع ليون روش أن يخترق دولة الأمير ويصل إلى مكان مقرب من الأمير ويصبح مترجمه الخاص ولعب دورا خطيرا تحت قناع الإسلام ويعتبر حلقة من الجواسيس الفرنسيين الذي اندسوا داخل دولة الأمير.

– حيث جعل روش في تفانيه في تعلم اللغة العربية ودخوله الإسلام مطية للجوسسة التي كلف بها من طرف فرنسا.

– كما كمل روش على خداع المسلمين وذلك أنه أخفى محتوى المهمة التي أرسله بها الأمير إلى التجاني وبذلك زاد نار حطبا فتقاتل الأمير والتجاني وكان الإنتصار حليف الأمير، ةوكانت نية روش من وراء ذلك تشتيت كلمة المسلمين وإضعاف قوتهم وقد نجح في ذلك.

– رغم كل هذا بقي الأمير وأعوان غير متفطنين بخيانة روش وعمله لصالح الجهة المقابلة، بل على العكس راح الأمير يثني عليه وينوه بدوره في الحرب حتى منحه وسام الريشة.

– هروب ليون روش من عند الأمير في سنة 1839م واتجه راجعا إلى الجيش الفرنسي بعد أن اطلع على أدق أمور المسلمين السياسية والعسكرية من قوة وضعف ومن نفس السنة كذلك نقضت معاهدة التافنة وتجدد الحرب بين الأمير وفرنسا.

– وهكذا ارتفع شأن روش عند كبار العسركيين والفرنسيين حيث شغل عدة مناصب مترجم من الدرجة الأولى ثم مترجم رئيسي للدوق ديرلون ثم عندما قدم بيجو إلى الجزائر سنة 1840 قدم له تفاصيل وتقارير مهمة عن الأمير، الملاحظ أن روش كان يريد مواجهة الأمير عبد القادر بكل الوسائل ولما كان الأمير يومل جيشه من المغرب أراد روش أنم يغلق عليه هذه النفوذ ودخل الجيش الفرنسي ضد الجيش المغربي على الحدود وكانت بينهم معركة إيسلي سنة 1844.

– لويس أليكس كانت تعمل في ورشة خياطة وكانت تريد التغلغل داخل الأسرة الجزائرية حتى أنها كانت تتلقى دعما من المارشال بيجو ونجحت في مهمتها حتى وصل عدد تلاميذها حوالي أربعين أو أكثر واقتدت بها أخريات من الفرنسيات، أما أورلي بيكارد فكان دورها في الزاوية التيجانية وهي لاالتي استطاعت تغيير تفكير الموردين ومن هذا الوقت سيطرت فرنسا على جنوب الصحراء بفضل هذه المرأة وأعمالها، وأما إيزابيل إيبهارد هذه التي كانت تعمل مع الطريقة القادرية كانت تتنكر في زي رجل وتمارس كل الأعمال المخلة بالحياء فحياتها مازالت يكنفها الغموض لأن الذين كتبوا حياتها هم أصدقائها لم يذكروا إلا بعض الحقائق عنها.

– أما عن مخابرات الأمير فكانت داخلية وخارجية فالداخلية مثلها اليهودي دوراند الذي كان له الفضل الكبير في إقناع ديرلون واستخلاص منه معاهدة دي ميشيل، أما عن المستوى الخارجي حسب الميلود بن عراش سفيره فوق العادة في باريس فكان للأمير جاسوسا يعمل لصالحه يخبر بكل ما قد يهمه والجنرال الفرنسي المتقاعد يتمتع بنفوذ كبير.

– استطاعت فرنسا أن تضغط على سلطان المغرب والتجنيد لصالح مشروعها في الجزائر والإستفادة من نفوذه للتأثير على القبائل الموالية للأمير حيث بدأ واضحا في عام 1847 أن طوق لفولاذ بدأ يضيق حول المقاومة وأصبحت هجمات العدو أشد قوة وذروة ودمرت زمالة ولم يبقى من أقسماها وأحرق المحاصيل الزراعية لتجويع المجاهدين.

– كان السلطان عبد الرحمان حاكم المغرب مستمر في مراسل التي بايعت الأمير واستخدم علمائه في اتهامه أنه الرائغ عن الهدى حيث بلغ السلطان عبد الرحمان في عدائه إلى حد جعله يحرض عليه زعيم الأحلاف في الريف الشيخ بوزيان وزعماء بني سانس وغيرهم ولم يكتفي بذلك بل أرسل ذات مرة جيشا بقيادة الأحمر وأمروا بالإستيلاء على مقر الأمير.

– وفي أواخر سنة 1847 لم يعد الأمير يحارب جنرالات فرنسا وجنودها بل سد بينه وبينهم سد من صدور المسلمين، شيّده السلطان عبد الرحمان وفرض على الأمير واقعا مرا مرفوضا من قبل المؤمنين وهو قتال الإخوة.

– رأى الأمير أنه حان وقت الحرب كحاكم لدولته وقائد للجيش النظامي وليس وقف المقاومة لأنها بيد الشعب وليس بيده ولم تتوقف إلا بزوال الإحتلال.

إن المجهود المتواضع منا إلا محاولة جادة للتعرف على الجوسسة داخل دولة الأمير وإزاحة الركام عن صفحات بطولية مشرقة من تاريخ الشعب الجزائري لتكون نموذجا للنضال والكفاح تستمد منه الشعوب التي تسعى لنيل حريتها.

وفي الأخير نسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم أن يتقبل هذه الدراسة منا وأن يبارك فيها وأن يجعلها من الأعمال الصالحة التي نتقرب بها إليه .

إن ربي على كل شيء قدير والحمد لله رب العالمين.

الملاحق

الملحق رقم 01: مشهد حادثة المروحة كما رسمه الفرنسيون.[1]

مشهد حادثة المروحة كما رسمه الفرنسيون

الملحق رقم 02: بيان فرنسا إلى الجزائريين عشية الاحتلال 1830م.[2]

بيان فرنسا إلى الجزائريين عشية الإحتلال سنة1830

إلى القضاة ، والعلية ، والعلماء ، وشرفاء المشايخ ، ومشاهير الناس المحترمين . . أن ملك فرنسا ، قد عينني (كونت دي برمونت) قائداً أعلى . . أن الباشا (الداي حسين) ، حاكمكم ، قد أهان علم فرنسا الجدير بكل احترام ، وبسبب هذا الفعل غير الحكيم قد تسبب في أن تعانوا كل أنواع المصائب والمصاعب ، بما في ذلك الحرب معنا . . (ولذلك) ، فإنه من الضروري أن الباشا يلاقي المصير الذي يستحقه لعماه ولسوء تقديره ، أنه هو الذي قد استدعى الثأر المهول على نفسه .

(ولكن) ثقوا بأني لم آت لمحاربتكم ، فابقوا راضين ومسالمين حيث أنتم . اعملوا عملكم المعتاد بثقة . اني أضمن لكم بأنه ليس منا من ينوي مضرتكم ، لا في ممتلكاتكم ولا في عائلاتكم . انني أضمن لكم أيضاً بأن بلادكم ، وأراضيكم ، ومزارعكم ، ودكاكينكم ، وكل شيء ينتمي اليكم ، صغيراً أو كبيراً سيبقى على ما هو عليه . ليس هناك من سيتدخل ، بأية وسيلة في شيء من شؤونكم . ان شؤونكم ستبقى دائماً تحت أيديكم ثقوا بوعدي .

اننا نضمن لكم أيضاً ، معطيتكم وعداً شريفاً وصريحاً لا يقبل التغيير ولا التفسير ، بأن جوامعكم ومساجدكم ستكون محترمة ، فهي لن تبقى مفتوحة فقط الى العابدين كما هي الآن ولكن ستصلح أيضاً . ونضمن بأن لا أحد منا سيتدخل في شؤونكم الدينية ، لأن هدف وجودنا في بلادكم ليس لشن الحرب عليكم ولكن على مسؤولكم ، الداي . .

انه من الواضح أن هذا الباشا يخطط لتخريب بلادكم ، وممتلكاتكم ، وحياتكم . ان كل أحد يعلم أنه يريد أن يجعلكم منكوبين ، فقراء ، مضطهدين

_ 1

_ 2

الملحق رقم 03: معاهدة تافنة ومعاهدة ديميشال.[1]

نص معاهدة ديميشال الأولي

جزء من معاهدة التافنة الثانية (1يوليو 1837 - 26 صفر 1253 هـ)

الملحق رقم 04: صورة للأمير عبد القادر.[2]

[1] _

[2] -**Napoléon III et Abd-el-Kader, Charlemagne et Witiking, étude historique et politique par le Cte Eugène de Civry, p06.**

الملحق رقم 05: خريطة رقم (01) تبين الترتيب القتالي الفرنسي.[1]

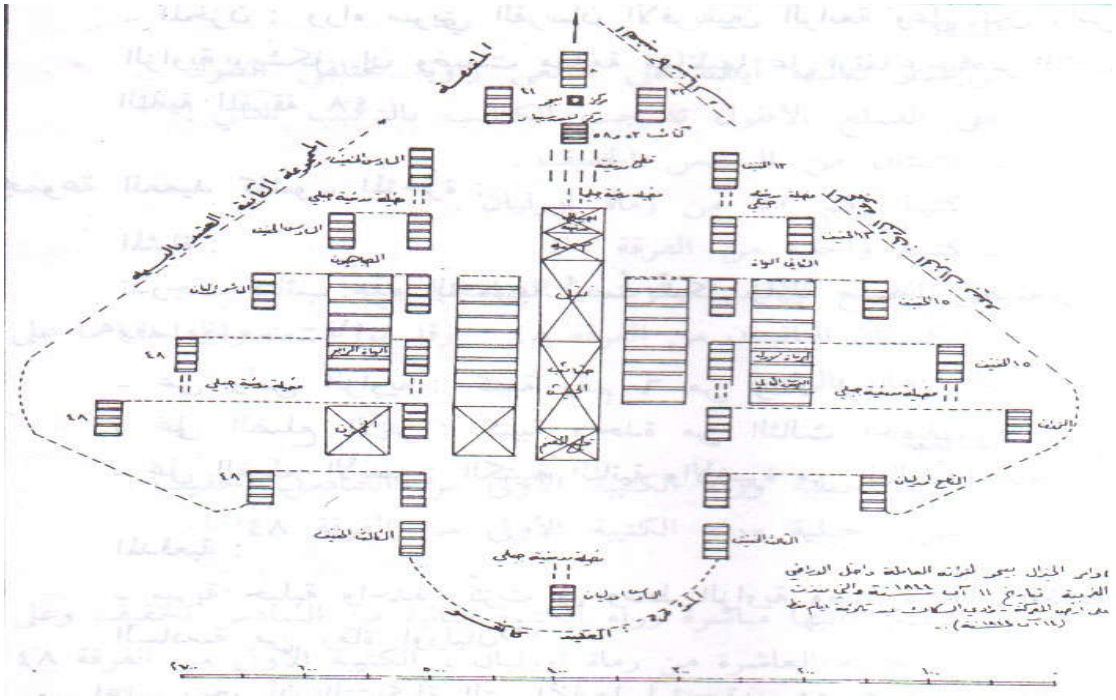

الملحق رقم 06: رسم بياني يبين مخطط الزمالة وتنظيمها.[2]

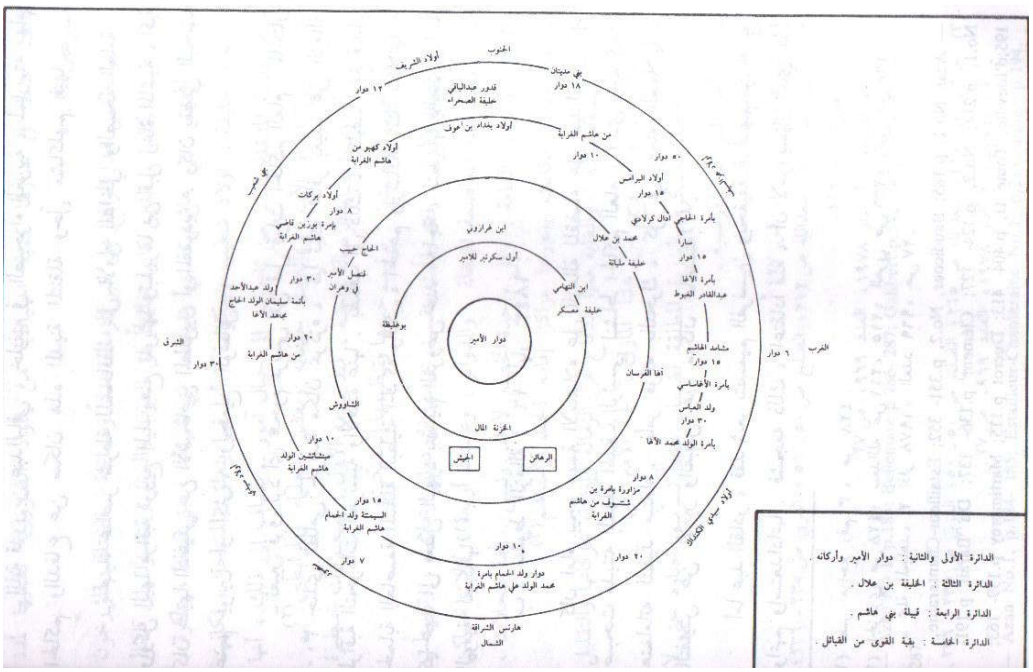

[1] – أديب حرب، ج 2، المرجع السابق، ص 478.

[2] – جمال قنان، دراسات...، المرجع السابق، ص 80.

الملحق رقم 07: معركة عين طاقين وسقوط زمالة الأمير عبد القادر في 16 ماي 1843.[1]

الملحق رقم 08:صورة الجاسوس ليون روش.[2]

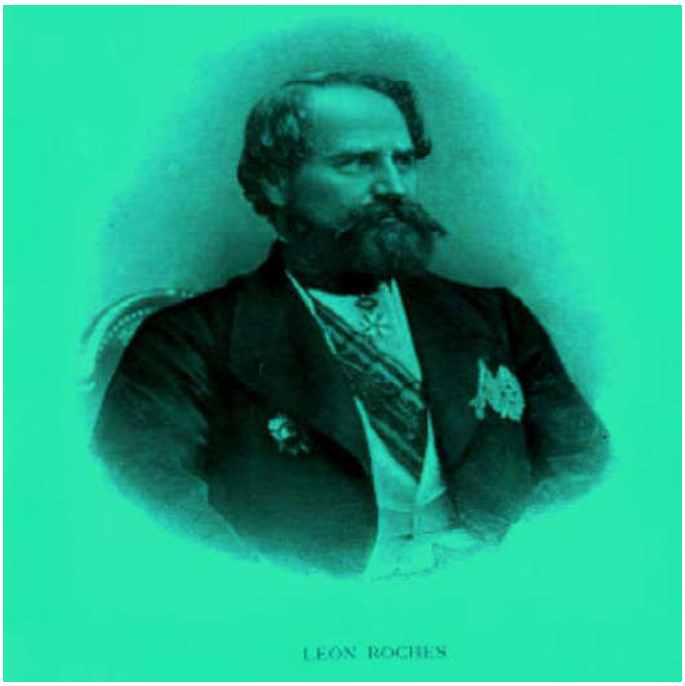

[1] – إسماعيل العربي، المقاومة...المرجع السابق، ص 240.

[2] – نقلا عن الموقع الإلكتروني: www.elchihabe.com

الملحق رقم 09: صورة الجاسوسة أوريلي بيكار.[1]

الملحق رقم 10: صورة الجاسوسة إيزابيل إيبهارد.[2]

[1] – نقلا عن الموقع الإلكتروني: www.elchihabe.com

[2] –المرجع نفسه.

قائمة المصادر و المراجع

– القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع

1) المصادر العربية:

– ابن الأثير، كتاب التفسير/ تفسير ابن كثير/ تفسير القرطبي/ صحيح البخاري ومسلم.

– ابن التهامي الحاج محمد ، سيرة الأمير عبد القادر ومجاهده، تح: بوعزيز يحي: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

– ابن الرويلة قدور، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تق: محمد ابن عبد الكريم، الشركة والوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر 1968.

– ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن بني عامر فيهم من ذوي السلطان الأكبر، ط3، م1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006.

– أبو العباس أحمد ابن خالد، الناصر السلاوي: كتاب الإستقصاء لأخبار المغر ب الأقصى (الدولة العلوية)، ج9، تح وتع: ولدي مؤلف جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء، المغرب، 1956.

– آرجمند كوران، السياسة العثمانية اتجاه الإحتلال الفرنسي، 1827-1847، تر: عبد الجليل التميمي، ط2، الشركة التونسية للرسم، تونس، 1973.

– التفسير المنير للزحيلي/ تهذيب اللغة للأزهري/ تاج العروس للزبيدي.

– الجزائري محمد ابن عبدالقادر، تحفة الجزائر في مآثر الأمبر عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية –عزوزي وجاويش–، الإسكندرية، 1903.

– الجزائري محمد بن عبد القادر، تحتفة الزائر في التاريخ الجزائر والأمير عبد القادر،ج1، تح: محمد حقي، ط2، داراليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، 1964.

– الحفناوي، تعريف رجال السلف برجال الخلف، الجزائر، 1907.

– الزهار أحمد الحاج، مذكرات الحاج أحمد الشريف"نقيب أشراف الجزائر"، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر 1980.

- الكولونيل اسكوت، مذكرات الكولونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر1841، تر وتح: اسماعيل العربي، دار النشر والتوزيع، الجزائر 1981

- المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر،تح: بوعزيز يحي، دار الغرب الإسلامي،ج2،ط1، بيروت، 1990.

- المصري الإفريقي ابن المنظور، لسان العرب، ط1، م2،دار الصادر: بيروت، 2000.

- تشرشل شارل هنري، حياة الامير عبد القادر تر: سعد الله أبو القاسم، دار التونسية للنشر، تونس، دط، 1971.

- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تر: محمد ابن عبد الكريم، منشورات دار المكتبة الحياة، لبنان، 1972.

- داود محمد، تاريخ تيطوان، ق3، مج:3، تيطوان، المغرب، 1962.

- عبد القادر الأمير الجزائري، مذكرات الأمير عبد القادر "سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849" تح: محمد الصغير البناني ومحفوظ السماتي ومحمد الصالح الجون، دار النشر الجزائر، ط7، 2010.

- مالتسان هنريش فون، ثلاثة سنوات في شمال غربي إفريقيا، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر،1976.

-كارل بيرنت يوهان، الامير عبد القادر، تح: أبو العيد دودو، دار الهومة للطباعة والنشر، الجزائر، 1997.

ثانيا: المصادر بالفر نسية:

- y ver. G.abdelkader et le moroco,1838 , in UVE africaine n° 60.1919

- y ver. G. correspondance.

- Louis moulle seaux, histoire de l'algerie, imprimirie oberthur, paris, 1962.

-Abdelkader oi chateau. D'Amboise: dedie, M.louis- napoleon Bonaparte- (2 e eduition) par MRG, ant ad Depuche sources galica, BNF.fr-biblioteque national de france.

demonts (Victor) ,**la colonisation militaire sou Bugeaud**, etteur lilaire,consine, 11, paris

- Léon Roches, trente deux ans à travers l'islme, paris 1884-1885, T.1.
- Léon Roches, dix ans à travers l'islame (1834-1844), préface de M. carraby, paris 1904.

المراجع بالعربية:

- أبو طالب عبد القادر، الأمير عبد القادر و بناء الأمة الجزائرية من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير،تق أجيرون، منشورات دحلب، وحدة الرغاية، الجزائر، دط، 2009.

- أحميدة عمراوي، جيش الإحتلال الفرنسي في الجزائر، مجلة سيرتا، منشورات جامعة منقوري، قسنطينة، الجزائر، العدد12، 1999.

- أديب حرب ، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، 1808-1847،ج2، ط3، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.

- أديب حرب ، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، 1808-1847، ج1، ط3، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.

- اسماعيل حلمي محروس، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية I، مؤسسة الشباب الجامعة، مصر، 1997.

- آف دينيران ، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية في الجزائر، تر: أبو العيد دودو: دار الهومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2003.

- الاميرة بديعة حسني الجزائري، الأمير عبد القادر (حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف) دار المعرفة، الجزائر، 2009.

- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج4، دار الثقافة، ط2، بيروت، 1980.

- الزبيري محمد العربي، الكفاح المسلح في عهد الامير عبد القادر، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1982.

- الزبيري محمد العربي، مذكرات أحمد الباي وحمدان خوجة وبوضربة، منشورات السهل، وزارة الثقافة 2009.

- السيد صالح فؤاد، الأمير عبد القادر الجزائري متوصفا وشاعرا، دار الثقافة، دط، الجزائر، 2007.

- السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

- العربي اسماعيل، المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر،ط2، الجزائر،1982.

- العسلي بسام، المقامة الجزائرية للإستعمار الفرنسي، 1830-1838، ط2، دار النفائس، بيروت، 1983.

- الميلي بن الجيلالي مبارك، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج3، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية، 1964.

- بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الجزائري "المجاهد الصوفي" دار النشر الإلكتروني، جامعة عين الشمس، باتنة، الجزائر 1990.

- بريناين أندري وأندري نوشي وإيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، تح: رابح اسطنبولي ومنصف عاشورن ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.

- برينيان أندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: رابح اسطنبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

- بسايح بوعلام، من لويس فيليب إلى نابليون الثالث "الأمير عبد القادر مغلوبا كلن مظفرا- أعلام المقاومة الجزائرية ضد الإحتلال الفرنسي بالسيف والقلم 1830-1954" تع: خليل أحمد خليل، المؤسسة الوطنية، 2010.

- بن السبع عبد الرزاق، الأمير عبد القادر الجزائري وآدابه، دط، تص: عبد العزيز سعود البابطين، منشورات المؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداعى الشعري، باتنة، الجزائر، 2000.

- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1997.

- بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة الجزائر المحروسة، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995.

- بوعزيز يحي، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، دار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1983.
- بوعزيز يحي، أوضاع الجزائر في عهد الداي حسين، آخر دايات الجزائر، 1818-1830، "أرواق عن التاريخ"، جريدة الحوار 22-10-1994.
- بوعزيز يحي، بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري، المكتبة الشرقية تونس، 1957.
- بوعزيز يحي، علاقات الجزائري الخارجية مع دول مماليك أوروبا، 1500-1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دس، دط.
- بوعزيز يحي، مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
- بوعزيز يحي، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
- تميم آسيا، شخصيات جزائرية، دار المسك للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2008.
- جلال يحي، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، ج4 "سيطرة أوروبا على العالم" المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2004.
- حمام زهير محمد، محطات مضيئة في حياة الأمير عبد القادر(تفاصي لأول مرة حول نكبة الزمالة في عين طاقين: 16 ماي 1839)، دار الإمامة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2006.
- خيضر إدريس، البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830-1962، دار الغرب للنشر والتوزيع، دس، دط.
- دردار فتحي، الأمير عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية 1830-1848، دب، الجزائر، 2001.
- سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ج2، ج3،ج5، ط2، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، 1981.
- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،لبنان، 1992.
- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،لبنان، 1992.

- سعد الله أبو القاسم، المحاضرات في تاريخ الجزائر بداية الإحتلال، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1982.

- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان- ط1998،1م

- سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وآفاق (مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية) ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

- سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في الفترة العثماني، 1800-1830، الجزائر، 1997.

- سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (الفترة الحديثة والمعاصرة)ج2، المؤسسة الوطنية للنشر والطباعة، الجزائر، 1992

- صلابي علي محمد، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي ، دط، دار المعرفة، بيروت، 1983.

- صيام زكرياء، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تح شر تع: محمد ممدوح حقي، ط2، بيروت، 1964.

- عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر السياسي "قراءة في فوادة الرمز والريادة" دار الغرب للنشر والتوزيع، ط1، 2009.

- عمورة عمار وآخرون، الجزائر بوابة التاريخ عامة ماقبل التاريخ إلى 1962، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

- فارس محمد الخير، تاريخ الجزائر الحديث، مكتب دار الشرف، بيروت، دس.

- فركوس صالح، الحاج أحمد باي قسنطينة، 1826-1850، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر 2007.

- فركوس صالح، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث المعاصر، 1830- 1925، مديرية النشر بجامعة قالمة، الجزائر، 2010.

- قنان جمال، دراسات في المقاومة والإستعمار "قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر" منشورات المتحف المجاهد الوطني، الجزائر، ط1، 2009.

- قنان جمال، معاهدة الجزائر مع فرنسا1619- 1830، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987.

- قنان جمال، نصوص سياسية جزائرية في القرن 19 (1830-1914) ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر2009.

- لونيسي رابح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1847، دار المعرفة، الجزائر، ط1، دس.

- لويس رين، المرابطون الإخوان، الجزائر، دط، 1889.

- ماسيرو فرانسوا، الشرف الضائع "محطات مضيئة في حياة الأمير عبد القادر (التفاصيل لأول مرة حول نكبات الزمالة في عين طاقين: 16 ماي 1834) " دار الأمامة، الجزائر ،2006.

- مسعود مجاهد، تاريخ الجزائر، ج1، دط، ديوان التوزيع، دس.

- مناصرية يوسف، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب، 1832-1847، المكتبة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

- مياسي ابراهيم، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2007.

- مياسي ابراهيم،لمحات من جهاد الشعب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

المراجع بالفرنسية:

- Azan.P.les grands soldats de l'algerie, ed, publication comite national mitopoliane se l'algerie, paris 1930

- Sehli: abdelkader mohammed cherif, abdelkader le chouvalier de la fois, alger, 1884.

- Camille rousset**, la conquête d Alger, imprimeursediteurs**,

e plon et ce, paris 1929.- napelon III abdelkader charlemange et witinkind etude de histoire et politique parle cette engine de viviry 5, paris, 1853.

- demonts (Victor) ,**la colonisation militaire sou Bugeaud**,

etteur lilaire,consine, 11, paris demonts (Victor) ,**la colonisation militaire sou Bugeaud**,

etteur lilaire,consine, 11, paris

الموسوعات :

- الشويخات احمد مهدي محمد، **الموسوعة العربية العالمية**، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، . السعودية، 1999.

المقالات:

- مقال من المحاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، 1830-1962، أحمد مريوش بالمدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2006-2007.

- حوار حول الثورة، عبد القادر نور، موفم للنشر، الجزائر، 2008.

- شادي رحاب، محاضرات بكلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر باتنة، أعمال الجوسسة.

المجلات:

- مجلة سيرتا،العدد 08-09، يوسف مناصرية، ليون روش داخل جيش الأمير عبد القادر، (1837-1839)، قسنطينة، الجزائر، 1983

- مجلة التاريخ، العدد 06، العربي اسماعيل، سفارة الميلود بن عراش لدى الملك لويس فيليب (خلفياتها ونتائجها)، الجزائر، 1978.

- مجلة المفكر، العدد 07 الحصانة الدبلوماسية وأعمال الجوسسة.

- مجلة الثقافة والسياحة، العدد 75،عيسى علي، الأخلاقيات القتالية لدى الأمير عبد القادر، الجزائر1983.

- مجلة المسالك، مؤسسة الأمير عبد القادر العدد04 سنة 1999.

- مجلة الأصالة، العدد 29-30، عبد الجليل التميمي، دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس، 1830-1881، تونس، 1976.

- مجلة الثقافة، العدد 75، سعيدوني ناصر الدين، نظام الضرائبي لدولة الأمير عبد القادر، الجزائر، 1983.

الرسائل الجامعية:

- الشعباني بدر الدين، أسلحة الأمير عبد القادر، راسلة مقدمة لنيل شهادو الماجستير، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2001

- بن ساعد عائشة، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، بإشراف ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2003-2004.

- كريمة حرشوش، جرائم الجنرالات الفرنسية ضد الامير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم، 1832-1847 (نماذج) لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الحضارة الإسلامية والعلوم الإسلامية- قسم التاريخ-، وهران، السانيا،2009-2010.

- عبد القادر زاير: أشراف محمد طيبي، مذكرة تخرج بعنوان دور خلفاء الأمير في بناء الدولة الجزائرية 1832-1847 جامعهة وهران، كلية العلوم الإنسانية، والحضارة الإنسانية- قسم التاريخ- علم الأثار2010/2009

- دواودي عبد القادر وخيثر مراد، الجيش الجزائري تحت إمرة الأمير عبد القادر،1832-1847، مذكرة شهادة الماستر في الحيث المعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم الماستر جامعة ابن خلدون تيارت2014/2013.

المواقع الإلكترونية:

عيسى منافع: لالا أوريلي بيكارد زوجة السيدين.**www.Elchihab.com**

www.Wikipidia.com

منتدى الجلفة: 04-04-2016 16:30

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

-إهداء.....

-كلمة شكر .....

قائمة المختصرات.....

- مقدمة.....أ

مدخل:.....9

الفصل الأول: نبذة عن حياة الامير عبد القادر

1-حياة الامير.....18

أ-أصل الامير وأسرته.....18

ب- نسبه.....19

ج-مولده ونشأته.....20

د- كنيته وألقابه.....21

2-البيعة.....22

أ-مفهوم البيعة: لغة واصطلاحا.....22

ب- مبايعة الأمير: خاصة و عامة.....23

3-أهم المعارك ومعاهدات الأمير.....26

4-بناء الدولة الجزائرية الحديثة:.....38

أ–التنظيم الإداري.....38

ب– التنظيم الاقتصادي.....42

ج–التنظيم العسكري.....45

الفصل الثاني: الجوسسة تخترق دولة الأمير عبد القادر.

1– ماهية الجوسسة:.....68

– نبذة تاريخية عن الجوسسة.....68

– أهم صفات الجواسيس وأعمالهم.....72

2– الجوسسة الفرنسية و مخابرات الأمير عبد القادر.....72

2–أ أبرز الجواسيس الفرنسين.....72

– الجاسوس ليون روش.....73

الجاسوس غارسان.....110

2–ب مخابرات الأمير عبد القادر.....111

3– دور المرأة الأوروبية في الجوسسة في الجزائر:.....113

– لوس أليكس.....114

–أوريلي بيكار.....116

– إيزابيل إيبهارد.....124

4– دور الخونة في سقوط الزمالة:.....128

– التمهيد للسقوط.....128

– سقوط الزمالة.....128

– نتائج سقوط الزمالة:.....128

الخاتمة:.....136

الملاحق:.....141

قائمة المصادر والمراجع:.....147